مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٦		١٩ شعبان سنة ١٣٧٥

مجموعة ابن النقيب
أو
بواكير الحدائق والغرف

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صاحب هذه المجموعة عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن النقيب وبابن حمزة الحسيني فتى من فتيان الشعر والأدب ، جمع الى صحة الطبع سعة الاطلاع وحسن الاختيار ؛ ولقد سبق لنا أن عرّفنا بديوانه في الجزء الماضي من هذه المجلة (ص ٣ ج ١ م ٣١) ونريد أن نعرّف في هذا الجزء بمجموعته المشتملة على مختارات من الشعر في كثير من الأبواب والمعاني والأغراض .

هذه المجموعة مخطوطة لا تزال في المسودة ، مكتوبة بقلم جامعها السيد عبد الرحمن ، نفسه كما يدل على ذلك ما ورد في أعلى الصفحة الأخيرة من المجموعة وهو قوله : (لكاتبه عبد الرحمن الحسيني) وقد خلت من العنوان والمقدمة

والخاتمة ، كما أن بعض أبوابها لم يكمل بعد ، أو لا يزال أبيض لم يكتب به شيء ، وذلك لأن صاحبها توفي شاباً قبل أن ينتهي من جمعها .

وعدد صفحات هذه المجموعة ١٥٦ صفحة (طول الصفحة ٢٠ سم وعرضها ١٣ سم) ولا تتفق في عدد الأسطر ، حسنة الخط مكتوبة بالقلم الفارسي والحبر الأسود على ورق متين صقيل ، إلا عناوين الأبواب فانهـا مكتوبة بالحمرة ، وكذلك أول كلمة من كل كلام جديد ، ونقط الفصل ، فانها بالحمرة أيضاً ؛ وطريقة الكاتب في الكتابة أن يضع قبل مقول القول - أي في المكان الذي نضع فيه نقطتين مترا كبتين - دائرة حمراء في صدرها نقطة حمراء ، وأن يضع بعد صدر كل بيت وبعد عجزه نقطة حمراء .

لما توفي صاحب هذه المجموعة سنة ١٠٨١ هـ كان له طفل اسمه سعدي [1] لم يبلغ السادسة من عمره ، فحفظت له هذه المجموعة ، حتى إذا بلغ أشده ودفعت اليه كتب على الصفحة الثالثة عشرة منها ما نصه : (من كتب الفقير الى عفو ربه المنان محمد سعدي بن عبد الرحمن الحسيني الحنفي . في منتصف سنة ١٠٩٥) ولم يقف عند هذا الحد بل أخذ يزيد على الأصل في بعض الأمكنة الخالية من الصفحات ، ولحسن الحظ كانت زياداته قليلة وكان خطه يختلف اختلافاً بيناً عن خط والده ، فضلاً عن أنه لم يتقيد بطريقة والده في الكتابة وتلوين المداد . وكأنه تبين له فيما بعد أنه لم يكن مصيباً في عمله فشطب على طائفة مما كتب .

ثم انتقلت هذه المجموعة بعد زمن طويل الى السيد عمر زيتونة فكتب على ظاهر الورقة الأولى : (في نوبة الحقير العاجز عمر بن ابراهيم زيتونة في ٢٥ صفر سنة ١٢٦٢) وانتقلت منه الى السيد محمود حمزة مفتي الشام وهي الآن محفوظة عندنا .

---

(١) ولد السيد سعدي سنة ١٠٧٥ وتوفي سنة ١١٣٢ . سلك الدرر للمرادي ٢/٦٥

تشتمل هذه المجموعة على مختارات جيدة من الشعر في كثير من الأبواب والمعاني والأغراض ، أكثرها في وصف محاسن الطبيعة والرياض والأشجار والأزهار والأنهار ، وتصوير الجمال والترف والنعيم والصبوة واللهو والشراب ومجالس الأنس والطرب ، وما الى ذلك من متع الحياة ومباهجها ؛ وهذه عناوين المجموعة كما كتبها جامعها بيده :

١ — في فوّارة الماء
٢ — جريان ماء الأودية
٣ — ماء البئر
٤ — في الحمّام وما ينضاف اليها
٥ — ماء النيل
٦ — ماء دجلة والفرات
٧ — في البساتين
٨ — في الوديان
٩ — في الدور والقصور
١٠ — في الشموع
١١ — في المداخن
١٢ — في البخور
١٣ — في الكوانين
١٤ — في أنواع الطيب
١٥ — في نفس الحبيب وريقه
١٦ — في نور الكتان
١٧ — في نور الباقلا
١٨ — في الزرع وسنبله
١٩ — في الأرجوان
٢٠ — في السفرة والطعام
٢١ — في الحمّام
٢٢ — نزعة في الحسن
٢٣ — نزعة في نعومة البشرة
٢٤ — في الغمز والرمز والايماء
٢٥ — نزعة في الإيماء المعنوي
٢٦ — في لمع الأسرة
٢٧ — في الابتسام
٢٨ — في الحديث والمناجاة والسرار
٢٩ — في السرر والأعكان
٣٠ — في الأعقاب والكراسع
٣١ — في رقة الطبع والفهم
٣٢ — في الدل ورخامة النغمة
٣٣ — في الخجل
٣٤ — في التقبيل والعض والتجميش
٣٥ — في العناق
٣٦ — في العفاف

٣٧ — في المراسلة والمكاتبة
٣٨ — في الطيف والخيال
٣٩ — في عرق الحبيب وعرفه
٤٠ — في نسيم الشراب
٤١ — حباب الكأس
٤٢ — في دبيب الشراب
٤٣ — في الكؤوس الملونة
٤٤ — في صبغ اليد بالكأس
٤٥ — في الفدام
٤٦ — في تصاوير الكؤوس
٤٧ — في ربع بساط السكر بما فيه
٤٨ — في نقل المدام
٤٩ — صياح الديوك
٥٠ — في ضرب النواقيس
٥١ — في المصبّغات والمخانق والمناديل
٥٢ — في أكاليل الزهر
٥٣ — في المناطق
٥٤ — في يوم رام (١)
٥٥ — في الكلستان (٢)
٥٦ — في خيش النسيم والمروحة
٥٧ — في خيمة الناطور
٥٨ — في النرد
٥٩ — في المداعبة
٦٠ — في الكناية والتعريض
٦١ — في المنى
٦٢ — في الشباب ورونقه
٦٣ — في النعيم ومائه
٦٤ — في الريحان
٦٥ — في الترنجان
٦٦ — في المرذنكوش
٦٧ — في الشاهسفرم
٦٨ — في الخزامى
٦٩ — في النمام
٧٠ — في الآذريون
٧١ — في الحوذان
٧٢ — في الخُرَّم
٧٣ — في اللفاح
٧٤ — في الآس
٧٥ — في الفستق
٧٦ — في التفاح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) عيد من أعياد الفرس .
(٢) هذا الفصل نثر .

٧٧ — في السفرجل	٧٩ — في النور والكمائم
٧٨ — في تشبيه المحبوب بالرياحين وتذكره بها	٨٠ — في العناب
	٨١ — في الشجر على اطلاله

وطريقته في التدوين أن يذكر المصدر الذي اختار منه ، وبذلك تمكنا من إحصاء مصادره نقلاً عنه وهي :

١ — محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني

٢ — مناهج الفكر ومباهج العبر لجمال الدين محمد بن ابراهيم الوطواط الكتبي الوراق

٣ — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام

٤ — يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي

٥ — من غاب عنه المطرب له

٦ — تتمة اليتيمة له

٧ — مركز الإحاطة للسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب

٨ — قطب السرور لأحمد بن القاسم المعروف بالرقيق النديم

٩ — عنوان المرقصات لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي

١٠ — المرقص والمطرب له

١١ — المغرب في محاسن أهل المغرب له

١٢ — حديقة المنادمة وطريقة المناسمة

١٣ — كتاب الديرة للسري الرفاء

١٤ — قلائد العقيان للفتح ابن خاقان

١٥ — المسهب في أخبار أهل المغرب للحجاري

١٦ — الأوائل لأبي هلال العسكري
١٧ — المحب والمحبوب للسري الرفّاء
١٨ — ازدهار الأزهار للتيفاشي
١٩ — ديوان ابن المعتز
٢٠ — نزهة العيون لليافعي
٢١ — رياض الأزهار للشقاشي
٢٢ — نفح الطيب للمقري
٢٣ — لمح الملح لأبي المعالي سعد بن علي الخطيري
٢٤ — التحقيق في شراء الرقيق
٢٥ — الكنايات للجرجاني
٢٦ — ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي
٢٧ — ديوان ابن خفاجة الأندلسي
٢٨ — وفيات الأعيان لابن خلكان
٢٩ — تباشير السرور لابن المعتز
٣٠ — دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن علي بن حسن الباخرزي
٣١ — مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس للفتح ابن خاقان
٣٢ — شرح مقامات الحريري للشريشي
٣٣ — حماسة ابن الشجري
٣٤ — الحماسة لأبي تمام الطائي
٣٥ — مجمع الأمثال للميداني
٣٦ — زهر الآداب للحصري
٣٧ — الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني
٣٨ — العقد لابن عبد ربه
٣٩ — الكناية والتعريض للثعالبي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه أمثلة مختصرة من المجموعة تدل على صحة الذوق وحسن الاختيار ؛
ورد في باب فوّارة الماء ما يأتي :

«علي بن الجهم أنشدها له صاحب المحاضرات :

وفوّارةٍ ثأرها في السماء فليست تقصّر عن ثارها
تردّ على المزن ما أسبلتْ على الأرض من فيض مدرارها

ولبعض الأندلسيين أنشدها المقري وإخاله أنشدها من المناهج ، يصف بركة عليها عدة فوارات :

غضبتْ مجاريها فأظهر غيظها ما في حشاها من خفيّ مضمرِ
وكأنْ نبع الماء من جنباتها والعين تنظر منه أحسن منظر
قضبٌ من البلور أثمر فرعها لما انتهت باللؤلؤ المتحدر»

وورد في باب الحمام وما ينضاف اليها ما يأتي :

«ابو الحسن علي بن حصن الاشبيلي أنشدها له صاحب الذخيرة :

وما راعني إلاّ ابن ورقاء هاتفاً على فنن بين الجزيرة والنهرِ
مفستق طوقٍ لازوردي كلكلٍ موشّى الطلى أحوى القوادم والظهر
أدار على الياقوت أجفان لؤلؤٍ وصاغ على الأجفان طوقاً من التبر
حديد شبا المنقار داجٍ كأنه شبا قلمٍ من فضةٍ مُدّ في حبر
توسّد من فوق الأراك أريكةً ومال على طيّ الجناح مع النحر
ولما رأى دمعي مراقاً أرابه بكائي فاستولى على الغصن النضر
وحثّ جناحيه وصفّق طائراً فطار بقلبي حيث طار ولا أدري

وقال يوسف بن هارون الرمادي : بكرت إلى أبي المطرف بن المثنى وألفيت قد بكر قبلي ابن هذيل ، فقال لي ماعندك ؟ فقلت ليس عندي كبير معنى ، ولكن ماعندك أنت ؟ فأخرج من كمه قصيدته التي يقول فيها في صفة الحمامة :

ومرنّةٍ والدجن ينسج فوقها ... بردين من نورٍ وطلٍّ باكِ
مالتْ على طيّ الجناح وإنما ... جعلتْ أريكتها قضيب أراكِ
وترنمتْ لحنين قد حلّتها ... بغناءِ مسمعةٍ وأنّة شاكِ
ففقدتُ من نفسي لفرط تلهفي ... نفس الحياة وقلت من أبكاكِ ؟

فأنشدتها وأنا أعد محاسنها فيها ، فلما أكملها قال لي : انصرف الى المكتب وتأدب حتى تحكم بمثل هذا . فكأنه حركني ؛ واتفق انه لم يخرج أبو المطرف ذلك اليوم . فبكرت من الغد إليه وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها في صفة الحمامة :

أحمامةً فوق الأراكة بيّني ... بحياة من أبكاكِ ، من أبكاكِ ؟
أما أنا فبكيت من حرق الهوى ... وفراق من أهوى ، فأنت كذاك ؟

فلما سمعني ابن هذيل قال عارضتني ؟ قلت لا والله بل ناقضتك ؛ قال فاذهب فقد أخرجتك من المكتب .

وقال على هذه العروض والقافية أبو مروان المعروف بالبلينة من قصيدة أولها :

يوم العقيق غدوتُ من قتلاكِ ... لما رمت بسهامها عيناكِ

ثم قال في صفة الحمامة :

أحمامةً بكت الهديل وانما ... طربتْ فغنتْ فوق غصن أراكِ
معشوقة التفويف ذات قلائدٍ ... غنيتْ جواهرها عن الأسلاكِ
ناحت على غصنٍ وكل شجٍ بكى ... يوماً بلا دمعٍ فليس بباكِ
لو كنتِ صادقةً وكنتِ شجيةً ... جادت دموعك حين جدّ بكاكِ »

وورد في باب العفاف ما يلي :

« الشريف الرضي ، أخترت له من أبيات في العفاف أنشدها صاحب الذخيرة :

بتنا ضجيعين في ثوبي هوىً وتقىً ... يلفنا الشوق من فرعٍ إلى قدمِ

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي … مواقع اللثم في داجٍ من الظلم
وباتت الريح كالغيرى تجاذبنا … على الكثيب فضول الريط واللمم
وأكتم الصبح عنها وهي غافلة … حتى تكلم عصفورٌ على علم
فقمت أنفض ثوباً ما تعلقه … غير العفاف وراء الغيب والكرم

وانشد لأبي الوليد بن حزم :

وكم ليلةٍ كاد الهوى يستفزني … ولا رقبةٌ دون الأماني ولا ستر
وفي ساعدي بدرٌ على غصن بانةٍ … يود مكاني بين لباته البدر
وفي لحظه كالسكر لا من مدامةٍ … ولولا اعتراض الشك قلت هو السكر
وقد سلبته الراح سورة كبره … ومال على عطفيه وانقطع العذر
فلم يك إلا ما أباح لي التقى … ولم يبق إلا أن تحل لي الخمر»

وفي باب الفِدام «روى ابن بسام قول الرضي :

ولما وقفنـا بالسراة غديةً … وقوفاً لتوديعٍ وردِّ سلامِ
نلثم مرتاباً بفضـل ردائه … فقلت هلالٌ بعد بدر تمام
وقبلته فوق اللثام فقال لي … هي الخمر إلا أنهـا بفدام»

وورد في باب النور والكمائم ما يأتي :

«ابو اسحق ابرهيم بن خفاجة أنشدها له صاحب الذخيرة وذكرناها في غير هذا الموضع عن صاحب المرقص :

وكمامةٍ حدر الصباح قناعهـا … عن صفحةٍ تندى من الأزهارِ
في أبطحٍ رضعتْ ثغور أقاحه … أخلاف كل غمامةٍ مدرار
نثرتْ بحجر الروض فيه يد الصبا … درر الندى ودراهم النوّار
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدتْ … حلي الحباب سوالف الأنهار
فحللتُ حيث الماء صفحة ضاحكٍ … جذل وحيث الشط بدء عذار

والريح تنفض بكرةً لمم الربى — والطل ينضح أوجه الأشجار
متقسم الألحاظ بين محاسنٍ — من ردف رابيةٍ وخصر قرار
وأراكةٍ سجع الهديل بفرعها — والصبح يسفر عن جبين نهار
هزّتْ له أعطافهـا ولربمـا — خلعتْ عليه ملاءة الأنوار »

بقي علينا أن نعلم أكان لهذه المجموعة اسم خاص سقط مع ورقة أو أكثر من أولها ، وإذا كان كذلك فما هو اسمها ؟ ذكر السيد سعدي أن والده السيد عبد الرحمن صاحب هذه المجموعة « جمع كتاباً لطيفاً في الأدب سماه (بواكير الحدائق والغرف) فلم يتم ولكن اقتطف منه كتاباً مختصراً سماه (دستبجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف) وأرسله لقدسي زاده النقيب بالممالك العثمانية » . وفي خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من هذا المختصر الأخير منقولة عن نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠١) أدب . ورد في مقدمتها قول المؤلف : « ... وبعد فلما كان كتابي بواكير الحدائق والغرف ... لم يبلغ الآن مبلغ الكمال ... عولتُ حينئذ على قطافها عند الشروع ، وأخرجتها في تضاعيف هذا المجموع ، ووسمته بدستبجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف » .

فالأرجح بعد كل ذلك أن يكون اسم هذه المجموعة (بواكير الحدائق والغرف) .

خليل مردم بك

الاصطلاحات الفلسفية

-٢-

الإرادة

في اللاتينية	Voluntas
في الفرنسية	Volonté
في الانكليزية	Will

الإرادة موضوعة في اللغة لتعيين ما فيه غرض ، وهي في الأصل طلب الشيء ، أو شوق الفاعل الى الفعل ، اذا فعله كف الشوق وحصل المراد (ابن رشد ، تهافت التهافت ص ٤) .

ويشترط في هذا الشوق الى الفعل أن يشعر الفاعل بالغرض الذي يريد بلوغه ، وأن يتوقف عن النزوع اليه توقفاً موقتاً ، وأن يتصور الأسباب الداعية اليه ، والأسباب الصادة عنه ، وأن يدرك قيمة هذه الأسباب ، ويعتمد عليها في عزمه ، وأن ينفذ الفعل في النهاية أو يكف عنه . (Lalande, Vocabulaire de Philosophie, art. Volonté)

فالارادة بهذا المعنى العام هي صورة الفاعلية الشخصية . ولها عند الفلاسفة عدة معان :

١ — الارادة هي نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه . وهي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل ، ثم جعلت اسماً لنزوع النفس الى شيء مع الحكم فيه انه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل . والنزوع الاشتياقي ، والميل المحبة والقصد (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، مادة الارادة) .

فاذ قلنا هذا الرجل قوي الارادة ، وذاك ضعيف الارادة ، دلت الارادة على اتصاف صاحبها بنزوع واع متمكن من نفسه ، وهو نزوع يدفعه الى الفعل بالرغم من مقاومة النزعات الأخرى . فالارادة بهذا المعنى صفة من صفات السجية . وهي تدل بالجملة على نزعة نهائية مستقرة ، أو ميل قوي يحمل صاحبه على الفعل ، ولا يشترط في هذا الميل أن يكون عقيب اعتقاد النفع كما ذهب اليه المعتزلة ، بل مجرد ان يكون حاملاً على الفعل بحيث يستلزمه ويجامعه ، وان تقدم عليه بالذات .

٢ – الارادة هي القوة التي هي مبدأ النزوع وتكون قبل الفعل .

٣ – الارادة هي اعتقاد النفع أو ظنه ، وقيل ميل يتبع ذلك ، فاذا اعتقدنا ان الفعل الفلاني فيه جلب نفع ، أو دفع ضرر ، وجدنا من أنفسنا ميلاً اليه (المواقف للايجي وشرحها للجرجاني ، جزء ٦ ، ص ٢١٥) . والقائل بذلك كثير من المعتزلة ، قالوا ان نسبة القدرة الى طرفي الفعل على السوية ، فاذا حصل اعتقاد النفع أو ظنه في أحد طرفيه ، ترجح على الآخر عند القادر ، وأثرت فيه قدرته .

٤ – والارادة صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه (تعريفات الجرجاني) ، حتى لقد قال الأشاعرة انها صفة مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع في وقت معين ، وليست مشروطة باعتقاد النفع أو بميل يتبعه ، فان الهارب من السبع ، اذا ظهر له طريقان متساويان في الافضاء الى النجاة ، فانه يختار أحدهما بارادته ، ولا يتوقف في ذلك الاختيار على ترجيح أحدهما لنفع يعتقده فيه ولا على ميل يتبعه (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، مادة الارادة) .

٥ — والارادة في علم الأخلاق هي الاستعداد الخلقي ، وهو إما أن يكون عاماً ، وإما أن يكون خاصاً . فالارادة الصالحة (Bonne volonté) هي العزم الصادق على فعل الخير ، أو هي استعداد الشخص للقيام بالفعل على قدر طاقته . والارادة السيئة (Mauvaise volonté) هي الارادة المتوجهة الى الشر ، أو هي على الأخص صفة رجل يحاول التملص من واجباته ، فلا يقوم بها إلا إذا كان مجبراً عليها .

٦ — ومن الاصطلاحات المألوفة عند فلاسفة القرن الثامن عشر الإرادة العامة (Volonté générale) وهي صفة عاقل يدرك عنـد تجرده من الأهواء ما يستطيع أن يطلبه من أبناء جنسه وما يحق لأبناء جنسه أن يطلبوه منه . قال ديدرو : « الإرادة الجزئية ظنون ، والارادة العامة صالحة . ولكن قد تقول لي : أين مقر هذه الارادة العامة ، أين يمكنني أن أستشيرها ؟ (الجواب على ذلك) ان هذه الارادة العامة موجودة في مبادئ الحق المكتوب عند جميع الأمم المتمدنة ، وفي الأعمال الاجتماعية للبربر والمتوحشين ، وفي اتفاق أعداء الجنس البشري على بعض الأمور اتفاقاً ضمنياً ، وفي السخط والألم اللذين وهبتهما الطبيعة للحيوان ليقوما عنده مقام القوانين الاجتماعية والانتقـام العام » . Diderot, Article, Droit Naturel (Morale) (de l'Encyclopédie

وقال روسو : « هنالك في الأغلب فرق بين الإرادة العامة وإرادة الكل . فالأولى لا تهتم إلا بالمصلحة المشتركة ، أما الثانية فتهتم بالمصلحة الخاصة ، لأنها ليست سوى مجموع من الإرادات الجزئية » (J. J. Rousseau, Contrat social. liv. II. ch . III) . إن هذه الإرادة العامة هي الأساس الشرعي لكل سيادة . ويشترط في شرعيتها : (١) أن تختص بالمصلحة المشتركة .

(٢) وأن تؤيدها أكثرية المواطنين بعد استشارتهم جميعاً . (٣) وأن لا تتخذ قراراتها لمصلحة شخص دون آخر . ان كل فعل من أفعال السيادة، أعني كل فعل شرعي من أفعال الارادة العامة يجبر جميع المواطنين، أو يرعى حقوقهم على قدم المساواة، فلا يراعي الحاكم إلا الصالح العام ولا يرجح مصلحة فردية على أخرى . ان الارادة الجزئية تميل بطبيعتها الى الترجيح، أما الإرادة العامة فلا تميل إلا الى المساواة .

٧ — ومن اصطلاحات علماء الاجتماع الارادة المشتركة أو الارادة الجماعية (Volonté Collective) وهي إرادة المجتمع من حيث هو موجود واحد .

٨ — ومن اصطلاحات (وليم جيمس) إرادة الاعتقاد (Will to believe)، وهي التسليم باعتقادات لا يستطيع العقل أن يبرهن على صدقها، ولكنه يقبلها مع ذلك لعدم تناقضها، وللمنافع العملية التي تنشأ عنها . من هذه الاعتقادات الثقة بالنفس، فهي نافعة في الحياة، لأنها تزيد قوة الانسان وتعينه على النجاح في أعماله .

٩ — والإرادة عند بعضهم هي الفاعلية الدائمة المتجهة الى جهة معينة وان كانت لاشعورية، أو هي النزعة الأساسية لكائن واحد أو لجميع الكائنات، كإرادة الحياة، أو إرادة القوة، أو إرادة الشعور .

أما إرادة الحياة (Volonté de vivre) فهي عند (شوبنهاور) المبدأ الكلي للجهد الغريزي الذي يحقق به كل كائن مثال نوعه، ويناضل ضد الكائنات الأخرى لاستبقاء صورة الحياة الخاصة به .

وأما ارادة القوة (Volonté de puissance) فهي في نظر (نيتشه) مضادة لمعنى الحياة عند (سبنسر)، ولنزوع الموجود الى التثبت في الوجود عند (اسبينوزا)، ولارادة الحياة عند (شوبنهاور) . وهي مبدأ للوح قيم جديدة،

إلا أن الضعفاء يعوقونها عن بلوغ غايتها بتألبهم عليها ، وبتمسكهم بالقيم الخلقية المألوفة ·

وأما إرادة الشعور (Volonté de Conscience) فهي عند (فوييه) نزعة أساسية تؤثر في حياة الانسان العقلية والشعورية ، كما تؤثر في تطور الكائنات الحية · إن أول مظهر لهذه النزعة الأساسية ميل الكائن الحي إلى إرجاع كل شيء إلى ذاته ، وشعوره بأنه مركز الجاذبية ، وان جميع الموجودات الأخرى وسائط يعتمد عليها في فعله وزيادة قوته ووعيه · ولكن هذا النزوع الأناني لا يخلو من الغيرية لأنه يستلزم التفكير في الآخرين ، كما يقتضي الشعور بذوات أخرى ينصب الانسان نفسه أمامها · ففي كل نزوع أناني إذن نزعة غيرية ·

١٠ — وفرّقوا بين الاختيار والارادة فقالوا الإرادة نزوع النفس وميلها الى الفعل ، أما الاختيار فهو ميل مع تفضيل ، كأن المختار ينظر الى طرفي المقدور ، والمريد لا ينظر إلا إلى الطرف الذي يريده · قال الفارابي : « إن الانسان قد يتقدم فيختار الأشياء الممكنة ، ونقع إرادته على أشياء غير ممكنة ، مثل ان الانسان يهوى أن لا يموت · والارادة أعم من الاختيار ، فان كلّ اختيار إرادة ، وليس كل إرادة اختياراً » · (الفارابي ، رسالة المعلم الثاني في جواب مسائل سئل عنها ، ص ٩٨) · وأصل الاختيار افتعال من الخير · ولذا قيل الاختيار ترجيح الشيء وتخصيصه وتقديمه على غيره ، وهو أخص من الارادة والمشيئة · نعم قد يستعمل المتكلمون الاختيار بمعنى الارادة أيضاً حيث يقولون فاعل بالاختيار وفاعل مختار ، ولكن الاختيار لم يرد بمعنى الارادة في اللغة ·

وفرقوا أيضاً بين الارادة والشهوة ، فقالوا إن الانسان قد يريد شرب دواء كريه فيشربه ولا يشتهيه ، بل ينفر عنه ، وقد يشتهي ما لا يريده بل يكرهه ، ولهذا قالوا إرادة المعاصي مما يؤاخذ عليها دون شهوتها ٠

وفرقوا أخيراً بين الإرادة والمشيئة فقالوا الإرادة طلب الشيء والمشيئة الايجاد ، ولكن المشيئة في الأصل مأخوذة من الشيء وهو اسم للموجود ، وكذلك الارادة فهي تقتضي الوجود لا محالة ٠ فلا فرق إذن بين الإرادة والمشيئة إلا بالنسبة الى الإنسان ، لأن إرادة الانسان قد تحصل من غير أن تتقدمها إرادة الله ، ومشيئته لا تكون إلا بعد مشيئته ٠ أما بالنسبة الى الله فان الإرادة والمشيئة بمعنى واحد ٠

١١ — والارادة إذا استعملت في الله دلت على معنى سلبي ، ومعناه أنه تعالى غير مغلوب ولا مستكره ، أو على معنى ثبوتي ، ومعناه العلم أو صفة زائدة على العلم ٠ والفلاسفة الذين يقولون ان إرادة الله ليست صفة زائدة على ذاته كإرادتنا يقررون ان إرادته عين حكمته وحكمته عين علمه ٠ والإرادة حقيقة واحدة قديمة قائمة بذاته تعالى ، إذ لو تعددت إرادة الفاعل المختار أو تعلقها لم يكن واحداً من جميع الجهات ٠ وقد قال الحكماء إن إرادته تعالى هي علمه بجميع الموجودات من الأزل الى الأبد ، وبأنه كيف ينبغي أن يكون نظام الوجود حتى يكون على الوجه الأكمل ، وبكيفية صدوره عنه حتى يكون الموجود على وفق المعلوم في أحسن نظام من غير قصد ولا شوق ، ويسمون هذا العلم عناية ٠ وهذا كله يدل على أن الارادة بمعنى الميل أو النزوع أو الشوق لا تستعمل في الله ، لأنه تعالى غني عن كل نزوع وميل ، فمتى قيل أراد فمعناه حكم انه كذا وليس بكذا ٠

١٢ — والارادة عند المتصوفين هي ابتداء الكد وترك الراحة ، حتى لقد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال (الجنيد) : الارادة أن يعتقد الانسان الشيء، ثم يعزم عليه ثم يريده . ولا تكون إلا بعد صدق النية ، وقيل هي الإقبال بالكلية على الحق والاعراض عن الخلق وابتداء الحكمة . قال ابن سينا : «أول درجات حركات العارفين ما يسمونه هم الإرادة ، وهو ما يعتري المستبصر باليقين البرهاني أو الساكن النفس الى العقد الايماني من الرغبة في اعتلاق العروة الوثقى ، فيتحرك سره الى القدس لينال من روح الاتصال ، فما دامت درجته هذه فهو مريد» . (ابن سينا ، الاشارات ، ص ٢٠٢) .

الاستدلال

في اللاتينية	Ratiocinatio
في الفرنسية	Raisonnement
في الانكليزية	Reasoning

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

الاستدلال في اللغة العربية طلب الدليل ، وفي عرف الأصوليين والمتكلمين النظر في الدليل سواء كان استدلالاً بالعلة على المعلول أو بالمعلول على العلة . وقد يخص الأول باسم التعليل والثاني باسم الاستدلال . ولكن الأولى أن يطلق الاستدلال على إقامة الدليل لا على النظر في الدليل ، لأن الدليل قول مؤلف من أقوال يلزم من تسليمها لذاتها قول آخر ، وليس الاستدلال به النظر في الدليل وإنما هو إقامة الدليل .

والاستدلال عند بعضهم هو انتقال الذهن من الأثر الى المؤثر ، أو من المؤثر الى الأثر ، أو من أحد الأثرين الى الآخر (تعريفات الجرجاني) . فاذا كان انتقالاً من الأثر الى المؤثر أو من المعلول الى العلة سمي استدلالاً أنياً ، واذا كان انتقالاً من المؤثر الى الأثر أو من العلة الى المعلول سمي استدلالاً لمياً .

والاستدلال في اصطلاحنا هو تسلسل عدة أحكام مترتبة بعضها على بعض ، بحيث يكون الأخير منها متوقفاً على الأول اضطراراً ، فكل استدلال هو إذن انتقال من حكم الى آخر ، لا بل هو فعل ذهني مؤلف من أحكام متتابعة إذا وضعت لزم عنها بذاتها حكم آخر غيرها . وهذا الحكم الأخير لا يكون صادقاً إلا اذا كانت مقدماته صادقة .

وهذا كله يدل على أن المنطق وعلم النفس كليهما يشتركان في بحث الاستدلال . إلا أن المنطقي ينظر في الاستدلال الكامل من حيث هو مؤلف من قضايا مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً ضرورياً ، فيعرف أنواع الاستدلال ، ويرتبها بحسب قيمتها ، ويفرق بين الاستدلالات المنتجة والاستدلالات غير المنتجة ، أما العالم النفسي فيبحث في الاستدلال من حيث هو فعل ذهني لا من حيث هو صحيح أو فاسد ، فقد تختلف قيمة الحجج العقلية في نظر المنطقي من حيث قربها من الصواب أو بعدها عنه ، ولكن قيمتها في نظر العالم النفسي واحدة ، لأنه إنما ينظر في حركة الذهن ، وكيفية تكون الحجج العقلية ونشوئها ، لا في صحتها وفسادها .

والمتقدمون من فلاسفتنا يقسمون الاستدلال الى ثلاثة أنواع : القياس والاستقراء ، والتمثيل ، « وذلك لأنه اما أن يحكم على الجزئي لثبوت ذلك الحكم في الكلي وهو القياس ، أو يحكم على الكلي لثبوته في الجزئي وهو الاستقراء ، أو يحكم على الجزئي لثبوت الحكم في جزئي آخر وهو التمثيل » (راجع لباب الاشارات لفخر الدين الرازي ، وهي تهذيب اشارات ابن سينا ، ص ٣٢ من طبعة مصر ، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين لفخر الدين الرازي ، ص ٣٢ مع تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي في ذيله) .

والأولى أن يقسم الاستدلال الى استنتاج ، واستقراء ، وتمثيل ، لأن الاستنتاج

أعم من القياس ، وكل قياس فهو استنتاج ، وليس كل استنتاج قياساً (راجع : القياس ، والاستنتاج ، والاستقراء) .

وجملة القول ان الاستدلال هو استنباط قضية من قضية أو من عدة قضايا أخرى ، أو هو حصول التصديق بحكم جديد مختلف عن الأحكام السابقة التي لزم عنها . والمعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الاستدلال هي المعرفة غير المباشرة ، أما المعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الحدس فهي المعرفة المباشرة ، وتسمى الأولى معرفة استدلالية أو كلامية (Connaissance discursive) والثانية معرفة حدسية (Connaissance intuitive) (راجع الحدس) .

الاستعداد

في اللاتينية Dispositio
في الفرنسية Disposition
في الانكليزية Disposition

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستعداد للشيء هو التهيؤ له ، وعند فلاسفة القرون الوسطى هو كيفية تحصل للشيء بتحقق بعض الأسباب والشرائط ، وارتفاع بعض الموانع . وتسمى تلك الكيفية استعداداً ، والقبول اللازم لها إمكاناً استعدادياً وقوة . فللاستعداد إذن معنيان أحدهما الكيفية المهيئة والثاني القبول اللازم لها . قال ابن سينا : «وليس الاستعداد الا مناسبة كاملة لشيء بعينه هو المستعد له . وهذا مثل ان الماء اذا أفرط تسخينه فاجتمعت السخونة الغريبة والصورة المائية ، وهي بعيدة المناسبة للصورة المائية ، وشديدة المناسبة للصورة النارية ، فاذا أفرط ذلك واشتدت المناسبة اشتد الاستعداد فصار من حق الصورة النارية أن تفيض ومن حق هذه أن تبطل» (ابن سينا ، النجاة ص ٤٦٢) . فاستعداد الشيء هو

إذن كونه بالقوة القريبة (prochaine) الى الفعل أو البعيدة عنه (éloignée) وهو أقل ثبوتاً من العادة .

ونحن نطلق اليوم اسم الاستعداد على الأهليـة (Aptitude) وهي صفة جسمانية أو نفسانية تجعل صاحبها أهلاً لممارسة عمل معين . والاستعداد بهذا المعنى مألوف عند علماء النفس المعاصرين : قال (كلاباريد ـ Claparède) : « ان معنى الأهلية يتضمن معنى الاستعداد الطبيعي والاختلاف الفردي . قد نتكلم أحياناً على الأهليات المكتسبة ونعني بذلك في الحقيقة استعداداً طبيعياً للاستفادة من التجربة ، أو لاكتساب عادة أو سرعة ومهارة . فلو كان لجميع الناس قابلية واحدة واستعداد واحد للاستفادة من التعلم لما كان لمعنى الأهلية فائدة » ، (راجع كتابه Comment diagnostiquer les aptitudes chez les écoliers (1924)).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستقراء

في اللاتينية	Inductio
في الفرنسية	Induction
في الانكليزية	Induction

الاستقراء في اللغة التتبع ، من استقرى أو استقرأ الأمر اذا تتبعه لمعرفة احواله ، وعند المنطقيين هو الحكم على الكلي لثبوته في الجزئي . قال الخوارزمي : « الاستقراء هو تعرف الشيء الكلي بجميع اشخاصه » (مفاتيح العلوم ص ٩١ من طبعة مصر) ، وقال ابن سينا : « الاستقراء هو حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي ، اما كلها وهو الاستقراء التام ، وأما أكثرها وهو الاستقراء المشهور » (النجاة ص ٩٠) .

فالاستقراء إذن قسمان تام وناقص .

١ — أما الاستقراء التام (Induction complète) فيسميه بعضهم قياساً مقسماً . ونحن نسميه استقراء صورياً (Formelle) وهو كما بين أرسطو حكم على الجنس لوجود ذلك الحكم في جميع أنواعه . مثال ذلك الجسم اما حيوان أو نبات أو جماد ، وكل واحد من هذه الأقسام متحيز ، فينتج من ذلك ان كل جسم متحيز . وهذا الاستقراء التام الحاصر لجميع الجزئيات مبني على القسمة . ويشترط في صدقه أن يكون حاصراً لجميع أقسام الكلي وأن لا يؤخذ جزئي مشكوك فيه في أجزاء القسمة . والفرق بين هذا الاستقراء الصوري والقياس ان القياس يحكم على جزئيات الكلي لوجود ذلك الحكم في الكلي ، أما الاستقراء الصوري فيقلب هذا الأمر ويحكم على الكلي لوجود ذلك الحكم في جميع جزئياته ، وهو نافع في البراهين لأنه يلخص الأحكام الجزئية ويجمعها في حكم كلي واحد .

ومن أنواع الاستقراء التام الاستقراء الرياضي (Induction mathématique)، وهو انتقال من الخاص الى العام أو من العام الى الأعم . وهذا الاستقراء الذي ذكره (هنري بوانكاره) فبين أن القضية اذا كانت صادقة بالنسبة الى (ق = ١) و (ق = ٢) كانت صادقة بالنسبة الى جملة (ق + ١) وغيرها من الأعداد التامة ، كان (بوترو) قد أشار اليه قبله فبين أن الرياضيين يبرهنون أولاً على قضية خاصة جزئية ثم ينتقلون منها الى قضية أعم منها . ويسمي (هنري بوانكاره) هذا الاستقراء الرياضي بالاستدلال الارجاعي (Raisonnement par récurrence) (راجع هذا اللفظ) .

٢ — وأما الاستقراء الناقص فهو الحكم على الكلي بما حكم به على بعض جزئياته ، وانما قلنا على بعض جزئياته لأن الحكم لو كان موجوداً في جميع الجزئيات لم يكن استقراء ناقصاً بل استقراء تاماً . والمثال في ذلك ان حجم

كل (غاز) متناسب والضغط الواقع عليه تناسباً عكسياً ، لأن الهيدروجين والأوكسيجين والآزوت وغيرها تحقق ذلك . ففي هذا الاستقراء انتقال من الحكم على بعض جزئيات الكلي الى الحكم على جميع جزئياته ، وهو لا يفيد يقيناً تاماً ، بل يفيد ظناً لجواز وجود جزئي آخر لم يستقرأ ويكون حكمه مخالفاً للجزئيات التي استقرئت . « بل ربما كان المختلف فيه والمطلوب بخلاف حكم جميع ما سواه » (ابن سينا ، الاشارات ص ٦٤) . ويسمى هذا الاستقراء الناقص استقراء موسعاً (Amplifiante) لأنه لا ينحصر في الجزئيات التي استقرئت ، بل يتعداها كما قلنا الى جزئيات لم تستقرأ ، ويسمى أيضاً استقراء علمياً لأنه ينتقل من الحوادث الى القانون ، أي من الحكم على الحقائق المشاهدة في زمان ومكان محدودين الى الحكم على جميع الحقائق حكماً عاماً غير محدود بزمان أو مكان ، وقد وضع (بيكون) و (استوارت ميل) قواعد لهذا الاستقراء تسمى بقواعد الاستقراء . (راجع طريقة الاتفاق ، وطريقة الاختلاف ، وطريقة البواقي ، وطريقة التلازم في التغير) . وهي موضوعة لاختبار صحة الفروض العلمية ، إلا انها لا تبرهن على صدق القانون إلا بالنسبة الى الحقائق المشاهدة . فلماذا نسلم إذن بقانون طبيعي شامل لجميع الجزئيات ونحن لم نستقرئ هذه الجزئيات كلها ؟ لماذا اعتبرنا ما لم نشاهده بما شهدناه مع أن تجاربنا محدودة في الزمان والمكان ؟ الجواب على ذلك أننا نؤمن بالعلية ، ونعتقد أيضاً أن الطبيعة خاضعة لنظام عام ثابت لا يشذ عنه في المكان والزمان شيء . ويسمى هذا الاعتقاد مبدأ الحتمية Principe de déterminisme (راجع هذا اللفظ) .

وها هنا ثلاث مسائل لا بد من الإشارة اليها :

آ — هل يستند الاستقراء الناقص الى أساس نفسي ، ما هي العوامل النفسية التي تدعونا الى التسليم بصدق أحكام كلية لم نجربها الا في حالات جزئية محدودة ؟

ب — هل الاستقراء الناقص حق ، ماهي الشروط اللازمة لاختبار صحة الفرضيات .

ج — ما هو مبدأ الاستقراء ، هل يمكننا ان نرجع حالات الاستقراء كلها الى قاعدة منطقية محددة . (راجع Lalande , Vocabulaire de philosophie, art. induction)

الاستنتاج

في اللاتينية	Deductio
في الفرنسية	Déduction
في الانكليزية	Deduction

الاستنتاج في اصطلاحنا هو استخراج النتائج من المقدمات ، وهو اصطلاح جديد ، لا نجده في كتب التعريفات ، ولا في معاجم الاصطلاحات القديمة ، ولكننا نجد الفلاسفة القدماء يستعملونه في كلامهم على القياسات البرهانية دون أن يميزوا هذا الفعل الذهني عن صورة القياس . مثال ذلك قول ابن سينا : « المطلوب الضروري يستنتج في البرهان من الضروريات ، وفي غير البرهان قد يستنتج من غير الضروريات » (الاشارات ص ٨٣) ، وقوله : « وأما ان كانت المقدمة سالبة وأريد استنتاج موجبة بقياس الدور فلا يمكن الا أن يكون المطلوب خاص السلب عن الموضوع ، فلا يسلب عن غيره » (النجاة، ص ٨٤) . ولم يميز الاستنتاج من حيث هو فعل ذهني عن صورة القياس إلا في الأزمنة الأخيرة ، فأطلقه الفلاسفة المتأخرون على الاستدلال المؤلف من الحكم على صدق قضية تسمى بالتالي (Conséquence) ، لثبوت ذلك الحكم في قضية أو عدة قضايا تسمى بالمبادئ (Principes) . فالصفة الأساسية للاستنتاج هي إذن لزوم النتيجة عن المقدمات اضطراراً ، سواء كان ذلك الاستنتاج صورياً كالقياس ، أو تحليلياً أو تركيبياً كالبرهان الرياضي . فاذا أنكرنا النتيجة بعد التسليم بالمبادئ وقعنا في التناقض .

وللاستنتاج ثلاثة أنواع : الاستنتاج الصوري ، والاستنتاج التحليلي ، والاستنتاج التركيبي أو الانشائي .

أما الاستنتاج الصوري (Déduction formelle) فهو القيـاس (راجع هذا اللفظ) ، وهو استنتاج صدق قضية أو كذبها على افتراض صدق أو كذب قضية واحدة أو عدة قضايا . ومن صفاته : (١) لزوم النتيجة عن المقدمات اضطراراً . (٢) ليس في النتيجة علم زائد على المقدمات . (٣) لا تصدق النتيجه ولا تكذب الا على افتراض صدق المقدمات أو كذبها . وهذه الصفة الأخيرة تدل على ان الاستنتاج الصوري هو استنتاج شرطي .

وأما الاستنتاج التحليلي (Déduction analytique) فهو الاستدلال المؤلف من مقدمات مركبة اذا وضعت استخرج العقل منها بسائط داخلة فيها كالبرهان التحليلي (في الرياضيات) المؤلف من سلسلة من القضايا أولها القضية المراد اثباتها وآخرها القضية المعلومة . فاذا انتقلنا من الأولى الى الأخيرة كانت كل قضية نتيجة للتي بعدها ، وكانت القضية الأولى نفسها نتيجة للقضية الأخيرة وصادقة مثلها .

وأما الاستنتاج التركيبي (Déduction synthétique) أو الانشائي (constructive) فهو الانتقال من المبادئ البسيطة الى النتائج المركبة ، مثال ذلك التركيب الرياضي الذي تلزم فيه النتيجة عن المبادئ اضطراراً . وقد سمي انشائياً لأن نتيجته ليست داخلة في مقدماته . بل هي لازمة عنها وزائدة عليها . ان مساواة مجموع زوايا المثلث لزاويتين قائمتين ليست قضية داخلة في القضية المتقدمة عليها في كتاب الهندسة ، بل هي حلقة جديدة في السلسلة لازمة عن الحلقات السابقة اضطراراً . فكل قضية جديدة تكسبنا علماً جديداً زائداً على المقدمات ، وتنقلنا من المعلوم الى المجهول . كأنّ هناك بناء ينشئه العقل إنشاء ، ويركبه تركيباً . والفرق بين هذا الاستنتاج والقياس أن القياس هو

انتقال من العام الى الخاص ، أما الاستنتاج الانشائي فهو انتقال من الخاص الى العام أو من العام الى الأعم . والنتيجة في القياس داخلة في المقدمات ، في حين ان علاقة المقدم بالتالي في الاستنتاج الرياضي ليست علاقة شمول أو تضمن وإنما هي علاقة التزام . لذلك قال دبكارت : القيـاس المنطقي عقيم ، والاستنتاج الرياضي منتج .

ثم ان الاستنتاج والاستقراء متقابلان ، والطريقة الاستنتاجية المستعملة في العلم الرياضي مضادة للطريقة التجريبية والاستقرائية المتبعة في العلم الطبيعي . ولكن (استوارت ميل) زعم أن هناك تقابلاً بين الاستقراء والقياس ، لا بين الاستقراء والاستنتاج ، لأن الاستقراء هو انتقال من الخاص الى العام ، والقياس انتقال من العام الى الخاص . أما البرهان الاستنتاجي فهو سلسلة من الاستدلالات العقلية المضادة للبرهان التجريبي لا للاستقراء .

وقد زعم دبكارت ان الاستنتاج والحدس متقابلان ، لأن الحدس هو الادراك المباشر لعلاقة المبادئ بالنتائج ، أما الاستنتاج فهو حركة فكرية متصلة تدرك الأشياء واحداً بعد آخر ادراكاً بديهياً . فالعقل اللامتناهي يدرك النتائج في المبادئ دفعة واحدة ، أما العقل المتناهي فلا يدرك إلا عدداً محدوداً من الحقائق ولا يصل الى النتيجة إلا بعد نسيان المبادئ الأولى .

والاستنتاج المتعالي (Déduction transcendentale) عند (كنط) هو البرهان على امكان انطباق الكليات القبلية (a priori) على التجربة ، وهو مقابل للاستنتاج التجريبي القائم على استخراج الكليات العقلية من التجربة الحسية .

(يتبع) جميل صليبا

رسالة الأنوار
المقتبسة من أوار النار

لأمين الدين أبي الفضل عبد المحسن بن حمّود التنوخي

دالت الدولة الأموية ، وانتقلت عاصمة الدولة من دمشق إلى بغداد ، ولكن ظلت بلاد الشام أمينة على التراث الأدبي العربي ، تتعهده وتنميه ، وظلت حواضرها موئل البلغاء من الكتاب والشعراء ، ما انقطع نبوغهم فيها وورودهم إليها . وكان قيام بعض الأسر العربية بتولي شؤونها وتدبير أمورها عوناً على تعهد الأدب حتى لا تنطفئ شعلته ولا تصوّح نبتته . وفي شيء من ذلك يقول أبو منصور الثعالبي في يتيمته : « لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام ... والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على مَن سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد .. ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينتقده ... انبعثت قرائحهم في الإجادة فقادوا محاسن الكلام بألين زمام وأبدعوا ما شاءوا ... »[1]

---

(١) يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر للثعالبي ، (ص ٨ ج ١ ط القاهرة سنة ١٩٣٤) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وظل الأدب الجيد بأرز إلى الشام حتى في العصور التي زهد الناس فيها به ، وانصرفوا عنه إلى الأدب المبتذل الرخيص .

وكان الأدباء يعقدون حلقات للمذاكرة والمناظرة والمحاضرة ويتناشدون أجمل الأشعار مما حفظوا أو نظموا ، وإذا كان في بعض مقامات الحريري وصف خيالي لمثل هذه المجالس الأدبية ففي «رسالة الأنوار» التي ننشرها اليوم وصف حقيقي لجلسة أدبية طريفة ضمت فئة من فضلاء الشام في القرن السادس ، أداروا القول فيها على وصف النار والفحم ، ورووا محاسن ما جاء به الشعراء المتقدمون والعصريون في ذلك .

أما مؤلف هذه الرسالة فهو أمين الدين أبو الفضل عبد المحسن بن حمود [1] بن المحسن التنوخي الحلبي الكاتب ، ولد سنة ٥٧٠ / ١١٧٤ ورحل وسمع بدمشق من جماعة من جلة علمائها ، وعُني بالأدب . وقد كتب لصاحب صرخد المملوك عز الدين ايبك ووزر له ، حتى قتل عز الدين سنة ٦٢٦ / ١٢٢٩ . ثم توفي المؤلف سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥ [2] .

كان التنوخي هذا شاعراً مجيداً ، وله ديوان شعر لم يصل إلينا ، ولكن صاحب فوات الوفيات [3] اختار من شعره نماذج جميلة أثبتها في ترجمته له ، وهي في الحث على طلب علم الحديث وفي الوصف والحكمة والغزل والعتاب ... ويذكر من ترجموا له أنه كان خيّراً ديّناً كامل الأدوات .

---

(١) يخطىء بروكلمان عندما يجعل هذا الاسم (محموداً) في كتابه : تاريخ الأدب العربي (G. A. L.) ج ١ ص ٢٥٧ وفي ذيله ج ١ ص ٤٥٧ .

(٢) ورد في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان تطبيع جعل وفاته سنة ٦٣٤ . ثم ورد التاريخ صحيحاً في الذيل .

(٣) في الجزء الثاني ص ١٠ ط بولاق سنة ١٢٩٩ .

وقد جمع كتاباً في الأخبار والنوادر في عشرين مجلداً ضاع في ثنايا الزمن ولم يصل الينا منه إلا اسمه ، على أن له كتاباً آخر عرفناه له ، واسمه (مفتاح الأفراح [١] في امتداح الراح) في الخمرة وشربها كان قد قدمه للأمير عيسى ابن أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٤ / ١٢٢٧ [٢] ، ومنه مخطوطات في برلين وڤينا والقاهرة ولندن [٣] .

أما الرسالة التي ننشرها له اليوم فلا أعلم أن أحداً ممن تحدثوا عنه قد ذكرها له . وقد وقعتُ عليها عندما كنتُ أنقب في خزانة كتب المجمع العلمي العربي ، فوجدتُ مصورة مخطوط رقمها ٦١ كان المجمع قد اشتراها سنة ١٩٤٣ من أحد الورّاقين الدمشقيين ، وكان قسم التصوير في مطبعة دار الكتب المصرية قد صورها سنة ١٩٣٣ . وقد علمتُ فيما بعد أن مخطوط هذه الرسالة كان موجوداً في خزانة كتب المرحوم الأستاذ الشيخ عبد القادر الطنطاوي الدمشقي ثم بيع في مصر منذ فترة إلى السيد أمين الخانجي ، ولا ندري أين مقر هذا المخطوط اليوم . ويبدو مما كتب على غلاف هذه الرسالة أنها كانت قد دخلت قبل ذلك في ملك أحد أعيان الشام وهو السيد عبد الكريم بن محمد الحسيني . وكانت هذه الرسالة مضمومة في كناش إلى كتاب (المختار من كتاب الحدائق) في البلاغة ومنثور الحكم من كلام الفضلاء ونوادر البلغاء والفصحاء ، وإلى ثلاث صفحات ألفها قاضي القضاة محيي الدين أبو المعالي محمد بن يحيى بن محمد بن علي في حل أبيات ثلاثة لابن الرومي . وهذا الكناش مصور برمته في

(١) في بعض نسخ (كشف الظنون) لحاجي خليفة : مفتاح الأرواح .
(٢) وهنا تطبيع آخر وقع في تاريخ الأدب لبروكلمان فقد جعل السنة ١١٢٧ .
(٣) ممن ترجم للمؤلف : محمد بن شاكر الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ في (فوات الوفيات) ، وراغب بن محمود بن هاشم الطباخ في الجزء الرابع من (اعلام النبلاء ، بتاريخ حلب الشهباء) طبعة حلب سنة ١٩٢٥ ، وجرجي زيدان في الجزء الثالث من (تاريخ آداب اللغة العربية) وبروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) ....

خزانة المجمع العلمي العربي ، وفي دار الكتب المصرية (تحت رقم ٨٥٠٣) ، كما يشير إلى ذلك الجزء السابع من قسم الفهارس العربية فيها (ص ٩٦) المنشور سنة ١٩٣٨ م[1] .

يقع مخطوط (رسالة الأنوار المقتبسة من أوار النار) في تسع وثلاثين صفحة ، في كل منها أحد عشر سطراً في الغالب وقد كتبت في مطلع القرن السابع وسمعها جماعة من كبار فضلاء ذلك العصر على مؤلفها ، تجد ثبتاً بأسمائهم في آخر الرسالة كما تجد تاريخ السماع واسم كاتبه هنالك .

وخط الرسالة واضح جلي وشكلها جيد صحيح في الجملة . على أن من عادة الناسخ أن يجعل أحياناً تحت السين ثلاث نقاط وتحت الدال نقطة واحدة ويسهل الهمز ويسقط بعض النقط ويجعل الهمزة ـ عندما يثبتها ـ تحت كرسيها ، وقد يضع نقطتين فوق الياء وفوق الألف المقصورة ... وفي هامش الرسالة تصويب واستدراك لما أخطأ فيه الناسخ ، أثبته من سمع الرسالة من مؤلفها .

*
**

أما هذه الرسالة فهي طرفة أدبية جميلة ، متينة النسج في جملتها ، مشرقة الأسلوب في سبكها ، فيها صورة دقيقة لناحية مما كان يعنى به أدباء القرن السادس من الأغراض والمعاني ، ونموذج جيد من نقدهم وذوقهم الأدبي . ولغتها سليمة على العموم ولكن بعض السجع الغالب على الرسالة غث متكلف .

يبدو صاحب الرسالة في مقدمتها برماً بعيشه في حلب ، مؤثراً المقام في دمشق ، ثم يظهر في ثنايا الرسالة اعتداده بنفسه ، وفخره بشعره ، وزهوه بأدبه ، واستصغاره أحياناً شأن من عاصره من الشعراء وهو في هذا يذكرنا بابن الأثير في مثله السائر .

وفي الصفحات التالية ننشر هذه الرسالة الفريدة لأول مرة :

(دمشق) عبد الهادي هاشم

---

(١) يجعل مفهرس دار الكتب رسالة الأنوار : مقامة أدبية في وصف نار الفحم ، وهو تطبيع صحيحه : في وصف نار الفحم .

رسالةُ الأنوار

المقتبسةِ من أُوار [١] النار

صنعة السيد الفاضل الصدر العدل الرضي ، أوحد دهره وفريد عصره ، مقدَّم الفصحاء والبلغاء ، أفضل الكتّاب والوزراء ، رئيس الأدباء والشعراء ، أمين الدين أبي الفضل عبد المحسن بن حمّود ابن المحسّن التنوخي الحلبي الكاتب ، أدام الله علاه ، وكبت حسّاده وأعداه .

بسم الله الرحمن الرحيم

كنتُ أمليتُ عليك ـ أطال الله في المجد الراسخ بقاءك ، وأدام في الجدّ الشامخ ارتقاءك ، في سعادة تحرس لك المراتب ، وتُخرس عنك لسان العايب والعاتب ، ـ بعد محاضرة تجاذبنا أطراف طُرفها ، ومذاكرة تشاربنا سُلاف سُلَفيا [٢] ، ماجرى لي بحلب ، مع سادة من أهل الأدب ، وجماعة من أتراب الرُتب ، يُعْجِب الأسماعَ حديثُه ، ويُطْرِب الطباعَ قديمُه وحديثه ، وتستطرفه النفوس ، ويستلطفه الرئيس والمرؤوس ، تُعقَد عليه الخناصر ، ولا يُمَلّ إيرادُه المتناصر [٣] ، فهزّك طربا ، واستفزّك عُجْباً وعَجَبا ، واقترحتَ عليّ الاهتمام بتسجيله ، واقتدحتَ زناد الاعتزام لتعجيله ، واستفتحتَ بالتعوذ من تأخيره وتأجيله ، فأُنسيتُه «وما أنسانيه إلا الشيطان» [٤] ، وأهملتُه إهمالاً ألْوَمَنيه

---

(١) الأُوار : اللهب .

(٢) ضبطت هذه الكلمة في الأصل المسموع على المؤلف بفتح السين ، ولكننا نرى الضم أولى ، ومعنى السُلفة في اللسان : ما تدخره المرأة لتتحف به من زارها .

(٣) تناصرت الأخبار : صدّق بعضها بعضاً .

(٤) اقتباس من الآية الكريمة ٦٤ من سورة الكهف ١٨ .

الحرمان ؛ ثم أجْلَت[1] عن الخاطر الغُمّة ، وانجابت عن الناظر الظلمة ، وادّكرته ولكن بعد أمّة[2] ، فأودعته صحيفة لطيفة ، لتكون على متحمّلها خفيفة ، وإلى متحفّظها أليفة .

وذلك أنه لما كانت سنة ست وتسعين وخمس مائة حدث لي من الضجر بحلب في صفر ، ما أوجب لي عنها السفر ، ونعب به طائر البَيْن وصَفّر ؛ فخرجتُ منها لا خائفًا مترقّبًا[3] ، بل عن أهل الفضل منقبًا ، ورأيت من وجوه الأمل سافرًا ما كان مُتَنقّبًا ، وسعيتُ لأعلام العلوم متطلّبًا ، ومع تصاريف الصروف متقلّبًا .

فلما أظفرَتني بدمشقَ يدُ السَّفَر ، وأسفرتْ لي بها طلعةُ الظَّفَر ، ألفيتُها كما وصفها أهل الظَّرف ، وفيها كل ما يشوقَ القلبَ ويروق الطّرف ، وتلقّاني شيبُها وشبابُها[4] ، وشعراؤها وكتّابُها ، وخطباؤها وحسّابُها ، بما حسُن به عند نفسي اغترابُها ، وهَوّن به لديها وطنيها وأترابُها ، وأنساني حلب وإنْ كانت «أول أرض مَسّ جلدي ترابُها»[5] ؛ وحمّلني أهلها من الكرامة ، ما حملني على اتخاذها دار إقامة ، وقلتُ : الحمد لله الذي أحلّني من فضله دار المُقامة[6] ، وهززتُ جذوعَها فساقطت عليّ رُطَبًا جَنيًا[7] ، وامتريتُ ضروعَها فأدرّت لديّ حَلَبًا هنيًا ، وبلوتُ[8] بَنيها فألفيتُ كلاً بي حفيًا ،

---

(١) أجلى ، على اللزوم لا التعدية : تفرق وانفرج .

(٢) الأمة : الحين .

(٣) اقتباس من الآية الكريمة ٢٠ من سورة القصص ٢٨ .

(٤) في الأصل : وشبّانها ، وما أثبتناه أكثر ملاءمة لأسلوب المؤلف في هذه الرسالة .

(٥) هذا شطر من أبيات ثلاثة اختلف في قائلها وروايتها ، وأشار إلى بعضها أو كلها كثير من كتب اللغة والأدب كاللسان (في نوط) والأمالي (١ / ٨٣) وسمط اللآلي والكامل وزهر الآداب ....

(٦) اقتباس من الآية الكريمة ٣٢ من سورة الملائكة ٣٥ .

(٧) اقتباس من الآية الكريمة ٢٤ من سورة مريم ١٩ .

(٨) في الأصل : وحالفت ، وما أثبتناه مأخوذ عن الهامش .

فما أنسَ لا أنسَ الزمان الذي بها نوتّي وعيشاً كنتُ أنْهَبُه نهبا
وصحبةَ قوم كلّما شئتُ أن أرى وجوهَهم الغُرَّ الحسان أرى الشُّهْبا
وهل أنا ناسٍ ما يذكرني به أصيلُ نهاري والنسيمُ إذا هبّا

ولما كانت سنة ستمائة عُدتُ الى حلب لمهمة عرضَتْ ، ومداواة نفس بالشوق إلى إلفٍ لها مرضَتْ ؛ حتى إذا حللتُ برُحبها ، وحللتُ حُبا[1] السفر للإقامة بها ، واستراحت نفسي باستنشاء رَوْح صَباها ، لم أجد منها ما كنتُ أعهدُه من عمارة مَعْهَد صِباها ؛ فعلمتُ أن محاسن أهل دمشق قد أفسدَتْ عليَّ ناظري ، وأن إحسانهم قد شغل عن سواهم خاطري ، وخفتُ أن نفيظ[2] مهجتي ، لما كادت تفيض بهجتي .

وكان بحلب وزير فاضل ، يُعنَى بالأفاضل ، ويمطرهم سحائب الفواضل ، وهو نظام الدين أبو الحسين سبط جمال الدين بن الحصين ؛ فعطف عليَّ عطفةَ الظباء على الأطلاء ، وخفَّ إليَّ خفةَ المحبين إلى الأحباء[3] وجذبني الى الوطن ، بما قرُب من الوعظ وما شطن[4] ، ورغّبني في العود إلى العطن ، بما ظهر من النصح وما بطن ؛ فلم أزِدْ على طول الرياضة إلا شماساً ، ولم أفدْ على كثرة الترجّي إلا ياسا . وقد كان فاوضني في مثل هذا بدمشق ، وعارضني بأشدَّ من هذا القول وأشق ، وهيهات لا يؤثر معوَّل الباطل في صفَا الحق . فلما رآني بحلب ، توهم أن خِلْف خَلَبه قد حلب ، وحكم بأن مُضارب عَذْله جاب وجلب ، وحسب أن استعطافه قد خامر خِلْب[5] كَبِدي فَخَلَب ، وظنّ

---

(١) حلّ الأولى بمعنى نزل والثانية بمعنى فك ، والحبا أو الحبى بضم أوله وكسره جمع حبوة .

(٢) فاظ يفيظ : مات .

(٣) في الأصل : أطلائها ... وأحبائها . وما ذكرناه من تصحيح الطابع .

(٤) شطن : بَعُد .

(٥) خِلب الكبد : حجابها .

أنه ظفر مني بما كان طلب ؛ فجعل يبشرني بانجاح طلبي ، ويعدني بمخاطبة سلطانه بسببي ، ويقسم بالله جهد أيمانه ليجتهدن في إدراك أربي ؛ فلانت للمقام عريكتي ، وهامت في وادي الانتظار قروني [١] وبشرني التاع أسارير مسرتي ، بمساعدة القضاء على إنجاز قضيتي .

فبينا أنا ذات ليلة ليلاء ، مدلهمة سوداء ، تساورني من أساود الهموم كل ضئيلة رقشاء ، وبواثبني من أسود الطمع كل أغلب وغلباء ، إذ استدعاني الوزير بجماعة من أصحابه ، فيهم مقدم حجابه ، وأمامهم من المشاعل ما أعاد الليل نهاراً ، ومن الشموع ما خلته أشجاراً أثمرت نارا ، وشاع من أشعة أضوائها ما عاد به جرف الظلام منهارا ، وخيلت حنادس الظلماء جنات فاضت (عليها) [٢] أنوار (فأجرت خلالها) [٢] أنهارا . فأيقنت أن ليل الوفاء [٣] قد أقمر ، وعود الرجاء قد أثمر ، فنهضت نهوض المنشط من العقال ، وخرجت خروج من أفرج عنه بعد الاعتقال ، وجعلت أمشي مشية المختال ، وأهتز اهتزاز من أظفره بمراده لطف الاحتيال . فلما دخلت عليه ، أجلسني إليه ، وأكرم مثواي ، وهنأني ببلوغ مناي ، فسررت مرور الجدي بعد العدم ، والمهتدي بالعلم بعد الضلال في دياجير الظلم ، ونظرت فإذا مجلسه غاص بالفضلاء الخواص ، ومن ذوي الأدب ، بكل من شعر وكتب . وكان فيمن حضر من الأدباء ، سالم بن سعادة الحمصي [٤] المقدم في زمانه على الشعراء ، ذو الخاطر الماهر ، والشعر الباهر ، والطبع الذي هو لعواصي القوافي قاهر ، والفكر الذي هو لاقتناص شوارد المعاني ساهر ؛ إلا أنه قد

---

(١) القرونة والعريكة : النفس .

(٢) ما بين القوسين استدراك وزيادة في الهامش .

(٣) في الأصل الخط . وما ذكرناه مأخوذ عن الهامش .

(٤) شاعر معروف توفي سنة ٦١٨ ، وممن أشار إليه ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب) (٥/٨٤) ط . القاهرة سنة ١٣٥٠ .

أُرتِجَ عليه في ذلك المجلس ، وبين يديه صحيفة ينظر فيها ولا ينبس ، كأنما ينظر في صحيفة المتلمّس [١] ؛ فتأمّلتُ الصحيفة الملقاة ، فإذا فيها مكتوبٌ بعد بسم الله :

اِشربْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقا ... في شاذَمِهْرَ ودَعْ غُمدانَ لليمن

فأنت أولى بتاج المُلك تَلْبَسه ... مِن هوذةَ بن علي وابنِ ذي يزن [٢]

فقال لي الوزير ـ وكان ممن هو لخرائد المحامد زير [٣] ، وبيده زمام التدمير والتدبير ، بيد أن بده كانت مصانة [٤] عن التبذير ، ـ : إنه قد غُنِّيَ بين يدي السلطان بهذا الشعر فاستحسنه لما جلّته عليه ماشطةُ السُكر ، وخلع على قائله خِلَعَ الشكر ، وقال بعد ما أعمل في استحسانه عوامل الفكر : أمَا في أهل الأدب مجاب مَن ينظم فينا مثل هذا المعنى ، لنُحِلّه من الشرف أعلى مَغْنى ، ونجعله ممّن كان مُعْسِرا فاستغنى ؟ ثم أرسل بهذه الصحيفة إليّ ، وأمر باحضار الشعراء لديّ ، لأستمري [٥] مواطر خواطرهم المحلولة عزالي المزاد ، وأستقدح قرائحهم الواريةَ الزناد ، وأستقريَ كوامن ضمائرهم الهائمة في كل واد ، وقد نظم كلٌّ من جواهر بحره ما (عليه) [٦] تيسّر ، وتعسر على بعضهم ما تعسر ، وقد كنت مُفكراً فيما أعرّض به للسلطان مِن ذكرك ،

---

(١) المتلمس : جرير بن عبد المسيح نديم عمرو بن هند ملك الحيرة ، وقصة الصحيفة التي كتبها ابن هند إلى عامله بقتل المتلمس مشهورة في كتب الأدب .

(٢) يضبط الأصل هذا الشطر بفتح الميم في (من) وضم الهاء المتطرفة في هوذة والنون في (بن) و (ابن) . ولما ذهب إليه وجه يفضله في رأينا الشكل الذي أثبتناه . أما هوذة (وهو ابن علي الحنفي صاحب اليمامة ممدوح الأعشى) فقد ضبط بفتح فسكون كما هو المشهور ولكن ذهب قوم إلى ضم أوله وسكون ثانيه ، راجع في ذلك تاج العروس في (هوذ) .

(٣) حذف المؤلف الألف من آخر الكلمة التزاماً للسجع فيما يظهر وله وجه .

(٤) كذا في الأصل وليس في اللغة أصان ، ولعل الناسخ أخطأ فجعل مصانة بدل مصونة ، ولم يفطن السامع والمؤلف .

(٥) استمرى اللبنَ ونحوه : استخرجه واستدره .

(٦) زيادة من استدراكات الهامش .

وأتوصل به إلى مخاطبته في أمرك ، وقد اتفقتْ هذه الحركة ، وأرجو أن تكون مُفتَتَرِنة بالبركة ، ولصيد ما تُؤَمِّل شبكة ؛ فإن رأيتَ أن تشوي سمكتك في هذا الحربق ، وتُنيج الطريق ، وتَفرج المضيق ، بما تنظمه في هذا المعنى من شعرك الرقيق ، فافعل وبالله التوفيق . ثم أدنى إليَّ دواة وبيضاء ، وقال : استخرِ اللهَ يُستخِرْ لك القضاء . فأعملتُ جواد الجَنان ، فجرى وما كبا ، وسللتُ حسام اللسان ، ففرى وما نبا ، وكتبتُ ، ما به حاسدي كَبَتّ ، وهو :

أيام مُلكِ غياث الدين ذي المنن لدى رعيته من أشرف الزمن[١]
مَلْك خلائقه أصفى لرامقها إذا تأملها من رائق المزُن
وما زجتْ كلُّ ذي نطق مهابتُه لما بلوه امتزاج الماء باللبن
كأنما سيفُه والموتُ قد قُرنا وأنفسُ القوم يومَ الروْع في قَرَن
وأصبحتْ حلب البيضاء حين نوى اغتزاز بقلعتها من أحسن المدُن
عرينةَ الليث يحميها فكيف إذا كانت عرينتُه من أسمق القُنَن
فقل له يا غياثَ الدين قد فخرت بك العواصم في الدنيا على اليمن
لِمْ لا تتيه بك البلدان فاخرةً وأنتَ منها محلُّ الروح في البدن
فاشربْ بقلعتك الشهباء صافيةً صهباء تشفي سقام الهم والحزن
فأنتَ أحرى بمُلك الأرض أجمعها من سيف حمدان أو سيف بن ذي يَزَن[٢]
لا زاتَ ترفُل في بُرد العلى مرحاً ما غرّدتْ ذاتُ طوق في ذُرى غُصن

ثم أرسلَ مانظمه الجماعة الى السلطان ، على يد غلام من أفرَه الغلمان ، فوجده الغلام ، قد استولى عليه كأسا المنَام والمُدام ، وأصبح دمعُ كلٍّ من القوم

(١) في صلب النص (على) وفي الهامش (لدى) كما أثبتنا .

(٢) في الأصل المسموع على المؤلف فتحت ميم (من) والأواخر من (سيف) و (بن) . ولهذا الشكل وجه يفضله في رأينا ما أثبتناه . وجاء مثل ذلك في الصفحة السابقة ، راجع الحاشية الثانية فيها .

لآخر الجواب سائلا ، وراح كلٌّ منهم عمّا أنتجتْ عُشراه قضيته سائلا ، فلم يُسْمَعْ عن ذلك أثر ، ولا رؤيَ له عينٌ ولا أثر ٠

وكان ابنُ سعادة الحمصيُّ كثير الاجتماع بفارس بن سنان الحلبيِّ ، وكان فارسٌ من الشعراء المجيدين ، والأدباء المجدودين ، والفضلاء المجتهدين ؛ قد أربى على أقرانه ، وفاق أبناء زمانه ، وله كلُّ شاردة القوافي ، سالمةُ القوادم والخوافي ٠ فاجتمع به صبيحةَ الليلة التي فيها اجتمعنا ، ونَعِمْنا بالحضور والمحاضرة فيها واستمتعنا ، وأخبره بقدومي ، وبلغه تجبني وتسليمي ، فوافاني من الغد مسلِّما مُهنِّيا ، وناداني إلى منزله مستدعيا ؛ فأجبتُه الى مُراده ، وانطلقت معه طلْقَ العنان الى مَراده ؛ فاذا جماعةٌ من ذوي الأدب حاضرون ، وفي مَيْدان البيان مُحضِرون ، وبأنواع الفصاحة والبلاغة متحاضرون ، فاستبشروا بموردي ، وأقبلوا على تقبيل يدي ، فما استقرَّ بنا المجلس ، ولا رجَّع نفسَه المتنفِّس ، حتى أُحضِر كانونٌ من الصفر الأصفر ، وناره تحت فحمه كلابس مِغفر ، على قناع مزعفر [1] ، ودخانه أطيب من دُخان العودِ الأذفر ، شكله مربَّع ، وأرجلُه أربع ، وقد أحسن فيه صانعه وأبدع ، واستفرغ جُهْده فيه أجمع ، يستوقف حسنه الأبصار ، وتعوُز مثلَه الأمصار ، وتُشتهى ناره دخولَ النار ، في يوم بَرْدٍ (كأنّ) [2] كلَّ مُكْتَسٍ فيه عارٍ ، وما اكتساء الكساء فيه بعارٍ ، كأنما نارُه وقد أخذتْ في أطراف الفَحَم ، ثغرُ سوداء ابتسم ، أو الفجرُ افترَّ في وجه الظُّلَم ٠ فراق منظرُه الأعينَ ، وأفحم عن وَصف ناره وفَحمِه الألسنَ ؛ فقلتُ للحاضرين : أمَا ترون هذا المنظر البهيج ، كأنه صحن عقيق نُثِر عليه سَبَج ؟! [3] فقال مَن عن يميني : كأنّ منظره

---

(١) في المتن : معصفر . والذي أثبتناه مأخوذ عن الهامش .

(٢) زيادة في الهامش .

(٣) السبج : الخرز الأسود .

الأنبق ، بنفسج نضد على شقيق . وقال الآخر : ما أشبهه بطبق من ذهب ، مليء بسود من العنب . وقال رجل الى جانبه : كأنه أنامل سوداء مشبكة على نارنجة صفراء .

فقلت : أنتم شعراء العصر ، ومالكو زمام المد والقصر ، وفصحاء أبناء الدهر ، وبلغاء البدو والحضر ، ولكم في النظم كل عود نضر ، واليكم مرجع الأمر في صنعة الشعر . فما لكم وللنثر ، وقد جمع منكم هذا المكان سادة لا يساعد مثله على مثليا الإمكان ، ولا والله ليس له بأختها يدان ، ولو أطاع له القدر ودان ، فأنشدوا ياذوي الفضائل ، مارويتموه عن من رأيتموه من شعر الأوائل ، فلديكم من الرواية كل فن طائل . فقال صاحب المكان ، وهو فارس بن سنان : أجمل ما في مثل هذا أنشد ، وأجل ما به عليه استشهد ، قول ابن المعتز الذي يزداد حسناً كلما ردد :

كأنما النار في تلظيها والفحم من فوقها يغطيها (١)
زنجية شبكت أناملها من فوق نارنجة لتخفيها

وقال سالم بن سعادة ، الذي ما فوق بلاغته زيادة : أبلغ أقاويل الشعراء ، في نار الاصطلاء ، قول السري الرفاء :

وذي أربع لا يطيق النهوض ولا يألف السير فيمن سرى
تضمنه سبجاً أسوداً فيجعله ذهباً أحمرا (٢)

وقال الثالث ، فأنسى بإنشاده الثاني والثالث ، وهو أحمد اللالائي الذي هو لكل فضيلة متراثي : أشعر ما خرج من بين شفتين ، وأصنع ماولج في

(١) ليس هذان البيتان في ديوان ابن المعتز المطبوع في القاهرة وبيروت واستانبول ، وتنسبها بعض كتب الأدب إلى غيره وقد تجعل (تلبها) بدل (تلظيها) .

(٢) أثبت هذين البيتين للسري الرفاء الثعالبي في يتيمته (١/٥١٠ من طبعة القاهرة ١٩٣٤) ولكنه ذكر (تحمله) بدل (تضمنه) .

أذنين ، قولُ أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين [١] :

وممتد لا حراكَ ينبضه   وهو على أربع قد انتصبا
مصفرٍ محرقٍ تنفسه   تخاله العينُ عاشقاً وصبا
إذا نظمنا في جيده سبجاً   صيّره بعد ساعة ذهبا

وقال الرابع ، وهو شابٌ بحسن صورته رائع ، يَشغَلُ بصباحته الرائي ويُذهل بفصاحته السامع ، دهشتُ عن معرفته ، بما شهدتُ من معرفته : أطرفُ ما أُنشدَ في هذا المعنى المستجاد ، وألطف ما رُدِّدَ فيه الإنشاد ، ما نظمه فيه ظافرُ الحدّاد :

كأنْ سوادَ الفحم من فوق جمرهِ   وقد جمعا فاستحسنَ الضدّ بالضدّ
غدائرُ خودٍ فرّقتها وقد بدتْ   على خفرٍ من تحتها حمرةُ الخدّ

فقلتُ لهم : أبلغُ من الجميع ، وأبدعُ من البديع ، وأصنعُ ما صُنع في هذا المعنى الصنيع ، شعرُ أبي الحسن عليّ بن وكيع [٢] :

فحمٌ أحضرَ الغلامُ إلينا   في كوانينه حياةَ النفوسِ
لقيَ النارَ في ثيابِ حدادٍ   فكسته مصبّغاتِ عروسِ
كان كالآبنوس غيرَ محلّى   فانثنى وهو مُذهبُ الآبنوس

فاستحسنه الشيبُ والشبّانُ ، الحاضرون في ذلك المكان ، وقالوا : هذا والله من الأشعار الحسان ، التي تلج الآذان ، بلا استئذان . فقلتُ : كيف لو سمعتم شعرَ بعض المغاربة ، الذي أُلحق طوالع كواكب الشعراء بالغاربة ؟ فقالوا : بالله إلاّ أسمعتنا ، وأدمتَ ما به أمتعتنا . فأنشدتُ ، وما ترددتُ :

هاتِ التي للأُنْسِ أصلُ ولادِها   ولها جبين الشمسِ في الأشماسِ

---

(١) يروي هذه الأبيات صاحب اليتيمة (١٦٧/٢ من الطبعة المذكورة) لأبي بكر الخالدي ولا يشرك فيها أخاه أبا عثمان ، وهو يوردها في قصيدة طويلة .

(٢) يورد صاحب اليتيمة (٣١٧/١ و ٣٤٤ من الطبعة المذكورة) هذه الأبيات مع اختلاف يسير في روايتها وينسبها لأبي محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنسُ الوحيد وصبحُ ليل المُنْتَشي ولباس مَنْ أمسى بغير لباس
بيضاءُ ترفُل في السوادِ كأنما ضُرِبَتْ بعرقٍ في بني العباس

فقالوا : زدْنا من إنشادِك ، لا حُدتَ عن سَنَن رشادِك . فأنشدُتهم قول الصنوبري [1] ، الذي هو من الحسن مَبْرِيٌّ ، ومن العيب بريٌّ :

أما ترى البردَ قد وافت عساكره وعسكرَ الحرّ كيف انصاع منطلقا
والأرض تحت سقيط الثلج تحسبها قد ألبِستْ فَنَكاً أو غُشّيَتْ وَرَقا
فانهض بنارٍ الى فحم كأنها في العين ظلمٌ وانصاف قد اتّفقا
جاءت ونحن كقلب الصبّ حين سلا برداً فصِرنا كقلب الصبّ إذ عشقا [2]

فطربت له الجماعة ، طربا كاد يُكْسِبهم الزماعة [3] ، وقالوا : زدنا من هذه الأناشيد ، التي أحْكِم بناء معانيها وشيد . فقلتُ : أمَدُّ إنشادي لا ينتهي ، وقوة مددي فيه لا تَهي ، وكلكم اذا نظم أزرى بمونِقات العقود ، وأتى بأبيات مُونِقات العقود ، كأنها حلاوة ذوب العسل المعقود ، وتكاد إذا أُنشدت تُلحِق القيام سُكْراً بالقعود ؛ فانظِموا من فرائدكم المنتقاة ، وأنفقوا مما آتاكم الله ؛ فابتدر ربُّ البيت ، وأنشد بيتين أعذب مذاقا من الكُمَيْت ، ولم يَقُل كَيْتَ وكَيْتْ :

أُنظر لكانوننا وما فيـهِ وقد بدا بيننا تَلَظّيه
يأخذ فَحْماً كأنه سَبَج يتركه عسجداً لرائيـه

(١) ابو بكر أحمد بن محمد (يقول بروكلمان في الذيل ١/١٤٥ : محمد بن احمد) الصنوبري (ت ٣٣٤ / ٩٤٥) شاعر محسن وأكثر أشعاره في وصف الطبيعة والفصول والورد ، ممن تحدث عنه الطباخ في اعلام النبلاء ٤/٢٣ وابن شاكر في فوات الوفيات ١/٦١ .

(٢) يورد صاحب اليتيمة (٢/٣٠٩ من الطبعة المذكورة) هذه الأبيات مع اختلاف يسير في رواية البيت الثاني منها وينسبها للقاضي التنوخي أبي القاسم علي بن محمد ابن داود (من شعراء البصرة) . في البيت الثالث رواية الأصل : (بفحم الى نار) ، وفي الهامش ما أثبتناه .

(٣) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان ، وزمع منه : دهش . ولم نجد الزماعة التي ذكرها المؤلف ممن يناسب سياق الكلام .

وتلاه سالم فأنشد عَجِلا ولم يتردّد ، بيتين أحسنَ نظماً من عقود الزبرجد :

وحبَّـذا مَتْنفَلُنا ونارُه ذاتُ الوَهَجْ
صار عقيقاً فحمُهُ مِن بَعد ما كان سبج

ثم تلاه أحمد ، فحمد الجماعة ما أورد ، واسترشد كلٌّ ما أنشد :

كأنما نارُنا وقد علقت [1] في الفحم منها أوائلُ الوهجِ
جامُ عقيقَ علينهِ قدْ نُثِرَتْ قلائدٌ نظمتْ من السبجِ

ثم أتى ذلك الشاب ، بما شمط له مَفْرِق سامعه وشاب :

أتانا بكانونٍ بكانونَ تلتظي به جِذوة في الفحم ذات توهّجِ
كروض زهورجاده الطلُّ أوبدا خِلالَ شقيق فيه نَوْرُ بنفسج

وانتهت النوبة إليّ ، وقد نظمتُ ما وجب عليّ [2] ، فأنشدتُ لما فَرَغ من الإنشاد ، كأنما كنّا على ميعاد :

أتانا بكانون يَشُبُّ اضطرامُه كقلب محبّ أو كصدر حسودِ
كأنّ أحمرار النارمن تحت فحمها خدودُ عذارى في معاجر سودِ [3]

فاستحسنه الحاضرون واستجادوه ، ولولا فرط الحسد عليه لاستعادوه . ثم استهوتنا شياطينُ الفكاهة المتمردةُ ، إلى أن خَمَدَتْ تلك النارُ المتوقدة ، واستبدلتْ بعد سواد فحمها رماداً بققا [4] ، واكتست قضبان عسجدها من الورِق وَرَقا ، وأرتِ الناظرين رُواءً مُونِقا ، إلا أنّها بدت بعد الافترار ، في بُرْقُعِ الاكفهرار ، وأعادتْ إلى كنائن الرماد ما فوّقته من سِهام الشَّرار ، ولبست لباسَ الأخيار ، وخلعت لباسَ الأشرار ، وتوارى ما كانت تُريه من الأُوار ، وأصبحتْ بعد جماح انقيادها ، وارتدت [5] برداء رمادها ؛ فلاحت كالشيبان تحت ظَلَل

(١) في الأصل : ظهرت ، بدل علقت ، وما أثبتناه مأخوذ عن الهامش .
(٢) في صلب النص : وقد برنت مما وجب على . وفي الهامش ما ذكرناه .
(٣) جاء في الهامش هنا : المعاجر جمع معجر وهو ما تشده المرأة ؛ كما في الصحاح .
(٤) البقق : الأبيض أو شديد البياض .
(٥) في الأصل : ولتحفت ، وفي الهامش ما أثبتناه .

الغمام الخفيف ، أو الخرصان [١] لمعت خلل القتام الكثيف ، وجعل كلٌّ منهم يرميها بسهام ناظره ، ويجيل فيها قداحَ خاطره ، (ويقتدح زناد قريحته ، ويُعْمِل بعملات فكرته ،) [٢] فقلت : ما أشْبَهَهَا في حالها الماضي والآتي ، بقول عليّ ابن الساعاتي : [٣]

انظر الى الكانون في بدئه ... وبعد ما يخمد منه اللهبْ
بينا تراه سبجاً مُذْهَباً ... حتى ترى الكافور فوق الذهبْ

فراق عقولَ الحاضرين وأعجبهم ، وشاقَ قلوبَ الحاضرين وأطربهم . فقلت : وأين أنتم عن المُجاب ، الذي إذا دعا إلى مثلِه الخاطرُ لا يُجاب ، وهو قول السريّ الرَّفَّاء [٤] ، القائم للمعاني بشروط الوفاء :

خَفَقَتْ رايةُ الصباح ولأنا (م) رِ لهيبٌ كالراية الصفراء
لمعت للعيون بعد سواد ... فأضاءت حنادسَ الظلماء
واستقرت تحت الرماد فخيلتْ ... ذهباً تحت فضة بيضاء

فقال سالم : لله در كشاجم ، المفحم عن معانيه شعراء الأعارب والأعاجم :

كأنما الجمرُ والرمادُ وقد ... كاد يُواري من نارهِ النورا
وردٌ جَنِيٌّ القطاف أحمرُ قد ... ذرّت عليه الأكفُّ كافورا [٥]

فقال فارس بنُ سنان : أحسنُ منه قول سيف الدولة بن حمدان :

كأنما النار والرمادُ بها ... وضَوْؤها في ظلامه يُحْتَجَبْ

---

(١) الخرص واحد الخرصان وهو الرمح اللطيف والقناة والسنان .
(٢) ما بين القوسين استدراك في الهامش ولم يرد في الأصل .
(٣) ورد هذان البيتان في ديوان ابن الساعاتي (ص ١١٦ ج ١ طبعة بيروت ١٩٣٨) باختلاف يسير . ولكن ناشر الديوان الأستاذ أنيس المقدسي وهم فظن أن في رواية الديوان خللاً في وزن البيتين فحوّر وبدّل حتى أخرجهما عن وزنها الى وزن آخر .
(٤) ابو الحسن السري بن احمد الرفاء الكندي الموصلي ؛ انظر ترجمته في بروكلمان (١/ ٩٠ والذيل ١/ ١٤٤) واليتيمة (١/ ٥٠٠) وأنساب السمعاني وابن خلكان ....
(٥) ورد هذان البيتان في ديوان كشاجم (ص ٤٢ من طبعة بيروت ١٣١٣) مع اختلاف يسير في روايتهما .

وجنةُ عذراء مَسَّها خَجَلٌ فاستَتَرتْ تحت عنبر أشهبْ [1]

وقال أحمد اللالائي ، غير محاب ولا مرائي : قول المأموني أبي طالب ، من هذا المعنى متقارب :

ما ترى النار حين أسقمها القرُّ (م) فأضحت تخبو وحيناً تَسَعَّرْ
وغدا الجمر والرماد عليه في قميصين : مُذْهَبٍ ومُعَنْبَرْ [2]

وقال الشابُّ الغريب : قول ابن صارة من هذا قريب :

ما كابنة الزند للمقرور فاكهة إذ يُجمِدُ البردُ منه ساعداً ويدا
جاءوا بياقوتة حمراء قد قطعوا مِنْ مِسك دارين أثواباً لها جُدُدا
حتى إذا ما تغطَّت بالرماد حكت ورداً عليه سقيط الطلّ قد جَمَدا

فقلتُ لهم : أحسنتم وما ونَيْتُم ، ولا ورَّيْتُم فيما رَوَيْتُم ، ولا ارتبتم فيما أتيتم ، فلِلّه أنتم ، فلقد أرفدتم وأفدتُم ، وشَأوْتُم نظراءكم وفتُّم ؛ ولكن على العمل المعولُ ، فاعملوا في الثاني فعلكم في الأول ، وشنِّفوا الآذان بما تنظمونه من اللآلي ، وائتوا وإن كنتم من الأواخر بما لم تستطعه الأوالي [3] .

فنهض ابن سنان مائلا ، وأنشد لنفسه متمايلا :

أُنظرْ الى كانوننا لترى ما شئته من منظر أنِقِ
ولفَحْمِهِ قُضُبٌ يبدِّلها بعد السواد بأبيض يقَقِ
فكأنها قضب النُضار علا مِن فوقها ورَقٌ من الورِق

---

(١) ورد هذان البيتان في اليتيمه (ص ٢٦ ج ١ من الطبعة المذكورة) لسيف الدولة مع اختلاف يسير في روايتهما .

(٢) يورد صاحب اليتيمة (ص ٢٦ ج ١ من الطبعة المذكورة) هذين البيتين لأبي طالب المأموني الرقي باختلاف يسير في الرواية . ثم يترجم له (ص ٢٤٤ ج ١) .

(٣) ينظر في هذا الى قول المعري في سقط الزند :

وإني وإن كنتُ الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

فقلنا : هذا والله هو السحر الحَلال ، الذي يعجز أن يأتي بمثله أبناء الحِلال [١] .

وقفاه ابن سعادة فاقتفى رشدا ، وأطرب حين شدا :

والجمر يحكي في الرماد الذي ... يَسْتُر عنه غيرَ مستورِ
كواكباً من ذهب أشرقت ... على سماء من طباشيرِ

وأظن هذين البيتين من شعر أبيه ، بلا تمويه ، لأنَّ سالماً كان عاجزاً عن البديه . وسألتُه فيما بعد عنها ، ولمن هما . (فقال : ليس الكذب من مذهبي ، هما) [٢] من شعر أبي .

ثم قام غلام اللالا ، ومد صوته بالانشاد له وعالى :

قد شابت النار في الكوانين ... مُذْ شَبَّ بردٌ أتى بكانونِ
كأنها والرماد يسترها ... وردٌ بدا من خلال نسرينِ

وبرز ذلك الشاب بروزَ البطل ، وحلّى بانشاده ما كان من حاله ذا عَطَل :

وافى الغلام بمنقل مُتَضَمِّنٍ ... ناراً فياطوبى لها من نارِ
وتوقدتْ في فحمه جَمَراته ... كالخدِّ يُشْرق في سواد عِذارِ
وخَبَتْ فخيلتْ رمادها من فوقها ... حبباً تنظَّم فوق كأسِ عُقارِ

ثم وجب تكميل الدائرة عليَّ ، وألقى القوم أسماعهم إليَّ ؛ فبقيتُ مفكراً في معنى لم أُسبَق اليه ، ولا عرَّجتْ قريحة قبل قريحتي عليه ؛ لأنهم قد استعملوا أجلَّ المعاني ، التي مثلي لمثلها يُعاني ؛ وعافت نفسي الموارد المطروقة ، وأنفت أن تأتي بمعنى تكون اليه مسبوقة ؛ فجعلتْ قريحتي تبني وتهدم ، وفكرتي توجد وتُعدِم ، فكأنَّ القوم أطْلعوا طِلْعي ، وعرفوا عزوفَ طبعي ، فجعلوا يترقبون صُنعي . وكنتُ شاهدتُ مرة فاختة صَدَحت ، فَصُرِعتْ وذُبِحت ،

(١) الحلال بكسر الحاء جمع حلة وهي المحلة والمجلس والمجتمع والقوم النزول فيهم كثرة .
(٢) ما بين القوسين موجود في الهامش فقط .

فانتشر ريشها على الدم ، فأشبه كافوراً ذُرّ على عَنْدَم ، أو رماداً علا ناراً لم تخدم . فقلتُ : هذا معنى ما هَجَسَتْ به الضمائر ، ولا حاكته فكرة شاعر ، فحاولته فأطاع ، من غير امتناع ، وأجاب من غير دفاع ، ثم أنشدتُه فسُرّت به الأسماع ، وطربت له الطباع ، وهو :

كأنما نارنا وقد خمدت   وجمرها بالرماد مستورُ

دم جرى من فواختٍ ذُبحت   من فوقه ريشهن منثور

فما في الجماعة إلا من نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر[1] ، ثم صاح وكبّر ، وقال : ما هذا قول البشر ، إن هو إلا سحر يؤثر[2] ؛ ثم اعترفوا لي بالابداع ، وأقروا بأنني لم أُسبَق اليه بالإجماع ، وقالوا : لو سمعناه قبلَ لُبْسِنا من أطمارنا ما لبِسْنا ، لجَبَسْنا أَلْسُنَنا ، عن القول وما نَبَسْنا ، ولكن فات ما ذُبح ، وخسر مَنْ خسر وربح مَن ربح ؛ وأجمعوا على أن هذا هو الكلام الحرّ ، المُرْبي حُسْناً على الدراري والدُّر ، وأنه لم يسبِقْ شاعرٌ الى مثله ، ولا خطر خاطرٌ من قبله في سبيله ، وأن الفضل أبى أن يكون إلا لأهله . ثم انصرفنا ، ولَمْشعّبنا في أشغالنا وتصرفنا .

وهذه رسالة رق معناها وراق لفظُها ، ووَجَب على كل متأدب حفظها ، وقد وافيتُ بما وعدتك به من إملائها ، ووفّيْتُ بما عاهدتك عليه من تجريد ذيول مُلائها ؛ ومصرّف الأحوال ، مسؤول في تجديد صلاح الأحوال[3] ، وتجويد إصلاح الأقوال والأفعال ، إنه هو الكبير المتعال ، ولكل ما يريد فعّال ، والحمد لله الذي إليه المُنْقلَب والمآل ، وصلواته على نبيه محمد وعلى مَن له من صحابة وآل ، ان شاء الله .

⁂

(١) اقتباس من الآيات الكريمة : ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ من سورة المدثر ٧٤ .
(٢) اقتباس من الآيتين الكريمتين : ٢٤ و ٢٥ من السورة نفسها .
(٣) الأحوال الثانية لعلها جمع حول بمعنى السنة .

سمع جميع هذه الرسالة ، من لفظ منشيها السيد الأجل الامام العالم العامل الفاضل الكامل أمين الدين سيد الوزراء والفضلاء والأدباء أمين الدين جمال الإسلام أبي الفضل عبد المحسن بن حمود بن المحسن التنوخي الحلبي الكاتب أيده الله ، صاحبها سيدنا وشيخنا الامام الحافظ العالم الزاهد الأصيل تاج الدين بقية السلف أبو الحسن محمد بن الامام أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي ، وابنه أبو بكر محمد وفقه الله ، وشيخنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد البرزالي ، وشرف الدين ابو عبد الله الحسين بن ابرٰهيم بن الحسين ، وعز الدين ابو محمد عبد العزيز بن عثمان بن أبي طاهر الإربِلياني ، وجمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود بن الصابوني ، وابنه أبو المعالي أحمد وهو في آخر الخامسة ، وشمس الدين ابو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع الأبهري ، وعبد الرحمن بن يونس التونسي ، ومجد الدين يوسف بن محمد بن عبد الله الناسخ ، ومحمد بن أبي بكر بن ابرٰهيم الشاغوري المؤذن ، وعثمان بن يحيى المؤذن بالكلاسة ، وأحمد بن يحيى بن عبد الرزاق المقدسي ، وابرٰهيم بن داود بن ظافر الفاضلي ، ومحمد بن يوسف بن محمد الكنجي ، وعبد الله بن سالم ابن ثمال العرضي ، ومحمد بن علي بن محمد بن منصور اليمني رحمه الله ، وهذا خطه ؛ وصح ذلك في يوم الخميس ثالث عشر ذي حجة سنة أربع وثلثين وستمائة ، بزاوية الحديث الأشرفية الفاضلية بكلاسة جامع دمشق حرسها الله ، والحمد لله وحده .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التكية السليمانية في دمشق

- ١ -

ان التكية التي أمر بإنشائها عند مدخل دمشق الغربي السلطان سليمان بن سليم الأول العثماني على انقاض القصر الأبلق للملك الظاهر بيبرس هي من أروع الفن المعماري التركي ، والأبدع من بنائها هي الغاية السامية التي أسست من أجلها .

عثرت بين سجلات مديرية أوقاف دمشق على نسخة عن وقفية هذه التكية سجلت فيها أوقافها وعينت نواحي البر التي يجب انفاق غلاتها عليها . ولو سلمت الى يومنا أوقافها لكفى ريعها لإنشاء عدة جامعات عصرية وعشرات المؤسسات الخيرية . قدر عشر هذه الأوقاف بموجب حكم صادر عن محكمة التمييز السورية عام ١٩٣١ بنحو من ثلاثة ملايين قرش تركي ذهباً .

يكمن وراء كل مؤسسة دينية اسلامية هدف خيري وثقافي ، ولو رجعنا الى نصوص وقفياتها لكشفت لنا عن صفحات مشرقة من الحضارة الاسلامية وتفننها في أساليب نشر الثقافة الدينية والى جانبها الحدب على اليتيم والمسكين والمريض ، هذا ما حملني على نشر هذه الوقفية التي تعطي فكرة واضحة عن الدافع الحقيقي الى تأسيس المعاهد الدينية واقبال المسلمين عليها وجعلها صدقة جارية ابتغاء ثواب الله ومرضاته .

حذفتُ من هذه الوقفية مقدمتها المقتصرة على إطراء مزايا الواقف والدعاء له لطولها وتشوبه نصها ولأنها لا تفيد موضوعنا . وقد تعذر عليَّ تحقيق هذه

الوقفية ومقابلتها على نسخة ثانية صحيحة[1] ، ولهذا لم يتبين لي وجه الصحة في بعض المواضع فنقلتها على علاتها .

بيان القرى الموقوفة

١ — الزبداني (الكامل)

٢ — كفر عامر من نواحي الزبداني (الكامل)

٣ — الكرمة من نواحي الزبداني (١٨/٢٤ قيراطاً)

٤ — الأشرفية من توابع الزبداني (الكامل)

٥ — الحارة من نواحي الزبداني (الكامل)

٦ — العادلية من توابع وادي العجم (٢١/٢٤ قيراطاً)

٧ — زاكية من نواحي وادي العجم (الكامل)

٨ — صيدنايا من توابع ناحية العسال (الكامل)

٩ — معرة صيدنايا (الكامل)

١٠ — ماطي من توابع معرة صيدنايا (الكامل)

١١ — المرج من أعمال الشام (١٥/٢٤ قيراطاً)

١٢ — المزة من توابع غوطة دمشق (الكامل)

١٣ — صفيرة من أعمال الشام (١٦/٢٤ قيراطاً)

١٤ — قبر الست وتعرف أيضاً بالراوية من توابع غوطة دمشق (الكامل) .

---

(١) لم أتمكن من الوقوف على النسخة الأصلية التي نقلت عنها نسخة مديرية أوقاف دمشق المحفوظة لدى أحد ورثة الشيخ أسعد الصاحب متولي التكية المذكورة في العهد العثماني . وقد أفادني الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان انه يوجد نسخة ثانية في الخزانة التيمورية في القاهرة في الرسالة (٢٣) من المجموع المخطوط رقم (٢٦٦) انشاء محمد جلبي المنشيء لم أطلع عليها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥ – عقربا من توابع غوطة دمشق (الكامل)
١٦ – القصبية داخلة في حدود عقربا (الكامل)
١٧ – قرحتا من أعمال الشام (الكامل)
١٨ – مزرعة الفويخته من توابع قرية قرحتا (الكامل)
١٩ – دوما تابع الغوطة (الكامل)
٢٠ – مسرابا تابع الغوطه (الكامل)
٢١ – دورس من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٢ – مزرعة بلطي قرب دورس (الكامل)
٢٣ – ابعات من توابع بعلبك (الكامل)
٢٤ – طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٥ – كنيسة طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٦ – مزرعة كنيسة طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٧ – مسرعين من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٨ – حور تعلايا من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٩ – مزرعة الرفايق من أعمال بعليك (الكامل)
٣٠ – بيت شامأن من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣١ – الفرزل من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٢ – مزرعة كفرعنا من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٣ – مزرعة البروفية من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٤ – مزرعة العونية من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٥ – مزرعة تلية من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٦ – قصر بنا من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٧ – رباق البصل من نواحي كرك نوح (البقاع) ($\frac{٢٠}{٢٤}$ قيراطاً)

٣٨ — ارعيت من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٩ — مزرعة الكفيرات من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٤٠ — القرية من أعمال الكرك نوح (الكامل)
٤١ — السعادة من أعمال الكرك نوح (الكامل)
٤٢ — الدلهمية من أعمال الكرك نوح (الكامل)
٤٣ — الطيرية من جبل عاملة (الكامل)
٤٤ — الطيبية من جبل عاملة (الكامل)
٤٥ — كوكب الهواء قضاء طرطوز اللاذقية (الكامل)
٤٦ — الماعون (الكامل)
٤٧ — ازرع من أعمال حوران (الكامل)
٤٨ — مزرعة مليحة (الكامل)
٤٩ — داريا الكبرى من أعمال اقليم الداراني تابع الشام (الكامل)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوظائف المحددة في الوقفية

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
متول	١	٥٠ درهماً
كاتب شهيد	١	١٥ درهماً
جاب	١	٦ دراهم
جاب قضاء بعلبك والكرك	١	١٠ دراهم
امام	٢	١٥ درهماً لكل منهما
موقت	١	٥ دراهم
بواب	١	٥ دراهم
فراش	١	٥ دراهم

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
كناس	١	٥ دراهم
شعال	١	٥ دراهم
مبخر	١	٢ درهمان
رئيس الحفاظ	١	٥ دراهم
قراء حفاظ	٦	٢ درهمان لكل منهم
معرّف	١	٢ درهمان
شيخ الاجزاء	١	٤ دراهم
قراء	٣٩	٢ درهمان لكل منهم
مفرق الاجزاء	١	٢ درهمان
مراقب الدوام	١	٢ درهمان
قارئ عشر بعد صلاة الظهر	١	٤ دراهم
قارئ عشر بعد صلاة العصر	١	٤ دراهم
واعظ	١	١٠ دراهم
قارئ مجود لسورة يس بعد صلاة الصبح	١	٣ دراهم
قارئ مجود لسورة عمّ بعد صلاة العصر	١	٣ دراهم
حافظ المصاحف	١	٢ درهمان
كناس وفراش الحرم	١	٢ درهمان
بواب الباب الشرقي	١	٥ دراهم
بواب الباب الغربي	١	٥ دراهم
فراش الضيفان	١	٥ دراهم
ناظر الطعام	١	٦ دراهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
موزع الخبز	١	٦ دراهم
موزع اللحم	١	٦ دراهم
أستاذ الطبخ	٤	٧ دراهم لكل منهم
تلميذ لخدمة الأساتذة	٦	٤ دراهم لكل منهم
خباز	١	٧ دراهم
تلميذ لخدمة خبز الخبز	٤	٥ دراهم لكل منهم
وكيل خرج للعمارة	١	٦ دراهم
حمال صحون الأطعمة لبيوت الضيافة	٢	٢ درهمان لكل منهما
حمال طاسات الأطعمة الى الفقراء	٣	٢ درهمان لكل منهم
منظف أواني بيوت الضيافة	١	٢ درهمان
منظف طاسات طعام الفقراء	٣	٢ درهمان لكل منهم
مموه ومبيض الاواني والطاسات	١	٤ دراهم
دقاق حنطة	١	٥ دراهم
خازن	١	٦ دراهم
تلميذ خازن (معاون)	١	٢ درهمان
حمال اللحم	١	٤ دراهم
منقي الحنطة	٤	٢ درهمان لكل منهم
بواب العمارة والمآكل	٢	٤ دراهم لكل منهما
خازن الأنبار	١	٤ دراهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نص الوقفية بعد حذف المقدمة

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

. . . .

. . . .

أراد الواقف السلطان المنوه أعلى الكتاب بذكره الشريف المستطاب لا زالت أعلام معالم عدله واحسانه منشورة ولا برحت بلاد الأرض بما رحبت بحمايته معمورة أن يرتب من الوقف الدار والبر البار النافع المدرار القابل للاستغلال والاستثمار ما يقوم بأوده ويقوله وما يحده حدوده ويصونه صيانه فقد وقف وأبد وأرصد وخلد عن صميم طوية على الإخلاص مطوية وصفاء نية[1] سنية جميع ماهوله وما هو له وملكه، وبيد سلطان تصرفه سلكه بمقتضى شراء شرعي صحيح .

وذلك جميع القرية المعروفة بالزبداني من أعمال دمشق الشام لها دمنة عامرة تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وبساتين بها أشجار منوعة الثمار مخرجة على أربابها حدها قبلة أراضي كفر عامر وشرقاً أراضي مضايا وشمالاً أراضي قرية الكبيرمه[2] وغرباً أراضي الحارة .

وجميع قرية كفر عامر من نواحي الزبداني المشتملة على أراضي معتملة سهلة ووعرة المحدودة قبلة قرية الزبداني وشمالاً أراضي قريه الدله ومن توابعها مربه والقصاص وحدهما قبلة أراضي الزبداني ومضايا وبينهما درب العجال وشرقاً كذلك الا أن بينهما طريقاً وشمالاً حقل المخلص وغرباً أرض قرية السفيرة .

وجميع الحصة من قرية الكرمة من نواحي الزبداني وقدرها ثمانية عشر قيراطاً

---

(١) في الأصل : وصفا دينه .

(٢) تأتي فيا بعد باسم قرية الكرمة ولم يتبين لي وجه الصواب .

من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وبساتين حدها قبلة عين الحداد وشرقاً مقابل ماء بئر الملاح وطريق مضايا وشمالاً وادي بو الخير من أرض بلودان وغرباً حقل بيت الزيني ٠

وجميع قرية الأشرفية من توابع الزبداني المحتوية على وعور وسهول ومعتملات المحدودة قبلة بصحايا[١] وشرقاً بقناة البويفي[٢] وشمالاً بأرض داريا وغرباً بدرب معاسل[٣] ٠

وجميع قرية الحارة المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة المحدودة قبلة سحراما(؟) وشرقاً أراضي الزبداني وشمالاً أراضي كفر عامر وغرباً أراضي كفر تفاح ٠

وجميع الحصة من قرية العادلية من توابع وادي العجم من أعمال الشام الحاوية على أراضي وحقول وقدرها أحد وعشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً المحدودة قبلة جملتها بمزرعة الحجر والميصرة وشرقاً بمزرعة تل الغبار وشمالاً بالخليج وغرباً بأراضي حرجلة ولها الثلثان وشير حق شرب من ماء الأعوج المنقسم من مزاز الكسوة ٠

وجميع قرية زاكية من نواحي وادي العجم المحدودة قبلة بأراضي قرية الرجم وشرقاً بأرض مزرعة الدير وتمامه قبلة الطريق الى شقحب وشمالاً بأرض العباسية ولها الثلثان حق شرب مستمد من نصف ماء الأعوج المقسوم من مزاز الحسينية ٠

---

(١) صوابها : صحنايا

(٢) صوابها : البويضة .

(٣) لا يتفق تحديد هذه القرية مع حقيقته المعروفة وان التشويش ظاهر في هذه الفقرة لأن القرية المذكورة هي من أعمال الشام أو الاقليم الداراني لمجاورته . واما التابعة للزبداني هي أشرفية الوادي لا هذه . وربما الناسخ قد مزج بين الأشرفيتين وأسقط من النص إحداهما .

وجميع الحصة المعلوم قدرها شرقاً من القرية المعروفة بالصيدنايا من توابع ناحية جهة العسال من مضافات دمشق المحروسة المحدودة قبلة بكروم معزة الصيدنايا وشرقاً بين الراسين والجبل الممتد على الضير (؟) وغرباً بأراضي قرية قلقاس وقرية تلفيتا .

وجميع قرية معرة الصيدنايا المحدودة قبلة جبل الخالوص وشرقاً بمقلب ماطي المنتهي مجراه منحرفاً تارة ومستقيماً أخرى الى الطريق العام وشمالاً بكروم الصيدنايا وغرباً بمقلب ماطي وتمامه كيمان أحجار .

وجميع الحصة من المزرعة المشتهرة بماطي من توابع القرية المذكورة وقدرها ثمانية قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً حدها القبلي جبل الحطا والشرقي مقلب ماطي والشمالي الطريق العام والغربي أراضي منتين [1] .

وجميع الحصة من قرية مرج من أعمال الشام وقدرها خمسة عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ومنافع معلومة الحدود عند أهاليها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجميع قرية المزة تابع غوطة دمشق المحروسة لها دمنة عامرة تشتمل على أراضي معطلة ومعتملة وبساتين وحقوق [2] ولها شرب من ماء القناة المختصة بها المستمد من نهر بردا أحدها [3] قبلة أراضي مزرعة القصور وتمامه أراضي داري [4] الكبرى وأراضي كفرسوسيه وشرقاً أراضي كفرسوسية وتمامه أراضي مزرعة الحمرية وشمالاً نهر القنوات الجاري الى طاحون الشريف ثم يأخذ مغرباً الى نهر بردا والربق [5] وغرباً الجبل .

وجميع الحصة من قرية صفيرة [6] من أعمال الشام وقدرها ستة عشر قيراطاً

---

(١) صوابها : منين .
(٢) صوابها : وحقول .
(٣) صوابها : يحدها .
(٤) صوابها : داريا .
(٥) لعلها : الربوة .
(٦) غير معروفة اليوم .

من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على دمنة عامرة ومعتملات ومنافع وحقول معروفة الحدود عند الجيران .

[وجميع] قرية قبر الست وتعرف أيضاً الراوية وتشتمل على أراضي معتملة وأقاصي وأداني وأشجار ودمنة عامرة وحقول وشربها من ماء القناة المختص بها شرعاً ولها شرب أيضاً من ماء قناة حجيرا عدان بالتناوب حدها القبلي قناة مزرعة قوين [١] والشرقي أرض قرية عقربا والشمالي أرض قرية ببيلا والغربي الدرب السلطاني ومن توابعها الداخلة في حدودها قطعه أرض تعرف ببستان الديل .

وجميع قرية عقربا المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة وسهل ووعر وبساتين ودمنة عامرة لها من نهر عقربا شرب معلوم حدها القبلي قناة مزرعة عين كيل والشرقي أرض قرية الشعبا [٢] والساهلية والشمالي قرية تليتانا [٣] والغربي قناة قرية الجدلية [٤] .

وجميع مزرعة القصيبة [٥] المختصة بها الداخلة في حدودها .

وجميع الحصة من قرية قرحتا تابع القبلي وقدرها عشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً وتشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وأقاصي وأداني ودمنة عامرة لها من نهر الحازوم غربياً شرب ليلاً ونهاراً و شرب آخر من الماء المستمد من نهر الأعوج المحدودة قبلة بنهر الأعوج وشرقاً بنهر الغزلانية وشمالاً بأرض مزرعة الميدانية وغرباً بأرض مزرعة الأشرفية .

وجميع مزرعة الفويخة [٦] تابع القرية المذكورة المشتملة على أراضي ومنافع وحقول حدها قبلة نهر قرية قرحتا المعروف بالكسواني وشرقاً نهر ... [٧] وشمالاً

---

(١) غير معروفة اليوم .
(٢) صوابها : الشبعا .
(٣) صوابها : تلفيانا .
(٤) صوابها : البحدلية .
(٥) لعلها : قصيبان اسم قناتها ما زال على الألسن وهي تخرج قرب بيوت ببيلا .
(٦) صوابها : الفويخة .
(٧) فراغ في الأصل .

وقف قطعة العرفان السامى بأبي يزيد البسطامي قدس سره وغرباً التل الرفيع .

وجميع قرية دوما تابع الغوطة المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة وكروم ومنافع ولها من ماء نهر ثوره شرب معلوم ويحدها قبلة مزرعة حرستا وادبا (١) الصغرى وشرقاً قناة قرية الشفونية وشمالاً الجبل وغرباً أرض قرية حرستا .

وجميع قرية مسرابا المشتملة على أراضي معتملات وبساتين ومنافع ولها شرب معلوم من مآء نهر ثوره ومن قناتيها المختصتين لها قبليها أرض قرية كفرمديرا وشرقيها أرض قرية بيت سوى وشماليها أرض قرية دوما وغربيها أرض مزرعة داريا الصغرى .

وجميع قرية دورس (٢) من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ووهاد وتلال ودمنة عامرة ومنافع وحقول يحدها قبلة رجبيات الأشجار وشرقاً الطريق الى المقطع وشمالاً أرض مزرعة بلطي وأراضي بعلبك وغرباً الطريق .

وجميع مزرعة بلطي بقرب القرية المذكورة تشتمل على أراضي ومنافع قبليها أراضي قرية دورس الى أراضي قرية دورس (٣) الى أراضي مزرعة بردا وشرقيها أراضي قرية دورس وشماليها أراضي بعلبك وغربيها أراضي مزرعة بردا (٤) .

وجميع الحصة من قرية ابعاث (٥) من توابع بعلبك وقدرها أربعة عشر قيراطاً وثلث قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وسهل ووعر ومنافع ودمنة معمورة يحدها قبلة مرج عدوس وشرقاً حقلة بيت الجبلي وشمالاً الطريق العام وأراضي مزرعة الزرازلة وغرباً حقل البركة وأراضي مزرعة دير النبط .

(١) صوابها : داريا .
(٢) قاموس لبنان لوديع نقولا حنا ص : ١٠٥ .
(٣) لعلها مكررة .
(٤) لعلها برقا انظر قاموس لبنان ص : ٢١ .
(٥) في قاموس لبنان (إيعات) .

وجميع قرية طبشار من نواحي بعلبك وتشتمل على أراضي عمالة وبطالة وسهلة وخزنه[١] ومنافع ودمنة عامرة يحدها قبلة حرق[٢] القرية والطريق ومجمع الطرق وشرقاً الطريق والجبل وشمالاً فلوة الماء منتهاه تجاه قلعة الحجارة برجم أحجار تجاه حرنه[٣] المكبسه وغرباً أراضي مزرعة الرقابق .

وجميع مزرعة كنيسة طبشار ويشتمل على اراضي ومنافع وحقول حدها قبلة شراك بين أراضي طبشار ومنتهاه عين زبدان وشرقاً وادي أراضي حور تعلا[٤] وشمالاً وادي العميق الى الطريق السلطاني وغرباً الطريق العام .

وجميع قرية شرعين[٥] من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ومنافع يحدها قبلة الحجر المعروف بادريس وبيدر الحاليات وشرقاً مجمع الطريق المنتهية الى ضريح نبي الله شيث عليه السلام وتبة سقفان واعزاز وشمالاً حرف القرية ووادي المغارة وغرباً جسر الدم من المفرقين .

وجميع قرية حور تعلا[٦] وتشتمل على أراضي عمالة وبطالة ودمنة مسكونة ومنافع يحدها قبلة الشراك بين أراضيها وأراضي طبشار والبلاط الى الطريق وشرقاً قلعة الصهريج ووادي بلبود وقبر الشيخ صالح وشمالاً الطريق وبركة بحاما والرجمة الطويلة قرباً[٧] قرب قبر الكاشف وعين زبدان .

وجميع مزرعة الرقابق بقرب القرية المعروفة وتشتمل منافع وحقول يحدها قبلة المسيل والطريق وشرقاً الرجمة المعروفة بقبر الكاشف وشمالاً الطريق النافذ وغرباً الطريق ووادي الذيب .

---

(١) كذا في الأصل وصوابها خربة .
(٢) صوابها : حرف .
(٣) صوابها : خربة .
(٤) صوابها : حور تعلايا .
(٥) صوابها : (سرعين) .
(٦) صوابها : حور تعلايا .
(٧) كذا في الأصل ولعلها وغرباً .

وجميع قرية بيت شاما (١) من نواحي كرك نبي الله نوح (٢) عليه السلام من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وحربه (٣) ومنافع وحقول يحدها قبلة الطريق الى العمود المطمور في وادي التين وشرقاً الحجر المطمور قرب خندق بين أراضيها وأراضي مزرعة الشخجية وحقل القاضي وشمالاً النهر الشتوي وغرباً الشراك منتهاه وادي التين ٠

وجميع قرية فوزل (٤) من نواحي كرك وتشتمل على معتملات ومعطلات وسهول ووعور ومنافع يحدها قبلة جبل رجمات والطريق ونهر ليطا (٥) وشرقاً خندق الفلايح ومجمع الخنادق وشمالاً الطريق والنهر وعين علوقيه وغرباً الماء الشتوي وساقية يحوشيا ٠

وجميع مزرعة كفرعنا من أراضي القرية المذكورة وتشتمل على منافع وحقول يحدها قبلة الطريق منتهاه مرج الحمى وعين علوقيه وشرقاً مزرعة حالا وحقلة ابن عجروش منتها الحجر الأبيض وشمالاً آخر غيطة الصفصاف والمرج والخندق والطريق الى قرية رياق وغرباً مرج الحمى ومجرى نهر ليطا (٥) ٠

ARCHIVE http://Archive.Sakhrit.com

وجميع مزرعة البرونيه ومزرعة العونيه ومزرعة تليله المتلاصقات يشتملن على أراضي ومروج وجد (٦) وحقول يحد جملتها قبلة متابن العرب وباب المخاضة والطريق من كرك الى طاحون برونيه وشرقاً الطريق والخندق وملتقى السواقي عند طريق الدلهمية (٧) وشمالاً الطريق وحقلة الحاج علي بن مراج وطريق تربل (٨) وغرباً الحجر الأبيض على الخندق الى الطريق ٠

(١) شرقي حور تعلايا ٠ (٢) شرقي زحلة ٠

(٣) كذا في الأصل وصوابها : خربة ٠ (٤) صوابها : فرزل ٠

(٥) اي البطاني ٠ (٦) كذا ولعلها (ووعر) ٠

(٧) قرية معروفة شرقي معلقة زحلة ٠ (٨) قرية معروفة شرقي الدلهميه ٠

وجميع قرية تمنين الفوقا [١] من أقطار كرك تشتمل على دمنة مسكونة وأراضي وبساتين وأشجار متنوعة ومنافع وحقول يحدها قبلة المقطع بين أراضيها وأراضي عرفتا وملك ابن حنصر وحقلة أولاد طبر وشرقاً أراضي بيد بيت جبرايل وحقلة ابن جديد وحقول الرياسة وعين الناعمة بين أراضيها وأراضي تمنين التحتا الى الكنيسة وشمالاً النهر الشتوي وحقلة مقلد بن ساطي وحقلة ابن صلاح وطريق قصر بنا [٢] وغرباً مقلب الماء وتمامه أراضي عرفتا والمقطع .

وجميع قرية قصربنا من توابع كرك تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وسهول وتلال ومنافع يحدها قبلة كسار السطور والطريق وكرم النبعي وشرقاً الحقل وقف جامع قصر بنا وبركته عين سليمان وأراضي بيت نائل وعواميد أحجار وشمالاً العمود بين مزرعة الكنيسة والشخجية وحقلة بيت الأعرج وواد مالك والمقطع وغرباً أراضي حماندة زريق وحقلة تمنين الفوقا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجميع الحصة من قرية رياق البصل [٣] من أعمال كرك وقدرها عشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على معتملات ومعطلات ووهاد وتلال وصحارى وبساتين ومنافع وحقول يحدها قبلة ساقية الماء بين أراضيها ومزرعة حالا وساقية النبل وطريق ارعيت وشرقاً الطريق حشمش [٤] وطريق الشام وشمالاً كرم عسكر تجاه الأشرفية الى رأس الشكارة ونصحره [٥] وغرباً صخرة القبيرات والطريق والشراك .

وجميع قرية ارعيت [٦] من ضواحي كرك تشتمل على دمنه عامرة وأراضي

---

(١) قرية معروفة غربي الفورزل . (٢) انظر قاموس لبنان ص : ٢١٢ .
(٣) ملتقى الخطوط الحديدية بين بيروت والشام وحلب .
(٤) قرية جنوبي رياق . (٥) كذا ولعلها (الصخرة) .
(٦) انظر قاموس لبنان ص : ١١٩ .

سهول ووعور ومنافع وحقول يحدها قبلة الحجر الموضوع في الطريق وذيل الجبل الشرقي وشقيف الزبادت (١) وأم غيلان وشرقاً بيادر راحاب وطريق يعلبك ومرج عين الكردي وشمالاً أسفل كرم ابن زفضه وقلاع القلاب وغرباً كرم ابن سعيد وصخر القطاطين وطريق حشمش ٠

وجميع مزرعة الكفيرات تشتمل على أراضي ومنافع وحقول قبليها مجرى الماء بين أراضيها وأراضي حشمش الى طريق قوسيا (٢) وشرقيها قطع أرض وقف سيدنا نوح النبي عليه وعلى نبينا سلام السبوح والطريق وشماليها الطريق البراني بها الى الطريق وغربيها الطريق من كرك الى قعسايا ٠

وجميع القرية من أعمال كرك تشتمل على دمنة عامرة وتلال ووهاد وأراضي عمالة وبطالة وبساتين ومنافع وحقول يحدها قبلة الجرن على مطل تربل ومضيق معذر وشرقاً شحلة وسلسلة حجازي في وادي الدير وشمالاً سلاسل وادي الدير وشومزيا وطريق عقبة حشمش وغرباً الرأس على مطل سيدنا نوح على نبينا وعليه صلاة الله وسلام السبوح وشقيف الشكارة وسفل قرية عين ٠

وجميع قرية السعادة من نواحي كرك تشتمل على دمنة عامرة وأراضي معتملة وسهل ووعر ومنافع وحقول حدها القبلي جسر المذموم ولفتة الساقية وحقلة الرمادة ولفتة خندق التفاح والشرقي بنهر الخصيب والمسيل والطريق بين أراضيها ومزرعة تل ابين (٣) حسين وتل مزرعة بروطيا والشمالي ساقية الحربقة ونهر الحويرق وقرية تربل والغربي تل السرجون الى جسر المزموم ٠

وجميع قرية الدلهمية [من] أقطار كرك تشتمل على دمنة عامرة وأراضي وحقول ومنافع قبليها سهم بن مكي والعقيبة وسدرة القمقمية الى خربتها وشرقيها

---

(١) لعلها : الزبدات ٠

(٢) في قاموس لبنان : قوسايا ٠

(٣) كذا في الأصل ولعلها بيت اوبين ٠

الطريق الى سهم البدوي وشمالها ساقيـة المشار وحقلة الزورة المعروفة بالقرية والطريق الى جسر بروقيا وغربيها الطريق تحت حقلة النقيرة والطريق الى جسر الدلهمية الراكب على نهر ليطاني والشراك بين أراضيها ومزرعة حدوثنا ٠

وجميع قرية الطيرية [١] المستغنية عن التحديد لكونها معلومة الحدود عند القريب والبعيد ومما في قربها جميع قرية قانه [١] ٠

وجميع قرية طيبه [١] ٠

وجميع قرية الكواكب الهوا [٢] ٠

وجميع قرية الماعون المستغني كل واحدة منها عن التحديد عنـد وضيع [و] شريف وقريب وبعيد ٠

ومزرعة قبقوس ٠ ومزرعة عين العاطف المستغنية كل واحدة منها عن التحديد لكونها معلومات الحدود لدى وضيع [و] شريف وقريب وبعيد ٠

وجميع قرية ازرع [٣] الواقف [٤] بناحية بني مالك الأشراف من أعمـال حوران تابع الشام تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وبساتين ومفاره [٥] وحدها القبلي قناة القرية المنشأة بناصر [٣] والشرقي قرية البصر [٣] والشمالي قرية الشقرا [٣] والغربي الطريق السلطاني من جانب الدرب لناصر ومن توابع تلك القرية المفورة ٠

وجميع مزرعة مليحة [٦] وقطعة أرض تسمى بالدبورا وقطعة أرض تسمى بقيمة تشتمل كلها على الفوايد والعوايد ومنافع وحقول ٠

(يتبع) جعفر الحسني

---

(١) قرية معروفة في جبل عاملة . (٢) في قضاء طرطوز في محافظة اللاذقية .
(٣) قرية معروفة الى يومنا هذا . (٤) صوابها : الواقعة .
(٥) كذا ولعلها : ومنارة .
(٦) لعلها مليحة الشرقيه أو مليحة العطش في قضاء ازرع .

رثاء الجندي والبزم

لِمَن خلّفتما الميدانْ　　فَقيديْ لغة القرآنْ
لمن خلفتما الميـدا　　نَ ، والميدانُ للفرسان . .
يُحوّمُ بعـد يومكما　　حَميُّ الأنف في الأقران
ويدعو الندَّ من قيس　　يباريه ومن غسان
وتفتقد النهى من كا　　ن للحجة والبرهـان
لواؤكما على الفصحى　　وحكمكما هو الميزان

* * *

توارت أيكة الوادي　　وغارت نبعة البستان
وضلّ سبيلَه الحادي　　وأسلم للدجى الركبان
وناح وأعول الشادي　　وحطم كأسه النشوان
ودالت دولة النادي　　فلا عرش ولا سلطان
هل «الجندي» و«البَزم» انـــــــطوى علماهما الصنوان ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ بالسهمين تُرمى مهـــــجة ، ويصيبها السهمانْ ؟
وهل يلتئم الجرحا ن والجرحان قتالان !
صريعا حومة الأقدا ر شبًّا للاسى نيران
رثيتُ « سليمها » و « محمّـــــداً » وانهلّت العينان
مضى « أدب » المبرّد ، وانــــقضى « نحو » أبي حيان
بكيت أبا العلاء بأو لٍ ، والشنفرى في الثان
وأخلاقاً صفت ، كالتبـــــر واللؤلؤ والمرجان
وورداً كان عذب الور د للمرتشف الظمآن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

ذكرتُ دمشق ، والأيا مُ ضاف ظلها فينان
وأرديةُ الصبا جـدد وأحلام الهوى ألوان
ليالي الأنس بالأخدا ن قبل تفرق الأخدان
على بردى وربوته وحول تلاطم الغدران
وبين خمائل النسريـــــن والزنبق والريحان
وأنديةُ البيان الحرّ قائمة على أركان
منابرهــا مَزاجرهــا لمن يطغى ، عن الطغيان

* * *

هوى بتملّي جيلٍ هوى الأرزاء والحِدْثان
وطاح بتاجي الإبدا عِ في الإفصاح والتبيان
نعى قيصراً الناعي وثنّى بأنوشروان
عمادا أدبٍ ضخم رفيع راسخ البنيان
شهابا فلك غابا معاً، في حلك الأزمان

* * *

صراعٌ منذ كان النا سُ، بين الفَقْد والوِجدان
يعلله بنو الإنسا نِ، ما أغبى بني الإنسان!

خير الدين الزركلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ايوانية البحتري

- ٢ -

(فإذا ما رأيتَ صورة أنطا كيةَ ارتعتَ بين رُوم وفُرس)

يظهر أن هذه الصورة مرقومة على جدران الجرماز ، وهي تمثّل للناظر صورة مدينة انطاكية وكسرى يحاصرها بجنوده . وتحت أسوارها قيصر ملك الروم يدافع عنها بجنوده أيضاً ، كذا قال في معجم البلدان عند الكلام على الإيوان ان صورة قيصر كانت أمام كسرى . ولعلها صورةُ القائد الذي ناب عن قيصر في صدّ كسرى . أو أن المصوّر الذي صور المعركة صوّر قيصر نفسه تهكماً أو استهانةً به . وقد قال الشاعر انه منظر يُحدث الروع والخوف في نفسك إذا نظرت اليه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما هذه الواقعة التي تُمثّلها لنا الصورة المذكورة فهي الوقعة الثانية من الوقعتين اللتين حدثتا بين الأكاسرة والقياصرة على أسوار أنطاكية . فالأولى كانت في أواسط القرن الثالث للميلاد بين شابور وڤاليريانوس ، انتهت بفتح شابور لأنطاكية وإحراقها ونهبها وسبي أهلها . والوقعة الثانية هي التي حكتها لنا الصورة على جدران الجرماز فوصفها لنا البحتري . وقد حدثت في أواسط القرن السادس للمسيح في عهد كسرى أنو شروان الذي وُلد النبي (ﷺ) في زمنه . وقد فتح كسرى أنطاكية بعد أن حاصرها ، فسلبتْ جنوده ما في كنيستها الكبرى من أواني فضيّة وذهبيّة وحُليّ . وأخذوا بلاطها النفيس واضرموا في المدينة النار فاحترقت ما عدا الكنيسة المذكورة والحيّ المدعو (ستراتيوم)

 م (٥)

وكان ذلك في عهد القيصر (يوستينيانوس) ، فأرسل الى كسرى سفيرين فقابلاه وعقدا معه معاهدة صلح كان من مقتضاه أن يؤدي قيصر الى كسرى مبلغاً سنوياً بشرط أن لا يُسمى هذا المبلغ (جزية) بل (تعييناً) وهذه هي الواقعة التي خلد الفرس صورتها على جدران إيوانهم العظيم ووصفها لنا البحتري .

(والمنايا مواثل وأنو شر وان يُزجي الصفوف تحت الدرفس)

(المنايا) جمع منية : الموت و(مواثل) جمع ماثلة أي بارزة منتصبة أمام عيون المحاربين و (أنوشروان) صوابه كسر الشين و (يُزجي) يسوق ويدفع . و (الدرفس) تفسره معاجمنا العربية بالعلم الكبير كأنه لفظ عربي مع أنه لفظ فارسي وفارسيته درفش بالشين المعجمة نُعرّب بالسين كما عرب شاهان بساسان وشابور بسابور . وقد اشتهر إطلاق (درفس) على علم خاص للفرس له في تاريخهم قصة يتداولونها ، ورنة فخر يتغنون بها . وملخص القصة نقلاً عن شاهنامه الفردوسي أنه قام في تاريخ الفرس القديم رجل تغلب على العرش الفارسي واستبد به ويسميه مؤرخو العرب الضحاك . وقد اختلفوا في جنسيته وزمنه . فظلم الفرس ظلماً عظيماً حتى اشتهر بلقب الظالم وكان في كتفيه سلعتان تشبهان الحيتين ولذا لُقب بذي الحيتين . وكان هو يقول انهما حيتان حقيقيتان تهويلاً على الناس . فكانتا تؤلمانه ولا تسكنان حتى يطليهما كل يوم بدماغي إنسانين فكان يذبحهما ويطلي حيتيه . وبهذه الصورة اشتد الأمر على الفرس . ثم اتفق أن الضحاك قتل ابن رجل حداد اسمه (كابي) أو (كاو) فعظم على أبيه الحداد الأمر ونهض للثورة واتخذ من الجلد الذي يضعه الحدادون عادة في أوساطهم عند الشغل علماً للحرب . والتف الشعب حوله . وزحفوا على الضحاك متفائلين بدرفشه أي بعلمه الذي اتخذه من جلد مهنته . ثم ان (كابي) والفارسيين بطشوا بالضحاك وقهروه وأرادوا

أن يملكوا (كابي) فأبى لأنه ليس من سلالة الملوك . وأمرهم أن يولوا أفريدون وكان من سلالتهم فولّوه ، واحتفظ الفرس من يومئذ بذلك الدرفش في خزائنهم . وعظّموه وتبرّكوا به . وصار العلم الأكبر لملوكهم . وسموه (درفش كابيان أو كاويان) وكانوا لا يخرجونه إلا في أحرج الخطوب ، وأكبر الحروب . فكانوا ينتصرون . وكانوا يرصّعونه بالجواهر واليواقيت حتى أصبح بدعةً من البدع وبقي لديهم الى أن تغلب الإسكندر على ملكهم دارا (داريوس) فأخذه أي أخذ الدرفش . وقيل بقي الى زمن (يزدجرد) فأخذه المسلمون في وقعة القادسية وحمل الى عمر فقسّم جواهره في الناس .

يقول البحتري إن صورة أنطاكية تمثل للناظر اليها اشتداد هول المعركة حتى ان المحاربين كان يرون شبح الموت ماثلاً منتصباً أمام أعينهم . وتمثيل الموت بصورة شبح مرئي كثير الوقوع في كلام الشعراء ، وأبلغه ما قاله بعضهم في وصف بطل أبلى حتى قتل :

مَثَّلَ الموتُ بين عينيه والذُّلـ ـلُ وكُلاًّ رآه خطباً جسيما
ثم سارت به الحميَّة قُدْماً فأمات العِدى ومات كريما

* * *

(في أخضرارٍ من اللباس على أصـ ـفرَ يختالُ في صبيغة وَرْسِ)

الظاهر من هذا الوصف أنه يرجع الى (أنوشروان) لأنه نسب اليه لباساً أخضر مسدولاً عليه . واعتلاؤه على الأصفر يعيِّن أن يكون المراد بالأصفر جواداً ملوّناً بصفرة . وهذا الجواد يختال ويتبختر في غِشاءٍ من جلدٍ أو خِرَق (صبيغة ورس) أي مصبوغة بورس . والورس نبت كالسمسم أصفر اللون يزرع باليمن ويُصبغ به وتتّخذ منه الغُمرة وهي طلاء تَطلي به المرأةُ وجهها ليصفو لونها . وصبيغة الورس هذه إما أن يكون المراد بها (التجفاف) وهو

جُلٌّ يُلبَسُهُ الفَرَسُ في الحرب ليقيَه الجراحات فيكون تِجفاف فرس كسرى ملوناً في هذه الصورة باللون الأصفر الورسي . ويحتمل أن يكون المراد بصبغة الورس الميثرة . وفي الحديث الشريف (نهى رسول الله عن ميثَرة الأرْجوان) قال في النهاية : هي مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج وتُحشى بقطن أو صوف . وتكون كالفِراش الصغير يجعلها الراكب تحته فوق سَرْج الفرس أو فوق رَحْل البعير نهى عنها النبي لأنها من مراكب الأعاجم . ولأن لونها الأحمر فيه شهرة تبعثُ على العُجب والخيلاء . وانما رجّحتُ أن يكون المراد بصبغة الورس هنا التِجفاف لا الميثرة لأن فرس كسرى في معركةِ ضربٍ وطعانٍ لا في موكبِ عرسٍ أو حفلة مهرجان .

(وعِراكُ الرجالِ بين يديه في خفوتٍ منهمْ وإغماضِ جَرْسِ)

ومما تمثّله الصورة امين الرأي خفوت المتحاربين أي انخفاض أصواتهم . وهذا معنى (إغماض جَرْس) أيضاً فان الجرس الصوت الخفي يقال (ما سمعت له حِسّاً ولا جَرْساً) والإغماض من غمّض الكلام خفي مأخذُه . فهؤلاء الرجال كان لهم في الحرب بين يدي كسرى أصوات خفيّة غمّضتْ على سامعها وخَفِي مأخذها بحيث لا يُفهم لها معنى . إذنْ كان (الفنّان) الذي رسم الصورة حاذقاً في صنعته حتى إنه ليُخيِّل إليك أن رجال المعركة لهم جلَبة وضوضاء . وتَشْعُرُ مع هذا أن أصواتهم خافتةٌ منخفضة .

(مِن مشيحٍ يَهوي بعامل رمحٍ ومُليحٍ من السِنان بتُرسِ)

(من مشيحٍ) بيان للرجال المتحاربين أي أنهم كانوا على أوضاع في القتال مختلفة : كانوا ما بين مُشيحٍ وما بين مُليحٍ . فالإشاحة أن تحذر من الهلاك فتجِدّ وتجتهد في دفعه عنك . قال عمرو بنُ الإطنابة :

وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هامةَ البطَلِ المُشيحِ

والمليح من ألاح بمعنى أشاح أيضاً فيكون المعنى أن المحاربين كانوا ما بين بطل أمامه قرنه فهو يخافه ويحذره فيجدّ في مقاومته ودفعه عنه فيهوي بصدر رمحه اليه ، وما بين بطل آخر أمامه قرنه قد سدّد سنان رمحه اليه وقد خافه وحذر منه فجدّ دارئاً بترسه عن نفسه وواقياً لها من سنان عدوّه المشرع عليه . والمليح معنى آخر غير معنى (المشيح) أستحسن أن يكون هو المراد هنا يقال ألاح بسيفه إذا ألمعَ به وحرّكه كلوّح بسيفه . فالمعنى على هذا أن بعضهم يشيح ويجدّ في دفع عدوّه فيهوي بالرمح اليه . وبعضهم يحرك ويلمع بترسه الذي بيده ليقيَ نفسه من السنان الذي يسدّده اليه عدوّه . وعلى كلا التقديرين فإن في قوله (ومليحٍ من السنان بترس) شيئاً من إدماج وإيجاز تفصيله وبسطه ما ذكرناه .

(تصفُ العينُ إنهم جدُّ أحيا ءِ لهم بينهم إشارة خرسِ)

قوله (إنهم) يحتمل فتح الهمزة على كونه واقعاً موقع المفرد مفعولاً لتصف ويحتمل الكسر على تضمين (تصف) معنى القول فيكون واقعاً موقع الجملة وتكون جملته مفعولاً لفعل (تصف العين) أي ان عين المشاهد لهذه المعركة لا يمكنها إلا أن تصفَ لغيرها ما رأته : فما تصف العين لنا من حالات المحاربين أن الناظر اليهم يظنهم جِدَّ أحياء : أي تناهى اليهم تمامُ الحياة ، يقال فلان عالم جدُّ عالم أي متناهٍ في العلم وتقول اليوم فلان عالمٌ جدًّا وبارعٌ جدًّا وقولنا هذا حسَن . لكن البلغاء أكثر ما يقولون جِدُّ عالم وجِدُّ بارع . والمعنى أن المصوّر أبدع في تصوير هؤلاء الأبطال حتى إنك لتظنهم أحياء مما تتخيله من الحقيقة في حركاتهم وسكناتهم وأصواتهم الخافتة التي يحاكون بها أناساً خرساً يديرون فيما بينهم إشارات يتفاهمون بها بدل الكلام .

(يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقرّاهم يداي بلمس)

الارتياب الشك والتردد في صحة أمر ما · وتتقرّاهم تتتبعهم يقال قروت البلادَ واستقريتها وتقرّيتها بمعنى تتبعتها أرضاً أرضاً ، ومررت فيها بقعة بقعة · ونحن نستعمل من هذه المادة فعل استقرأ · ومنه (دليل الاستقراء) في علم المنطق فهو من القرو لا من القراءة · و (يغتلي) بالغين المعجمة إما من غلا في الأمر جاوز فيه الحد ، أو من غلا بالسهم إذا رمى به أبعدَ ما يقدر عليه · واغتلى البعير أسرع إسراعاً جاوز به حسن السير · فالبحتري يقول : ان ارتيابه في كون هؤلاء الرجال أمواتاً لا أحياء تعاظَم في نفسه وبلغ به أقصى الغاية حتى جعله يعتقد أنهم أحياء لا أموات وحتى كاد يمدّ يديه اليهم ويتقرّاهم أي يتتبع أعضاءهم عضواً عضواً وجارحة جارحة ليتبيّن إن كانوا أحياء أو لا · وهذا غاية في وصف الحذق الذي أبداه المصوّر في تصوير هؤلاء الرجال ·

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(قد سقاني ولم يُصرِّد أبو الغو ث على العسكرين شربةَ خَلْسِ)

أبو الغوث ابن البحتري وكأنَّ البحتري لما شاهد هذه الصور والتماثيل البديعة في شكلها ، ومختلف أوضاعها ، هاج هذا المشهدُ شهوةَ الشرب والتعاطي في نفسه · ولذلك التفت الى ابنه (أبي الغوث) وقال هاتها فسقاه منها ولم يصرِّد ، أي لم يقلِّل · و (التصريد) أن تسقي آخر ثم تمنع الشرابَ أو الماء عنه قبل أن يروَى منه · وقريب منه (التغمير) وهو أن تسقيه بالغُمَر : وهو قدح صغير تسقيه به لقلة الماء فلا يُروّي · فأبو الغوث على العكس كان يروّي أباه أي يسقيه بالصغير وبالكبير · والشربُ كان نخباً على صحة أو سلامة أو شرف العسكرَين : عسكر الفرس وعسكر الروم · لكن تلك الشَّربة لم تكن شربة قومٍ متمكّنين متمكّنين في مجلس الشرب وإنما كانا في غالب الظن على ظهر جواديهما ، فكان ابنه يعاطيه الشربة (خَلْساً) أي في اختلاس وخفة

وعجلة . و (الشُّربة) بضم الشين بمعنى المقدار المشروب من الماء أو غيره وهو مفعول به لسقاني في أول البيت و (أبو الغوث) مرفوع على التنازع ، تنازعه كل من الفعلين قبله فيرفعه أحدهما ويقدر للآخر فاعل .

(من مدامٍ تقولها هي نجمٌ ضوَّأ الليل أو مُجاجة شمس)

(تقول) هنا بمعنى الظن ومثله قوله :

متى تقول القلّص الرواسما يحملن أم قاسمٍ وقاسما

و (ضوَّأ) بمعنى نوَّر وأضاء . والمُجاج والمُجاجة الريق تمجّه من فمك . ويستعمل مجازاً في مثل قولنا (أرض خصبة يمجُّ ثراها الندى مجّاً) . وفي مثل (مُجاج المزن) وهو المطر ؛ فان المزن أي السحاب كأنه يمجُّ المطرَ كما يمجُّ الإنسان الريقَ من فمه . ومثل هذا ما قاله البحتري هنا : فانه سمّى السائلَ الذهبي الذي ينتشرُ عن الشمسِ مُجاجةَ كأن الشمس تمجه من فمها مجّاً . والتجوز عن ذلك بالمجاجة يشبه تجوزهم باللُّعاب (وهو الريق الذي يسيل من الفم) عن السَّراب الذي يترقرق في الصحارى وقت الظهيرة فانهم يسمونه لعاب الشمس .

ومعنى البيت أن أبا الغوث سقى أباه مداماً فظنها لفرط لألائها نجماً ينير الظلام أو شُعاعةَ شمسٍ تنتشر حرارتها في الفضاء فتحيي الأنام .

(وتراها ـ إذا أجدَّت سروراً . وارتياحاً للشارب المتحسِّي)

(أُفرغت في الزُّجاج من كلّ قلبٍ فهي محبوبةٌ الى كلِّ نفس)

ضمير (تراها) يرجع للمدام و (أجدَّت) بمعنى جدَّدت وأحدثت و (الارتياح) النشاط و (المتحسِّي) اسم فاعل من تحسَّى الشراب واحتساه وحَساه : شربه في مُهلة وتأنٍّ . وهذا كما يُشرب الشاي والقهوة والكرك ونحوها . فالحسوُ خاص بالمائعات أو الأطعمة المرقّقة كالحساء فانه عند العرب طعام مرقّق يُتخذ من دقيق ودهن وماء ونحن اليوم وضعنا أرزاً مكان الدقيق وسميناه (شوربا) ثم

عدلنا أخيراً عن كلمة (شوربا) التركية الى كلمة حساء العربية ، وكلمة (شوربا) محرفة عن كلمة (شُرْبة) العربية . كما أن كلمة (Sirop) الفرنسية محرفة عن كلمة (شراب) العربية وان كان لاروس يقول إن (Sirop) مأخوذة من اللاتينية . ومما يحسن إيراده هنا أن الفرنسيين اشتقوا من (Sirop) فعل (Siroter) أي شرب لكن لا بمعنى مطلق شرب بل هو شرب في مهلة وتأن كما يشرب الشاي مثلاً وهذا المعنى لفعل (Siroter) هو نفس معنى حسا وتَحَسّى في العربية كما مر بيانه .

وقوله في البيت الثاني (أفرغت في الزجاج من كل قلب) جملة حالية من مفعول (تراها) في البيت الأول ، لأن الرؤية فيه بصرية أي ترى المدام حينما تحدث في نفس شاربها السرور والنشاط مُفرَغَةً في زجاج الكؤوس (من كل قلب) ، أي كأنها تسيل وتعصر من القلوب لا من عناقيد العنب . والدليل على أنها معتصرة من القلوب هو أنك تراها مُحَبَّبة الى القلوب . فلو لم تكن معتصرة من القلوب لما كانت محببة اليها لأنها جزء منها . كما أن الولد جزء من أبيه ولذا يحبه . وهذا على حد قول الآخر :

اذا كنتَ في كل القلوب مركباً فأنتَ الى كل الأنام حبيب

وما قاله البحتري في وصف الخمرة على بلاغته من جهة الصنعة الشعرية والجمال الفني فإن الأبلغ منه من جهة الصنعة الطبية والأخلاقية والاجتماعية قول بعض الحكماء (ليست الخمور سوى مصائب مجمّعة في الكؤوس) وجاء في بعض الأسفار القديمة : (إذا أراد الشيطان أن يدخل مكاناً عسُر عليه الوصولُ اليه أرسل أمامه الخمرة) .

(وتوهمتُ أن كسرى أبرويـز مُعاطِيَّ والبلَهْبَذَ إنسي)

كلمة (كسرى) يطلقها العرب على كل ملك للفرس كما أطلقوا (النجاشي)

على كل ملك للحبش . و (كسرى) محرفة عن اسم علم لأحد ملوكهم الأقدمين وهو (كيخسرو) . ويُفهم من كسرى عند الإطلاق كسرى أنوشروان المشهور بالعادل . وقد وُلد في زمنه النبيُّ (ﷺ) ، أما كسرى أبرويز المذكور في البيت فهو من متأخري ملوكهم الذين أدركهم الإسلام . والمعاطاة في اللغة المناولة ثم غلبت في مناولة كؤوس الخمر و (البَلَهْبُذ) اشتبه عليَّ تفسيرها وضبطها ولا سيما انها في معجم البلدان (البلهبدى) بالدال المهملة وألف مقصورة في آخرها . ولم أجدها في المعاجم العربية . وليس لدينا معاجم فارسية يعتمد عليها . ثم هُديت الى تفسيرها بطريق ينبغي ذكره للطف اتفاقه وحسن مساقه : ذلك أنه زار مجمعنا العلمي الدمشقي (سنة ١٩٢٩ م) لمشاهدة الآثار نفر من حجاج الإيرانيين . وفيهم رجل يتزيّا بزيّ علمائهم ومجتهديهم فاستأنستُ به وطفت معه على الآثار . وسألته عن اسمه فقال : إنه من علماء رشت في خراسان العجم واسمه (ميرزا أبو الفضل) وانه مدرس في احدى مدارس رشت يعلّم طلابها الفقه . فذاكرته في معنى كلمة (البلهبذ) وأنشدته بيت البحتري المذكور ، فقال : البلهبذ بضم الباء الثانية لا بفتحها وآخرها ذال معجمة ومعناها النديم[1] ويراد منها نديم كسرى المشهور ، فقلت له : هل تأذن لي

---

(١) ثم ظفرنا بفوائد تتعلق بالبلهبذ في شهنامة الفردوسي المترجمة تعريبة جزء (٢ ص ٢٥٤) وخلاصة ما قرأته فيها ان البلهبذ هو أكبر المغنّين في بلاط كسرى (أبرويز) وأصل اسمه بالفلهوية (بَلَهْبَتْ) وقد تحرف في العربية الى نحو عشرة تحاريف منها : (بربد) و (برباد) وبهلبد وبهلبذ وباهبدى الخ . وهو الذي غنّى لكسرى فأعلمه بموت حصانه (شبديز) بعد ان أحجم وزراؤه عن نعيه اليه . وقد رأيت الأستاذ عبد الوهاب عزام في مجلة الرسالة في كلامه على رحلته الى ايران يضبط (البَلَهْبَذ) بفتح ثم فتح ثم سكون ثم فتح ثم ذال مرةً معجمة ومرةً مهملة وقال : رووا ان لكسرى أبرويز ثلاث خصائص : حصانه شبديز وجاريته شيرين ومغنّيه بلَهْبَذ ولم يقم في العالم أحذق من باهبذ بالعود .

أن أروي شرح هذه الكلمة عنك ؟ قال : قد أذنت لك . فشكرت له تلطفه وودعته بحفاوة وإكرام .

وكلمة (أنسي) بضم الهمزة وهو ضد الوحشة أي ذو أنس ، وأستحسن أن تكون بكسر الهمزة صفة بمعنى الأنيس الذي يؤانسك ، يقال فلان (إنسُك وابنُ إنسِك) بكسر الهمزتين أي صفيك وأليفك ، وقال أبو زيد (تقول العرب للرجل : كيف ترى ابنَ إنسِك ؟ إذا خاطبت رجلاً تسأله عن نفسك) .

ومعنى البيت أن البحتري لما سقاه (أبو الغوث) نخب العسكرَين وهو ينظر اليهم والى ملوكهم خُيِّل اليه أنه في مجلس شراب وأن كسرى ابرويز نفسَه يعاطيه ، والبلبذَ نديمَه يؤانسُه ويناجيه .

(حُلُمٌ مُطبِقٌ على الشك عيني أم أمانٍ غَيَّرنَ ظَنّي وحَدْسِي)

(الحُلُم) رؤيا المنام و (أمان) جمع أمنية والحدس الظن والتخمين ، يقول البحتري : إن ما توهمه من معاطاة كسرى ومنادمة البلبذ أهو يا ترى أضغاث أحلام انطبقت أجفانه على الشك والتردد في صحتها أو هو من قبيل الأماني التي تشتد أحياناً في النفس فيتبدل معها الظن والتخمين إلى القطع واليقين ؟؟

(وكأنّ الإيوان من عَجَب الصنـــعة جَوْبٌ في جَنب أرعن جِلْسِ)

بعد أن وصف الشاعر صورة معركة انطاكية التي شاهدها في (الجرماز) ، وشرب عليها المدام اختلاساً من دون نقل ولا ماز ، عاد في الوصف الى مشهد آخر من مشاهد إيوان كسرى وطاقه المشهور . والطاق كما مر القوس الأعظم المبني بالآجر وكل آجرة طولها ذراع وعرضها نحو شبر . عُرِّيَتْ تلك القنطرة من جصها وزينتها . ولم يبق منها إلا تلك الآجرات المقوسة كأضلاع الهيكل العظمي بحيث يظنها من يراها عالقةً في الفضاء وقد انطادت صُعُداً حتى كأن لها حاجةً في السماء . هذا الطاق اذا استقبله الزائر رأى فضاء مطوقاً بقوس

من آجر على ارتفاع ثمانين ذراعاً وقد أحاطت به من ورائه بعيدةً عنه بقايا القصور والأبنية الشاهقة ـ اذا رأى هذا المشهدَ مشاهدُه لم يحسبه إلا جَوْباً في جنب أرْعَنَ جَلْسٍ . والجوبُ الخَرْقُ والنَقْبُ الواسع . وكل فجوة تحيط بها البيوت من جوانبها فهي جَوْبٌ . وأصل معنى الجوب القطع وجابوا الصخر بالواد (وهم ثمود) : قطعوه ونحتوا فيه فَجَوات ومغاور يسكنون فيها . والأرعن الجبل ذو الرَعْن . والرعن أنف عظيم يتقدّم الجبل أي نتوءٌ وبروزٌ في الجبل . و (الجَلْس) بفتح الجيم الجبل العالي الطويل .

يقول البحتري في صفة الإيوان وطاقه : إن صانعه أتى في صنعه بالعَجَب العجاب : إذ هو يشبه فجوةً واسعة في جنب جَبَلٍ شامخ عظيم .

هذه الفجوة أو الجَوْب الواسع في الجبل الذي رآه شاعرنا يذكّر بفجوةٍ أخرى أو جَوْبٍ آخر يراهُ الناظر تحت قدمه إذا أشرف من أرز لبنان على وادي نهر قاديشا المشهور بالجُبّة . تلك الفجوة أو الهوَّة الواسعة العميقة جدَّ العمق والتي تحيط بها الجبال الشاهقة جدَّ الشموخ وكلها من صنع الطبيعة تُذَكِّر بفجوة الطاق الهائلة وحولها الأبنية ، وكلها من صنع البشر .

(يَتَظَنّى من الكآبة إنْ يَبْـــدُ لعينيْ مُصَبِّح أو مُمَسِّي)
(مزعَجاً بالفراق عن أُنس إلف عزَّ أو مُرهقاً بتطليق عِرس)

يصف الكآبة الحزينة التي تغشى الإيوان عندما يراه الناظر وقتَ الصباح أو وقتَ المساء . و (يَتَظَنّى) بمعنى الظن أصله يتظنّن بثلاث نونات أُبدلت الأخيرة ألفاً ومنه قول الحريري في مقاماته :

يا من تَظَنّى السَرابَ ماءً لما رويتُ الذي رويتُ

(مُصبِّح ومُمسّي) اسما فاعل من صبّحه ومسّاه جاءه صباحاً ومساءً . و (مزعَجاً) بفتح العين اسم مفعول من أزعجه عن وطنه ثم اضطرّه الى مغادرته وهو كاره ومنه قول ابن دريد :

بسائلي بتزعجي عن وطني ما ضاق بي جنابه ولا نبا

و (إلف عزٍّ) أي أليف وأنيس عزٍّ عليه و (المُرهَق) اسم مفعول أيضاً من أرهقه إذا أعنته وكلّفه ما لا طاقة له بحمله · والعِرس بكسر العين: الزوجة ·

والمعنى أن من زار الإيوان صباحاً أو مساءً ظنه مما عليه من الكآبة والعُبوس وسوء الحال رجلاً طرده ظالم من وطنه وفرّق بينه وبين أليفه المؤانس له العزيز عليه · أو يظنه زوجاً مُحباً لزوجه في رَغَد من الحياة معها أرهقه ظالم غاشم وأكرهه على تطليقها ، فإيوان كسرى يشبه أحد هذين الرجلين الحزينين المهاجر من وطنه أو المطلق لسكّنته ·

(عكست حظّه الليالي وبات الـــــمشتري فيه وهو كوكب نحْس)

هذا البيت وارد على رأي الأقدمين في الطالع وأن للنجوم تأثيراً في أحوال البشر ، وشؤون حياتهم · وهو العلم الذي أبطله الإسلام · ولكن مع الأسف بقي جماعة من المسلمين يؤمنون به الى هذه الساعة ·

وكوكب (المشتري) هو الذي يتجلّى على الناس بحسن الطالع في زعم المنجمين · وعلى العكس كوكب (زُحَل) فإن طالعه شؤم وشقاء عليهم · فإيوان كسرى بعد أن كان كوكب سعده كوكب المشتري عكست الليالي هذا الحظ وحوّلت المشتري الى كوكب نحس وشؤم على الإيوان ·

(يتبع) المغربي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية

- ٢ -

(م) فان قيل (أي إن قال الشيعة) : فأنتم - في هذا المقام - تسبون الرا . . وتذمونهم وتذكرون عيوبهم .

(ت) قيل (أي يقول السنيون) : ذكرُ الأنواع المذمومة غيرُ ذكر الأشخاص المعيَّنة . . . وهم يستعينون بالكفار على المسلمين ، كما جرى لجنگز خان ملك الترك الكفار ، فانهم أعانوه على المسلمين . وإما إعانتهم لهولاكو ابن ابنه لما جاء الى خراسان والعراق والشام ، فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على أحد . . . . ولم يُرَ في الاسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار للمسلمين بالتتر ، وقتلوا الهاشميين وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين ، فهل يكون مواليًا لآل الرسول (ﷺ) من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين ؟؟

[وصف مؤرخ الشيعة الميرزا محمد باقر الخونساري في ص ٥٧٨ من كتابه (روضات الجنات) الطبعة الثانية هذا الموقف المخزي ، فقال في ترجمة شيخهم النصير الطوسي ما نصه : « ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره (أي النصير الطوسي) للسلطان المحتشم في محروسة ايران ، هولاكو خان ابن تولي خان ابن جنگز خان ، من عظماء سلاطين التاتارية ، وأتراك المغول ، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد الى دار السلام بغداد ، لإرشاد العباد وإصلاح البلاد ، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد ، وإخماد

نائرة الجور والإلباس ، بإبادة دائرة ملك بني العباس !! وايقاع (القتل العام) من أتباع أولئك الطغام . إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار ، فانهار بها في ماء دجلة ، ومنها الى نار جهنم دار البوار ، ومحل الأشقياء الأشرار !!! .. وهذا مصداق ما قرره شيخ الإسلام (ابن تيمية) منقولاً بحروفه من اعتراف الخونساري .. الذي يعدّ (القتل العام) في المسلمين من أمانيهم ورغائبهم ، عاملهم الله بما يستحقون] .

(ت) وكان وزير الخليفة ببغداد الذي يقال له ابن العلقمي منهم (توفي سنة ٦٥٦) .

[ووثق به المعتصم آخر الخلفاء العباسيين ، فألقى اليه زمام أموره . ولما دخلت جيوش هولاكو الوثني بلاد إيران أرسل اليه ابن العلقمي يحرضه على قصد بغداد ... فزحف هولاكو على بغداد في مائتي الف من التتار والكرج وسائر يأجوج ومأجوج ، ومثّل ابن العلقمي دوره في مخادعة الخليفة المستعصم ، وهوّن عليه الأمر ، فلما نزلت جيوش هولاكو في شرقي بغداد وغربيها ، استأذن ابن العلقمي خليفته بالخروج إليهم للتوسط في الصلح ، وبعد أن توثق الخبيث لنفسه وكاشف المغيرين بانحيازه اليهم وخيانته لدولته ، عاد فزعم للخليفة انّ هولاكو يرغب في تزويج ابنته بالأمير أبي بكر ابن الخليفة !! .. ودعا الخليفة وابنه وأعيان الدولة الى الخروج لزيارة هلاكو ، كما دعا العلماء والرؤساء ليحضروا عقد الزواج بزعمه ؛ فلما صاروا بعسكر هلاكو أمر بضرب أعناقهم ، وبقيت الرعية بلا راع ؛ ثم دخلت يأجوج ومأجوج بغداد ، فوضعت السيوف في الرقاب ؛ واستمر القتل والسبي والنهب أربعين يوماً ، ويقال ان هلاكو أمر بعد ذلك باحصاء ضحايا الأمة الإسلامية هناك ، فزاد عدد من أحصوه من القتلى على ألف ألف ، وثمانمائة ألف ، والذي لم يحصوه أضعاف

ذلك - وقد وصف تقي الدين ابن أبي اليُسر هذه الجزرة الهمجية بقصيدة منها :

يا زائرين إلى الزوراء لا تَفِدوا فما بذاك الحمى والدار ديّارُ

أما عدوّ الله ابن العلقمي فخابت آماله كلها في إقامة الملك أو الإمامة لهم ، واحتقره هلاكو ورجاله كما يحتقر كل خائن ، وصار فيهم كمملوك من المماليك ، حتى أثر عنه أنه كان ينشد : « وجرى القضاء بعكس ما أمّلته » ثم مات كمدا ، لا رحمه الله . وهذا البلاء الأعظم الذي وقع في دولة الإسلام وأمة المسلمين على يد كفار التتار الوثنيين ، هو الذي وصفه مؤرخ الشيعة الخونساري بلسان الشماتة والابتهاج ، معلناً أنه ومَن على شاكلته من طائفته منحازون الى صفوف الكفار ، ومعادون لجماعة المسلمين . قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله] .

(م) وقال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، (فمن عاد الى مثلها فاقتلوه) .

(ت) قلنا : هذا القول الأخير افتراء ، وإنما قال : وليس فيكم من تقطع اليه الأعناق مثل أبي بكر . ومعناه أن بيعة الصديق بُودر اليها من غير انتظار وتربث لكونه كان متعينا .

(م) ولم يولّ النبي أبا بكر عملاً قط ؛ بل ولّى عليه عمرو بن العاص مرة ، وأسامة أخرى . ولمّا أنفذه بسورة براءة ردّه بوحي من الله » .

(ت) قلنا من المعلوم قطعاً أن النبي (ﷺ) استعمل أبا بكر على الحج عام تسع ، فكان هذا من خصائصه ، كما أن استخلافه على الصلاة من خصائصه ، وكان عليّ من رعيته في الحج المذكور ، فإنه لحقه فقال (أي أبو بكر لعلي (رض) : أمير أو مأمور ؟ قال عليّ : بل مأمور . وكان علي يصلي خلف أبي بكر مع سائر المسلمين في هذه الحجة ، بل خُصّ بتبليغ سورة براءة » .

[لسببين : (أحدهما) أن في السورة فسخاً لعهود سابقة مع المشركين ، ومن عادة العرب أن يتولى إعلان ذلك الرجلُ المطاع في جماعته ، أو رجل من ذوي قرابته . (والسبب الثاني) أن في السورة ثناء من الله عز وجل على الصديق الأعظم رضوان الله عليه ، وهو قول الله جل جلاله : « إلاّ تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن ، إنّ الله معنا » . فكان من مناقب الخليفة الأول لرسول الله ﷺ أن يعلن هذا الثناء الإلهي عليه أخوه علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما] .

(م) وأهمل أبو بكر حدود الله ، فلم يقتصّ من خالد بن الوليد حيث قتل مالك بن نويرة ، وأشار عمر بقتله فلم يقبل » .

(ت) إن كان ترك قتل قاتل المعصوم (أي معصوم الدم) مما ينكر على الأئمة كان هذا من أكبر حجج شيعة عثمان على عليّ ، فإن عثمان خير من أمثال مالك بن نويرة ، وقد قتل مظلوماً شهيداً ، وعلي لم يقتص من قتلته ، ولذا امتنع الشاميون من مبايعته ، فإن عذرتموه فاعذروا أبا بكر ، فإنا نعذرهما . وكذلك إنكاركم على عثمان حيث لم يَقتص من عبيد الله بن عمر بالهرمزان . ثم إن عمر أشار عليه باجتهاد منه .

(م) وخالف أمر النبيّ في توريث بنته ومنعها فَدَك » .

(ت) قلنا : جميع المسلمين مع أبي بكر فيما فعل ، (خلا الجهلة) وذلك لرواية جماعة من الصحابة عن النبي (ﷺ) أنه قال « لا نورث » (وقد تقدم ذلك) .

[روايات هذا الحديث وما دار حوله في ص ٤٨ — ٥١ من (العواصم من القواصم)] .

(م) وعن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) قال في مرضه: ائتوني بدواة وبيضاء، لأكتب لكم كتاباً لا تضلون من بعدي. فقال عمر: إن الرجل ليهجر، حسبنا كتاب الله، فكثر اللغط، فقال رسول الله (ﷺ): اخرجوا عني، لا ينبغي التنازع لديّ، قال ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب النبي (ﷺ).

(ت) أما قصة الكتاب فقد جاء مبيّناً في الصحيحين من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله (ﷺ) في مرضه: ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر» ... والنبي (ﷺ) كان عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع، علم أن الكتاب لا يرفع الشك فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما أراد، كما قال: «ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر». ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضالّ باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة؛ أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأنّ علياً كان هو المستحق للإمامة فيقولون انه قد نصّ على إمامته قبل ذلك نصاً جلياً ظاهراً معروفاً، وحينئذ فلم يكن يحتاج الى كتاب.

(م) فكان (أي عمر) يعطي أزواج النبي (ﷺ) من بيت المال أكثر مما ينبغي، ويعطي عائشة وحفصة في السنة عشرة آلاف.

(ت) قلنا: كان مذهبه التفضيل في العطاء، كما كان يعطي بني هاشم أكثر من غيرهم، ويبدأ بهم، ويقول: ليس أحد أحق بهذا المال من أحد، وإنما هو الرجل وغناؤه، والرجل وبلاؤه، والرجل وسابقته، والرجل وحاجته، وكان يعطي ابنه عبد الله أنقص مما يعطي أسامة بن زيد، فو الله ما كان عمر يتهم في تفضيله لمحاباة ولا صداقة.

(م) وقال بالرأي والحدس والظن» .

(ت) قلنا هذا لم يختصّ به ، وقد كان عليّ من أقولهم بالرأي ، فمن ذلك مسيرُه الى صفّين ، فقال : لمْ يَعْهَدْ إليَّ فيه نبيّ الله بشيء ولكنه رأي رأيته . وأما قتاله الخوارج فكان معه فيه حديث . وأما قتال الجمل وصفين فلم يروِ أحد منهم فيه نصّاً إلاّ القاعدون فانهم رووا الأحاديث في ترك القتال في الفتنة [ومنهم سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو موسى الأشعري ، وأسامة بن زيد وغيرهم] .

ومعلوم أن الرأي إن لم يكن مذموماً فلا لوم على من قال به ، وإن كان مذموماً فلا رأي أعظم ذمّاً من رأي أريق به دم ألوف مؤلفة من المسلمين ، ولم يحصل بقتلهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا في دنياهم ، بل نقص الخير عمّا كان ، وزاد الشرّ على ما كان ، فاذا كان مثل هذا الرأي لا يعاب به فرأي عمر وغيره في مسائل الفرائض والطلاق أولى أن لا يعاب ، مع أن عليّاً شركهم في هذا الرأي ، وامتاز برأيه في الدماء ؛ وقد كان ابنه الحسن وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة ، وكان هـذا الرأي أصلح من رأي القتال بالدلائل الكثيرة . ومن المعلوم أنّ قول عليّ في الجدّ وغيره من المسائل كان بالرأي ، وقد قال : اجتمع رأيي ورأي عمر على المنع من بيع أمهات الأولاد .

(م) إن زعم أنّ الإمام يكون منصوصاً عليه وهو معصوم» .

(ت) فليس هو أعظم من الرسول ، ونوابُه وعمّالُه ليسوا معصومين ، ولا يمكن أن ينصّ الشارع على كل معيّنة ، ولا يمكن النبيّ ولا الإمام أن يعلم الباطن في كل معيّنة . وأما علي رضي الله عنه فظهور الأمر في الجزئيات بخلاف ما ظنه كثير جدا ، فعلم أنه لا بدّ من الاجتهاد في الجزئيات من المعصومين

وغير المعصومين . وفي الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال : «أنكم تختصمون إليّ ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضي بنحو مما أسمع ، فمن قضيتُ له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار» فحكمه في القضية المعينة إنما هو باجتهاده ، ولهذا نهى المحكوم له أن يأخذ ما حكم له به إذا كان الباطن بخلاف ما ظهر .

(م) وقولك : جمع (أي عمر) بين الفاضل والمفضول ، (أي في الشورى) .

(ت) فهذا عندك ، وأما عندهم فكانوا متقاربين ، ولهذا كانوا في الشورى مترددين ، فان قلت : علي هو الفاضل وعثمان المفضول ، قيل لك : فكيف أجمع المهاجرون والأنصار على تقديم مفضول ؟ وقال بعض العلماء : مَن قدّم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، وفي الصحيحين عن ابن عمر ، قال : كنا نفاضل على عهد النبي (ﷺ) فنقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان . وفي لفظ : ثم ندع أصحاب النبي (ﷺ) فلا نفاضل بينهم ، فهذا ينقل ما كان عليه الصحابة على عهد نبيهم ، وظهر أثر ذلك فانهم بايعوا عثمان من غير رغبة ولا رهبة واتفقوا عليها ... فدلّ على أنهم إنما قدموه باستحقاق . وهذا شيء إذا تدبره الخبير ازداد به بصيرة وعلماً .

(م) وأمّا عثمان فانه ولّى مَن لا يَصلُح حتى ظهر من بعضهم الفسق والخيانة ، وقسم الولايات بين أقاربه ، وعوتب فلم يرجع .

[كلُّ ما عزاه أعداء الصحابة الى ذي النورين رضوان الله عليه ، أورده القاضي أبو بكر بن العربي وسماه (قواصم) وأجاب على كل قاصمة بعاصمة من الحق عن أصدق المصادر وأصحها بعد كتاب الله . ومن ذلك تألف كتاب : (العواصم من القواصم) الذي علقنا عليه بما لا يترك مقالاً لقائل . فارجع اليه لطهر قلبك من الغل للذين آمنوا من تلاميذ محمد (ﷺ) ، وخاصة أحبابه ،

فان أعداءهم شحنوا الكتب بالأكاذيب التي انتشرت ، وأفسدت قلوب بعض المسلمين على سلفهم الأول ، إلى أن أظهر الله الحق بكتاب العواصم من القواصم ، فانتفع به الكثيرون ولله الحمد والمنة] .

(تنبيه) ذكر ابن المطهر أمثلة على انحراف الخليفة عثمان ، فأجاب عنها ابن تيمية ، وصاحب التعليقات واحدة واحدة .

(م) وأبو بكر وعمر وعثمان ما كانوا معصومين اتفاقاً ، وعلي معصوم فيكون هو الإمام » .

(ت) الرسول هو المعصوم ، وطاعته هي الواجبة في كل وقت على الخلق ، وعلم الأمة بأوامره أتم من علم البعض بأوامر المنتظر . فهذا رسول الله (ﷺ) هو المعصوم ، وأوامره معلومة ، فاستغنت الأمة به وبأوامره وبعلمه عن كل أحد ، وأولو الأمر منفذون لدينه ليس إلا . ومعلوم قطعاً أنه كان نوابه في اليمن وغيرها يتصرفون في الرعية باجتهادهم وليسوا بمعصومين ، ولم يتولّ على الأمة من ادُّعيت له سوى علي ، و كان من نوابه على رعيته بالبلاد النائية مَن لا يدري بما أمر ولا بما نَهى ، بل كانوا يتصرفون بما لا يعرفه هو (أي باجتهادهم) .

ثم الإمام الذي وصفتَه ، لا يوجد في زماننا ، مفقود غائب عندكم ، ومعدوم لا حقيقة له عند سواكم ، ومثله لا يحصل له شيء من مقاصد الإمامة ، بل الإمام الذي يقوم وفيه جهل وظلم (كما تدَّعون) أنفع لمصالح الأمة ممن لا ينفعهم بوجه ، والإمام يحتاج اليه للعلم ليبلغه ، وللعلم ليطاع في سلطانه .

[إن جميع الدلائل الشرعية والعقلية والتاريخية التي في أيدينا ـ عن آخر مَن يدَّعون عصمته ـ تدلّ على أنه لم يخلق ، ويوم وقعت وفاة أبيه وحُررت تركته ، لم تقل زوجة من أزواج المتوفى ولا أمة من إمائه إنّ له ولداً منها . وحجزت أزواجه وإماؤه في منزل مدة العدّة على احتمال أن تكون حاملاً فتلد ،

فمضت مدة العدة ولم يولد له أحد . والمنزل الذي يزعمون ان فيه سرداباً كان من يوم وفاة الحسن العسكري تحت تصرف أخيه جعفر ، وكان جعفر على يقين بأنه ما كان ولم يكن لأخيه ولد ، وللعلويين نقابة ونقيب وسجل للمواليد ، وليس فيه أي ذكر لمولود ينسب الى الحسن العسكري] .

(م) والإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته ، وعليّ فاضل أهل زمانه فهو الإمام لقبح تقدم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلا » .

(ت) قلنا لا نسلّم أنه أفضل أهل زمانه ، فانه قال على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر . ثم كثير من العلماء لا يوجبون تولية الأفضل ، ومنهم من يقول بولاية المفضول إذا كان فيها مصلحة راجحة كما تقول الزيدية .

(م) قوله تعالى : يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك » اتفقوا على نزولها في عليّ ، روى أبو نُعيم باسناده الخ ومن تفسير الثعلبي الخ وقد روى هذا النقاش في تفسيره » .

(ت) قولك اتفقوا على نزولها في عليّ كـ . . . بل ولا قاله عالم ، وفي كتاب أبي نعيم والثعلبي والنقاش من الكذب ما لا يُعَدّ ، والمرجع في النقل الى أمناء حديث رسول الله ، كما أن المرجع في النحو الى أربابه ، وفي القراءات إلى حذاقها ، وفي اللغة إلى أئمتها ، وفي الطب إلى علمائه ، فلكل فنّ رجال ، وعلماء الحديث أجلّ وأعظم تحرياً للصدق من كل أحد ، علم ذلك من علمه ، فما اتفقوا على صحته فهو الحق ، وما أجمعوا على تزييفه وتوهينه فهو ساقط ، وما اختلفوا فيه نُظر فيه بانصاف وعدل ، فهم العمدة كمالك وشعبة والأوزاعي والليث والسفيانين والحمّادين وابن المبارك ويحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ، ووكيع وابن علية ، والشافعي وعبد الرزاق والفريابي وأبي نعيم والقعنبي والحميدي

وأبي عبيد وابن المديني وأحمد واسحاق وابن معين وأبي بكر بن أبي شيبة والذهلي والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم وأبي داود ومسلم وموسى بن هارون وصالح جزرة والنسائي وابن خزيمة وأبي أحمد بن عدي وابن حبان والدارقطني وأمثالهم من أهل العلم بالنقل والرجال والجرح والتعديل .

وقد صنف في معرفة الرجال كتب جمة : كالطبقات لابن سعد ، وتاريخي البخاري ، وكلام ابن معين من رواية أصحابه عنه ، وكلام احمد من رواية أصحابه عنه ، وكتاب يحيى بن سعيد القطان ، وكتاب علي بن المديني ، وتاريخ يعقوب الفسوي ، وابن أبي خيثمة ، وابن أبي حاتم ، والعقيلي ، وابن عدي وابن حبان والدارقطني .

والمصنفات في الحديث على المسانيد : كمسند أحمد ، واسحاق ، وأبي داود ، وابن أبي شيبة ، والعدني ، وابن منيع ، وأبي يعلى ، والبزار ، والطبراني وخلائق .

وعلى الأبواب : كالموطأ ، وسنن سعيد بن منصور ، وصحيحي البخاري ومسلم ، والسنن الأربعة ، وما يطول الكتاب بتعداده .

ثم نقول : ما يرويه مثل النقاش والثعلبي وأبي نعيم ونحوهم : أتقبلونه مطلقاً لكم وعليكم ، أم تردونه مطلقا ، أو تأخذون بما وافق أهواءكم وتردون ما خالف ؟ فان قبلوه مطلقاً ، ففي ذلك من فضائل الشيخين جملة من الصحيح والضعيف ، وإن ردوه مطلقاً بطل اعتماده بما ينقل عنهم ، وان قبلوا ما يوافق مذهبهم أمكن المخالف ردّ ما قبلوه والاحتجاج بما ردّوه ، والناس قد كذبوا في المناقب والمثالب أكثر من كل شيء .

ثم هذا الحديث كذب باتفاق أهل الحديث ، ولهذا لم يُروَ في شيء من كتب الحديث المرجوع اليها ، وانما يجوّز صدقه من يقول : إن النبي (ﷺ) كان على مذهب أحد الأربعة !! . . . أو انّ قبر علي رضي الله عنه بباطن

النجف ، وأهل العلم يعلمون أنَّ علياً ومعاوية وعمرو بن العاص دفن كل واحد منهم بقصر الإمارة ، خوفاً عليه من نبش الخوارج .

[أما قصر الإمارة في الكوفة الذي دفن فيه عليٌ كرم الله وجهه ، فانه يقع قبلي الجامع ويطلُّ على الرحبة . ويقول مؤرخ الشيعة لوط بن يحيى إنه دفن في إحدى زوايا الجامع على رحبة القصر ، بالقرب من أبواب كندة . وما زعمته الشيعة بعد ذلك من أن قبره في النجف ، فهو زعم متأخر دهراً طويلاً عن زمن عليّ وابنيه ، لأنه يرجع إلى أواخر القرن الثالث ، وقصر الإمارة في دمشق الذي يعلم أهل العلم أن معاوية دفن فيه هو (الخضراء) التي كانت تتصل بجدار القبلة من مسجد دمشق ، وتمتد شرقاً الى بركة جيرون ، وغرباً الى باب البريد ، وجنوباً الى قصر أسعد باشا العظم وما حوله] .

[وأما عمرو بن العاص فانه لما توفي في عيد الفطر من عام ٤٣ صلى عليه ابنه عبد الله (رض) ولم أعثر عند كتابة هذا التعليق على نص لمن قالوا انه دفن في دار الإمارة ؛ والمشهور أنه دفن في سفح جبل المقطَّم بقرب مدخل الشعب . وكان الصحابة يرون أن العظماء تخلدهم أعمالهم لا قبورهم . ولذلك لم يكونوا ــ كالفراعنة والجبارين ــ يبالون بأن تقام المباني والصروح على قبور العظماء منهم والفاتحين والصالحين] .

(م) روى الجمهور قوله عليه الصلاة والسلام : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض . وقال : أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق . وسيد أهل بيته علي ، فيكون واجب الطاعة على الكل فيكون الإمام » .

(ت) قلنا : إنما لفظ الحديث في مسلم ، عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله (ﷺ) خطيباً بخم ، فقال : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به

لن تضلوا : كتاب الله » وأما قوله : « وعترتي » فهذا رواه الترمذي ، وتفرد به زيد بن الحسن الانماطي عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جابر ، والانماطي قال فيه أبو حاتم منكر الحديث [وبعدُ الشيعة منهم ، وله ترجمة عند المامقاني (١ : ٤٦٢) . ولكنه غير محمود عندهم ولا عندنا] . وأما حديث سفينة نوح فغير صحيح ، ولا هو في شيء من الكتب المعتمدة ، وقوله عليه الصلاة والسلام : لن يتفرقا ، يدل على أن إجماع العترة حجة ، وهو قول طائفة من أصحابنا وذكر القاضي في المعتمد : والعترة هم بنو هاشم كلهم : ولد علي وولد العباس وولد الحارث ابن عبد المطلب . وسيد العترة هو رسول الله (ﷺ) وكان ابن عباس أفقه العترة ، وكان يخالف علياً في مسائل ، وعلي ما كان يوجب على أحد طاعته فيما يفتي به .

(الخاتمة) كل عاقل يعلم أن أهل الدين والجمهور ليس لهم غرض ـ والله ـ لا مع علي ولا مع غيره ، ولا غرضهم تكذيب نبيهم ، ولا ردّ ما أمر به ، ولو علموا أن الرسول نصّ لهم على عليّ لكانوا أسبق شيء الى أمره والى التصديق به ، غاية ما يقدّر أنه خفي عليهم هذا الحكم فكيف يكون مَن خفيَ عليه جزء من الدين مثل ... بل يكفي من وضع .. قول المصطفى (ﷺ) : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، نعم ، ومن كتم ما نصّ عليه الرسول مراغمة لله ورسوله فهو من أصحاب النار .

(م) المنهج الرابع في الأدلة الدالة على إمامته من أحواله ، فذكر أنه كان أزهد الناس وأعبدهم ، وأعلمهم وأشجعهم . وذكر أنواعاً من خوارق العادات له .

(ت) بل كان أزهدَ الناس بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر ، فانه كان له مال يتجر به ، فأنفقه كله في سبيل الله [أخرج أبو داود في الزهد بسند صحيح عن هشام بن عروة ؛ أخبرني أبي قال : أسلم أبو بكر وله أربعون ألف

درهم ، قال عروة : وأخبرتني عائشة ، أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهماً . ومن طريق أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه : كان أبو بكر معروفاً بالتجارة ، ولقد بعث النبي (ﷺ) وعنده أربعون ألفاً ، فكان يعتق منها ويعول المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف ، وكان يفعل فيها كذلك] .

قال ابن زنجويه [هو حميد بن مخلد الثقة الثبت الحجة الحافظ . توفي سنة ٢٤٧] : كان علي فقيراً في أول الإسلام ، ثم استفاد الرباع والمزارع والنخيل ، واستشهد رضي الله عنه وعنده تسع عشرة سرية وأربع نسوة . وقال شريك بن عاصم : لقد رأيتني على عهد رسول الله (ﷺ) أربط الحجر على بطني من شدة الجوع ، وان صدقة مالي لتبلغ اليوم أربعين ألفاً .

ثم قد كان لأبي بكر من الولد مثل عبد الرحمن ، ومن القرابة مثل طلحة أحد العشرة ، فما استعمل هذا ولا هذا في جهاته ، وهي مكة والمدينة واليمن وخيبر والبحرين وحضرموت وعمان والطائف واليمامة ، ثم جرى عمر على مجراه ، ولم يستعمل من بني عدي أحداً على سعة عمله ، وقد فتح الشام ومصر والعراق إلى خراسان ، إلا النعمان بن عدي العدوي وحده - على ميسان - ثم أسرع عزله ؛ فكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد العشرة ، وأبي جهم بن حذيفة وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبد الله وولده عبد الله بن عمر . ثم كل منهما لم يستعمل ابنه من بعده على الأمة . . . وجدنا علياً استعمل أقاربه : ابن عباس على البصرة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقثما ومعبداً ابني عباس على الحرمين ، وابن أخته جعدة بن هبيرة على خراسان ، وابن امرأته وأخا ولده محمد بن أبي بكر على مصر ، ورضي بيعة المسلمين لابنه بعده . ولسنا ننكر أهليته وزهده وعظمته ، ولا أهلية عبد الله بن عباس للخلافة ، ولكنا نقول : إن أبا بكر وعمر أتم زهداً وأعزف عن الدنيا من زاهد يفعل المباحات .

منع زكاة ، بل على إيمانهم بمسيلمة ، وكانوا نحو مائة ألف . والحنفية سريّة علي - أم محمد بن الحنفية - من سبيهم .

[وتسري علي بها اعتراف منه بشرعية حكم أبي بكر وحروبه ونتائجها (انظر رسالة مؤتمر النجف ص ٣١)] .

فأما الذين قاتلهم على منع الزكاة فطوائف من العرب غير بني حنيفة استباحوا ترك الزكاة بالكلية فقاتلهم ... فأمر بني حنيفة قد خاص الى العذارى في الخدور ، وكتاب الردة لسيف بن عمر مشهور ، والردة للواقدي . ثم قولك إن عمر أنكر قتال أهل الردة ورد عليهم » من البهتان ، وإنما توقف مع الصديق في قتال مانعي الزكاة فناظره ، فرجع عمر الى قوله . وأما الذين سميتهم وأنهم تخلفوا عن بيعة الصديق ... ما تخلف إلا سعد بن عبادة ، ومبايعة هؤلاء لأبي بكر ثم عمر أشهر من أن تنكر .

والكلام في إمامة الصديق إما أن يكون في وجودها ، وإما أن يكون في استحقاقه لها . (أما الأول) فهو معلوم بالتواتر واتفاق الناس بأنه تولى الأمر ، وقام مقام رسول الله (ﷺ) وخلفه في أمته ، وأقام الحدود ، واستوفى الحقوق ، وقاتل الكفار والمرتدين ، وولي الأعمال ، وقسم الأموال ، وفعل جميع ما يفعل الإمام ؛ بل هو أول من باشر الإمامة في الأمة .

وأما إن أريد بإمامته كونه مستحقاً لذلك ، فهذا عليه أدلة كثيرة غير الاجماع : فلا طريق يثبت بها كون علي مستحقاً للإمامة إلا وتلك الطريق يثبت بها أن أبا بكر مستحق للإمامة ، وأنه أحق بالإمامة من علي وغيره . وحينئذ فالإجماع لا يحتاج اليه لا في الأولى ولا في الثانية ، وإن كان الإجماع حاصلا .....

فمن تأمل وجد فضائل الصديق كثيرة ، وهي خصائص له ، مثل : « إن

الله معنا » وحديث المخالّة ، وحديث انه احبُّ الرجال إلى رسول الله (ﷺ) وحديث الإتيان إليه بعده [أي حديث المرأة التي قال لها النبي (ﷺ) : إن لم تجديني فأتي أبا بكر ، وهو في الصحيحين] . وحديث كتابة العهد له ، وحديث تخصيصه بالصديق ابتداء والصحبة ، وتركه له ، وهو قوله : « فهل أنتم تاركو لي صاحبي » وحديث رفعه عنه عقبة بن أبي مُعيط إذ وضع الرداء في عنقه ، وحديث استخلافه في الصلاة والحج ، وشأن ثباته بعد وفاة الرسول (ﷺ) وانقياد الأمة له ، وحديث خصال الخير التي انفقت له في يوم .

ثم له مناقب يشركه فيها عمر ، كحديث شهادته بالإيمان له ولعمر ، وحديث علي يقول : كثيراً ما كنت أسمع النبي (ﷺ) يقول : « خرجت أنا وأبو بكر وعمر » وحديث نزعه من القليب ، وحديث : « إني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر » ... والصدّيق في الصحاح نحو عشرين حديثاً ، أكثرها خصائص ، فمناقبه جمّة ، وفضائله عدّة ، استوجب بها أن يكون خليل رسول الله (ﷺ) دون الخلق لو كانت المخالّة ممكنة . فلو كان مبغضاً له كما يقول .. لما حزن ، بل كان يظهر الفرح والسرور ، فأخبر الرسول (ﷺ) أن الله معها ، وهذا إخبار بأن الله معها بنصره وحفظه . ومعلوم أن أضعف الناس عقلاً لا يخفى عليه حال من يصحبه في مثل هذا السفر الذي قد عاداه فيه أولئك الملأ ، فكيف يصحب واحداً ممن يظهر له موالاته دون غيره ، وهو عدوّ له في الباطن . هذا لا يفعله إلاّ أغبى الناس وأجهلهم ، فقبّح الله من جوّز هذا على أكمل الخلق عقلاً وعلماً .

(م) وأما إنفاقه على الرسول فكذب ، لأنه لم يكن له مال » .

(ت) من أعظم البلايا إنكار المتواتر المستفيض القطعي . فمن ذا الذي

نقل من الثقات أو الضعفاء ما زعمت .. أبنكر جود حاتم وشجاعة علي وحلم معاوية وغنى أبي بكر وفضله ؟ بل هؤلاء لا ذكر لهم في القرآن ، وهو ، ففيه نص صريح بفضله وغناه ، ففي الصحيحين أن مسطحاً كان أبو بكر ينفق عليه ، وكان أحد من تكلم في الإفك ، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه ، فأنزل الله قوله : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم » ؟ فقال ابو بكر : بلى والله إني لأحبُّ أن يغفر الله لي . فأعاد عليه النفقة . وقد اشترى بماله سبعة من المعذَّبين في الله ، وقال النبي (ﷺ) : « ما نفعني مال ، ما نفعني مال أبي بكر » . ولما هاجر استصحب ما بقي من ماله ، قيل : كانت ستة آلاف ، وكان يتجر . وفي الصحيحين أن أبا بكر لما ابتُلي المسلمون بمكة ، خرج مهاجراً ، حتى اذا بلغ برك الغماد ، لقيه ابن الدغُنَّة سيد القارة ، وقال : مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرَج ، إنك تكسب المُعدَم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، واني لك لجار ، ارجع ، واعبد ربك ببلدك ، فرجع به ابن الدغنَّة ، وطاف في قريش فأجاره ، فقالوا له : مُرْ أبا بكر فليعبد ربَّهُ في داره ، ولا يؤذنا ولا يستعلن بعبادته ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ... الحديث بطوله .

وقد قال النبي في مرضه ذلك على ما في الصحيحين عن عائشة أنه قال : « ادعي لي أباكِ وأخاكِ حتى أكتب لهم كتاباً ، فاني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر » .

فهذا من إخباره بالكوائن بعده ، ولهذا أعرض عن الكتابة لأبي بكر لمّا علم أن الله يجمعهم عليه ، وأن المؤمنين يبايعونه ولا يختلفون عليه : لا في

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدراسات العربية
في الولايات المتحدة

مقدمة

أولاً أريد أن أعتذر الى القراء الكرام عن لغتي وعن عدم إلمامي الواسع باللغة العربية الكريمة ·

أما بعد ، فموضوعنا هو الدراسات العربية وامتدادها الى الدراسات الاسلامية في الولايات المتحدة · ولكنني قبل أن أطرق الموضوع نفسه يجب عليّ أن أحدّث بصورة عامة عن التربية في أمريكا ـ وربما في الغرب اجمالاً · عندنا في الغرب مجريان مهمان مشتبكان في تراثنا ·

أولهما الثقافة اليونانية المسيحية ، وثانيهما روح التفتيش العلمي الطبيعي ·

وهنا لا أنسى قطعاً الدور العظيم الشأن الذي لعبه العرب وسائر المسلمين في تطور هذين المجريين · إني موقن كل الإيقان بأهمية تأثير الغزالي مثلاً على أفكار طوماس اكوينس (Thomas Acquinas) ومن المعلوم انه أهم المتكلمين الكاثوليكيين في القرون الوسطى وخاتمهم في علم اللاهوت حتى الآن ؛ أو من جهة أخرى بتأثير رجال العلم كابن النفيس ـ وهو ابن الفيحاء تقريباً ـ على تطور علم الطب · لقد جاهد هذان الرجلان وأمثالهما العديدون في سبيل العلم ووسّعوا آفاقه في العالم كله · ومع ذلك أظن أنّ مياه دور العرب خلال تطور المدنية الغربية الطويل هي مياه نهر فرعي تصبّ في نهر كبير ، وليست هي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جزءا من هذا النهر الكبير في البداية . وكذلك دور المدنية الغربية في المدنية الاسلامية هو دور نهر فرعي [1] .

فلنرجع الى الموضوع ذاته . فلو فرضنا انّ هذين المجريين حقيقيان ـ وأعني بذلك الثقافة اليونانية المسيحية وروح التفتيش العلمي الطبيعي ـ ، فلا نرى مجالاً مبيناً للدراسات العربية والاسلامية ، أو نقول الدراسات الآسيوية ، أو في النهاية ، الدراسات في أية مدنية خارج الغرب . ومن هنا نسأل من أين جاءت هذه الدراسات اللاغربية . ويبدو لي أن لها مصدرين : أولهما ديني والثاني سيامي .

إننا ولا شك نذكر ان الجامعات في الغرب ـ وفي الشرق أيضاً ـ انبثقت عن حضارة مركزها الدين ، وفي أوروبا نشأت الدراسات الشرقية ، من وجه عام ، عن الاهتمام بالكتاب المقدس ، فبدأت هذه الدراسات مع لغة العهد القديم وتشعّبت في القرنين الماضيين الى الاهتمام بأقدم المدنيات في الشرق كالآشورية والفرعونية ، وفي ذلك الحين كان علماء الغرب لا يقدّرون أهمية الجزيرة العربية كمهد العائلة السامية حق قدرها وأهميــة البدوي كأنقى ممثل لهذه العائلة من حيث اللغة وعلم الانثروبولوجيا . ولقد دُرست اللغة العربية كمساعد لغوي لدراسة لغة العهد القديم ، وأيضاً في بعض الأحيان كمساعد لعمل المبشرين . ومن الواضح بناءً على هذا الميل ان نتائج دراسات المدنية العربية والاسلامية هذه لم تُعتبر بحد ذاتها بل تحيزت ضدها قبل البحث فيها ، ومما زاد هذا الميل أفكار خاطئة عن الحروب الصليبية وخوف شديد من قوة الدولة العثمانية .

ونلاحظ اختلاطاً عجيباً كل العجب بسبب الجهل والخرافة خاصةً عن حياة

(١) بالرغم من هذا القول فاني أعتقد انه في أعمق الأسس يجتمع الإسلام والمسيحية في قيمها الأساسية باختلافها عن مناطق الهندوكية او البوذية مثلاً .

النبي العربي وشخصيته . في أول الأمر فكر هؤلاء الاوربيون أن محمداً إله معبود ! وبتطور الزمان تغيرت هذه الفكرة الى انه نبي غير مخلص ! وسيطرت وجهة النظر هذه على الرأي العام والمثقفين حتى منتصف القرن الماضي (آنئذ كان العلماء ولا شك يفهمون على أفضل طريقة ولكنهم قصّروا في إذاعة ما يعلمون في هذا الصدد) عندما كتب طوماس كارلايل (Thomas Carlyle) المؤلف الانكليزي المعروف رسالته المشهورة عن حياة النبي وهي رسالة أعطته قيمته الحقيقية الشريفة . هذا مصدر واحد - الميل الديني .

أما المصدر الثاني فهو ، في نظري ، ما يتعلق بالدافع السياسي أو اذا أردنا القول صراحة بالاستعمار . عندما وجد الأوربيون أنفسهم - في القرنين الماضيين - في الأقطار الآسيوية ومن وجهة نظرنا هنا في الأقطار الاسلامية كالهند وأفريقيا الشمالية ، اكتشفوا أنهم بحاجة الى أشخاص يعرفون اللغات والأديان والتأريخ والثقافة في الأقطار هذه . فأسسوا المدارس والمعاهد المهتمة بهذه الميادين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الولايات المتحدة

أما الولايات المتحدة فبدأت في هذه الأمور متأخرة جداً بالنسبة الى أوروبا فنجد مثلاً في سنة ألف وثمان مائة وسبعين لم يكن في جامعات أمريكا إلا أستاذ واحد قدّم دروساً في اللغة العربية - وهو حقيقةً أستاذ في اللغة السنسكريتية - ولقد كانت كل الدراسات العربية القليلة في أمريكا تابعة للدراسات الدينية وعلم اللغات السامية . أما اللغة التركية واللغة الفارسية فلا تدرّسان مطلقاً . وخلاصة القول هي ان المنظمات التربوية في أمريكا لم تعط دروساً في العربية حباً بها أو لأنها مفتاح لكنوز الآداب والثقافات العربية والاسلامية ذات الأهمية العظيمة في كل وجه من الوجوه ولكنها أعطت شيئاً

من هذه الدروس على نطاق ضيق جداً بدافع الميل الديني فقط دون أي دافع سياسي إذ لم يكن لأمريكا علاقات سياسية بالشرق الاسلامي .

ونرى انه ، قبل الحرب العالمية الثانية ، لم يكن غير عشر من جامعات أمريكا قدمت دروساً في العربية ماعدا معاهد اللاهوت . وهنا جدير بالذكر ان عدد الجامعات والكليات العليا في أمريكا يزيد عن الألف تقريباً . وفوق ذلك يلزمنا أن نقول إن هذه الدراسات على قلتها كانت مقصورة على طالب الدكتوراه دون أن يتاح للطالب الجامعي الوقوف على هذه الدراسات ، حتى ولو اتفق لأحدهم أن رغب في ذلك . والمغزى من كل ذلك هو إظهار قلة التقدم في هذه الدراسات قبل الحرب العالمية الثانيـة .

فاذا جاءت الحرب ووجدت الولايات المتحدة نفسها مسؤولة عن قيادة حرب وقعت في كل أقطار العالم ومنها ولا أقلها أهمية الأقطار الاسلامية والعربية ، ووجد المسؤولون من العسكريين والساسة نقصاً فادحاً في الولايات المتحدة لتفهم شعوب هذه المناطق وللعمل معهم ولتغطية هذا النقص أنشئت خلال الحرب عدة برامج دراسية في العربية وحتى في التركية والفارسية . من ذلك الحين استيقظت عقلية رؤساء الجامعات والحكومة ومدراء الشركات الكبيرة التي تشتغل في الشرق الأوسط الى الحاجة الماسة الى الدراسات الإسلامية .

فهذه الأمور كلها كانت تشكل تحدياً فلننظر الى الجواب . كانت أول الجامعات التي استجابت لهذا التحدي جامعة برنستون التي بدأت في هذا الميدان ، كما يعرف الكثير من القراء ، بفضل جهود الدكتور فيليب حتي الذي كان يحث دائماً على التدريس في هذا الميدان المجيد .

وقد بدأت جامعة برنستون ببرنامجها الجديد المنظم هذا والمفتوح للجامعيين في قسم اللغات والآداب الشرقية في سنة ١٩٤٧ . وجدير بالذكر ان هذا القسم

كان في ما مضى قسماً مختصاً بالدروس السامية واللغوية فقط . أما الجامعة الثانية التي فتحت أبوابها على نطاق واسع للدراسات الاسلامية ، فهي جامعة مِشِگن (Michigan) وفي السنة الماضية أسست جامعة هارڤرد (Harvard) مركزاً للدراسات عن الشرق الأوسط . وقدمت جامعة كُلُمْبِيَا (Columbia) منذ عدة سنوات دروساً وجهت جل اهتمامها الى العلاقات الدولية في الشرق الأوسط . وأخيراً نذكر معهد الدراسات الدولية العليا التابع لجامعة جُنْز هُپْكِنْز (Johns Hopkins) ويقوم هذا المعهد في العاصمة أي مدينة واشنطن مع ان مركز الجامعة هو في مدينة بَلْتيمُور (Baltimore) . هناك برامج أخرى على نطاق أضيق ولكن البرامج المذكورة هذه هي البرامج الرئيسية . وفي المجموع يبلغ عدد الجامعات والكليات العليا التي قدمت دروساً في اللغة العربية بحسب تقرير مؤرخ في سنة ١٩٥٢ هو خمسة عشر وبموجب نفس التقرير توجد ست جامعات تقدم اللغة الفارسية وخمس جامعات تدرّس التركية وأربع اللغة الأندونيسية وجامعة واحدة تقدم الأردية . وهنا علينا أن نقول إن أقل من ثلث الأساتذة الذين يدرّسون هذه الدروس هم أميركان أصليون ، وهذه الحالة مفهومة بسهولة فإنّ سببها عدم وجود دراسات في هذه الميادين في ما مضى .

مثال لمنهاج الدراسة

أما تفاصيل منهاج الطالب في الجامعات التي تقدم الدراسات العربية والاسلامية بشكل منظم شامل فلن أتعرض لكل الجامعات ولكني سأحاول إعطاءكم على كل حال فكرة مربعة عما يجابهه الطالب الجامعي في جامعة برنستون ــ وأختار جامعة برنستون لأني أعرف برنامجها بصورة أفضل ولأنها الأقدم ــ أعني طبعاً الطالب الذي اختار التخصص في شؤون الشرق الأوسط وتأريخه . فهذا الطالب يجب عليه أن يدرس على الأقل سنتين لغة إسلامية (وأكثر من ثلاثة أرباع

الطلاب يختاردن ـ وهم على صواب ـ العربية كلغتهم) • وبالاضافة الى اللغة يجب على الطالب أن يأخذ في كل نصف سنة مدرسية درسين في ثقافة الاسلام وتاريخه ـ إما قديماً أو حديثاً ـ أو في ما يتعلق بالشرق ولو بطريقة غير مباشرة • ومن الدروس المنتشرة امامه نذكر ما يلي : مقدمة للثقافة الاسلامية ، عيون الأدب الاسلامي ، الشرق الأدنى قبل الاسكندر ، الشرق الأدنى من الاسكندر حتى الرسول العربي ، نشوء الاسلام ، عالم الاسلام من عهد العباسيين حتى عهد العثمانيين ، الشرق الأدنى في العصور الحديثة ، العلاقات الاجتماعية المعاصرة في الشرق الأدنى ، العلاقات الاقتصادية في الشرق الأدنى ، السياسة في الشرق الأدنى ، الشريعة الاسلامية • وطبعاً يجد الطالب عدة صفوف أخرى تتجه الى الشرق العربي والاسلامي في طريقة غير مباشرة كصفوف فيستمتي الفلسفة والعلاقات الدولية وما الى ذلك[1] •

أما طالب الدكتوراه فستطلب منه لغتان إسلاميتان ، إحداهما كلغة أولى والأخرى كلغة ثانية ويدرس الطالب فوق اللغة نفس المواد تقريباً ولكن على مستوى أعلى • وتستمر الدراسة الاختصاصية في أكثر الأوقات حوالي أربع سنوات قبل نيله شهادة الدكتوراه • وعلى وجه العموم لا يأذن أساتذة القسم الطالب الدكتوراه أن يفلت من بين أيديهم قبل أن يقضي سنة على الأقل في ربوع الشرق لأنهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً بأن الاختبار العملي في الأقطار الاسلامية يوفر له تقديراً للثقافة والأخلاق الاسلامية لا يجدها في المحاضرات وبطون الكتب •

(١) لا نقصد ان يعتقد القارىء ان الأساتذة في برنستون يظنون ان منهاج جامعتهم أصبح كاملاً . فهو ما زال يحتاج الى دروس وأساتذة في مواضيع الفن الإسلامي ، والفلسفة الإسلامية ، والإسلام كدين بذاته . وتجابه الجامعة صعوبة في ايجاد هؤلاء الأساتذة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد يكون هنا مجال للاشارة الى بعض التسهيلات التي تملكها جامعة كجامعة برنستون - بالإضافة الى الأساتذة - . من هذه التسهيلات أذكر أولاً مطبعة جامعة برنستون التي لديها لينوتيب عربي والتي نشرت عدة كتب في العربية بما فيها مذكرات أسامة بن منقذ الفارس المغوار والأديب الضليع الذي كان يقيم بقلعة شيزر بالقرب من حماة في عهد الصليبيين . وثانياً مجموعة نفيسة جداً للمخطوطات العربية وعددها يزيد على عشرة آلاف مخطوط . وثالثاً فان مكتبة الجامعة قد رصدت بعض المال لشراء الكتب المطبوعة في اللغات الاسلامية والغربية لا أعرف عددها ، ولو على سبيل التقريب ، ولكن أعرف أن المكتبة تنفق خمسة آلاف دولار سنوياً على الكتب المتعلقة بالإسلام والعالم الإسلامي .

يحق لكم أيها القراء الكرام أن تسألوني عن أغراض هذا التعليم وأهدافه . سأقول ان الغرض من تدريس الطالب الجامعي هو توسيع ثقافته العامة وتغذية روحه فقط . ويختار الطالب التخصص في هذا الميدان الشريف كما يختار التخصص - مثلاً - في الأدب الانكليزي أو الموسيقى ، أو أقول في كلمة أخرى بمائة قسم من الـ liberal education كما نسميها أي التربية الرحبة أو الحرة ، لا غاية منها في التعليم الحرفي .

وأما هدف التعليم بالنسبة لطالب الدكتوراه فينقسم الى قسمين . نصف الطلاب - في الغالب - يريدون هذه الدروس لأنهم يريدون أن يصبحوا أساتذة في الجامعات ليدرسوا تأريخ العرب ويبحثوا في تخصصهم الدقيق ، والنصف الثاني يريدون الحياة العملية في الشرق إما كموظفي الحكومة في وزارة الخارجية أو في دائرة حكومية وإما في الصناعة والتجارة مع شركات تشتغل في الشرق كشركات الزيت أو شركات الطيران .

أما عدد التلامذة في جامعة برنستون من الجامعيين وطلاب الدكتوراه فهو

يقارب خمسة عشر طالباً جديداً سنوياً ولقد بلغ مجموع الطلاب في صفوف برنستون المختلفة السالفة الذكر ما يزيد عن المائتين ، وكثيرون من هذا العدد هم طلاب في أقسام أخرى يحبون توسيع ثقافتهم العامة . فهذه صورة موجزة عن احدى الجامعات المتخصصة في الشرق الإسلامي .

الأبحاث

لا أحاول أن أعدد جميع الأبحاث التي قدمها الأمريكيون في الميدان الإسلامي ويكفيني أن أقول بأنه على رغم تأخرهم في دخول الميدان فالمستشرقون الأمريكيون قد تقدموا في عملهم تقدماً لا بأس به وساهموا مساهمة غير قليلة في ميدانهم المختار . ولكنني أذكر هنا أسماء أهم المستشرقين واختصاصاتهم [1] :

وقد كتب وليم پپر William Popper من جامعة كالفورنيا California أبحاثاً مهمة جداً في درس مماليك مصر وفي نشره كتب ابن تغري بردي . وسيظل كتاب جورج سارتن George Sarton من جامعة هارڤرد واسم كتابه Introduction to the History of Science في ثلاثة أجزاء كبيرة مصدراً أساسياً في العلم الطبيعي الإسلامي (وغير الإسلامي) في الأجيال القادمة وأفاد آرثر جفريز Arthur Jeffreys من جامعة كلمبيا كل طالب بدراساته عن نصوص القرآن القديمة وقراءته . وتعتبر كل من أبحاث ا . ر . نكل A. R. Nykl في الأدب الأندلسي ، والترجمة الجديدة لمقدمة ابن خلدون بقلم فرنس روزنثال Franz Rosenthal من جامعة يابل Yale وأبحاث نفس العلامة في تاريخ علم التاريخ الاسلامي ، ودروس رتشرد أتينكهوزن Richard

(١) هنا أستثني العلماء الكبار كالأساتذة فيليب حتي ونبيه عبود ومجيد خضوري وشارل عيساوي ونبيه فارس فليس هؤلاء بمستشرقين بالمعنى المعروف .

Ettinghausen من متحف الفن فرير Freer في الفن الاسلامي ، ودروس گوستاف ڤون گُرُونِبَوم Gustave von Grunebaum من جامعة شيكاگو Chicago في العلاقات الثقافيـة وفي الشعر العربي ، ودروس وَالْتَرْ فِشَل Walter Fischel من جامعة كالفورنيا عن ابن خلدون ، ونشر (منهج السالك) لأبي حيان بقلم سِدْنِي گْلَيْزَر Sidney Glazer — أقول كلها تعتبر أبحاثاً قيمة ومن الدرجة الأولى . ويمكننا الاستمرار طويلاً في التعداد ولكن القائمة المقتضبة أعلاه تعطي فكرة سريعة عن مدى الأبحاث الاسلامية في الولايات المتحدة .

منظمات أخرى

لا أستطيع ترك مسئلة المنظمات المهتمة بالشعوب الاسلامية وثقافتها بدون اشارة قصيرة لبعض المنظمات غير الجامعية ولبعض أوجه النشاط غير الدراسي . فمن أمثال عديدة أختار أربعة : أولاً عليَّ أن أذكر مجلس الجمعيات العلمية الأمريكية ، وهذا المجلس — كما يظهر من اسمه — أعضاؤه هم كل الجمعيات العلمية في الانسانيات . فيقدم هذا المجلس عدة خدمات لميدان العلم في أمريكا ومنها أنه أسس سلسلة ترجمات لأهم الكتب العربية الحديثة من أنواع مختلفة وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن عشرة كتب منها : (مستقبل الثقافة في مصر) لطه حسين و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) للسيد قطب و (من هنا نبدأ) لخالد محمد خالد و (الحركات الاستقلالية في المغرب العربي) لعلال الفاسي و (عبقرية العرب في العلم والفلسفة) لعمر فروخ ، ومختارات من (مذكرات) المغفور له الأستاذ محمد كرد علي وغيرها من الكتب . فلا طريقة أفضل من الترجمة لتفهيم الفئات المثقفة في أمريكا حالة الأدب العربي ، وأحلام العرب وأفكارهم .

ثانياً يلزمني أن أذكر المؤسسات الانسانية كمؤسسة فورد Ford ومؤسسة

رُوكُفلَّر Rockefeller ومؤسسة كَرْنِـكي Carnegie . ومن المعروف أنّ كل واحدة من هذه المؤسسات وغيرها مما هو أقل شهرةً قد بنيت على وقف خيري لرجل كبير في الصناعة الأمريكية . ولا تقوم هذه المؤسسات مباشرةً بأية دراسات ، ولكنها تساعد المنظات والأفراد الذين يقومون بمشروعات مختلفة ، منها الدراسات الاسلامية . وأظن أنه لا يوجد أية جامعة تقوم بمثل هذه الدراسات بدون مساعدة هذه المؤسسات . وأنا مثلاً مدين لمؤسسة فورد لإتاحتها الفرصة لي في هذا العام للدراسة هنا في دمشق .

ثالثاً ازداد على نطاق واسع عقد المؤتمرات حول القضايا الحديثة والقديمة في الشرق . ويشترك بعضها طلاب وبالبعض الآخر رجال السياسة من عرب وأميركان ورجال التجارة والصناعة والعلم الذين يهتمون بالشرق الاسلامي ، ولهذه المؤتمرات ــ حيث تلتقي الآراء والأفكار المختلفة ــ أهمية غير قليلة في توسيع آفاق الرأي العام عن حقائق شعوب الشرق . وربما كان أهم هذه المؤتمرات مؤتمر الثقافة الاسلامية المنظم تحت إشراف جامعة برنستون ومكتبة المجلس النيابي أي الـ Congress عام ١٩٥٣ . اشترك فيه علماء من جميع الأقطار الاسلامية ــ ما عدا أفريقيا الشمالية ــ وكان بينهم الشيخ مصطفى الزرقا ، والأستاذ شفيق جبري من سورية ، وعلماء من أمريكا . ولقد دام هذا المؤتمر مدة عشرة أيام ، وهو من أفضل المناسبات في سبيل التعاون الفكري بين أمريكا والعالم الاسلامي .

رابعاً وأخيراً لا أنسى المتاحف العديدة التي تحفظ مجموعات عظيمة الشأن من الانتاج الفني الاسلامي . وليس من الضروري أن أعدّد أسماء هذه المتاحف ويكفيني أن أذكر متحف فْرِيرَ Freer في مدينة واشنطن الذى يحفظ عدداً كبيراً من الصُوَر المُصغَّرة لروائع الفن الفارسي وغيرها من روائع الفن الإسلامي .

المستقبل

الى هنا حاولت أن أقدم وصفاً مختصراً عن الدراسات المفتوحة للطالب الامريكي ولكننا لا بد لنا أن نلقي نظرة على المستقبل • رأينا بداية لا بأس بها للدراسات الاسلامية ، أساسها العربية ومادتها الثانوية الفارسية والتركية • وهنا بالمناسبة نستطيع أن نلاحظ عدم وجود دراسات في اللغة الأوردية وهي من أهم اللغات الاسلامية من حيث عدد الناطقين بها ولكن تحقيق ذلك يحتاج الى مال كثير •

ومن ناحية ثانية يجابه توسيع الدراسات الاسلامية في أمريكا مشكلة ثانية ، وهي مشكلة ازدياد سكان امريكا بشكل لا يمكن تصديقه وينجم عن ذلك ازدياد مقابل في عدد طلاب المدارس والجامعات • ويقدر أن يرتفع عدد الطلاب في جامعات أمريكا البالغ المليونين والنصف حالياً الى خمسة ملايين بعد عشرين سنة وتؤثر هذه المشكلة طبعاً في كل قسم من أقسام التربية وخاصة في جميع أقسام الدراسات الشرقية • ولماذا ؟ لأنه في الغالب لا يريد المستشرقون عدداً كبيراً من الطلاب • فليس هذا الميدان بهين ، وعدد المناصب المفتوحة للاختصاصيين فيه غير كبير ، ولذلك فالنوع أفضل بكثير عند المستشرقين من الكمية • أعني أن الدراسات الشرقية غالية وفي نفس الوقت تأخذ قليلاً من الطلاب - أي ان تساعد على حل مشكلة ازدياد هائل بعدد الطلاب • فاذاً على المستشرقين أن يجاهدوا كي يُفْهِموا ادارات الجامعات - وهي أمام إقبال شديد من الطلبة - أهمية الدراسات العربية والإسلامية وقيمتها حتى تصرف المصاريف اللازمة لها •

ومع ذلك كله فاني متفائل بمستقبل الدراسات العربية في أمريكا • فقد صغر العالم خلال السنين الأخيرة الى درجة اضطر معها الناس في جميع أنحاء هذا

العدد الصغير لتحقيق التفاهم المتبادل . ولذلك أتنبأ أن يكون للجيل الجديد خمسة أو ستة مراكز مهمة للدراسات الاسلامية بالإضافة الى جامعات كثيرة فيها بضعة صفوف تمهيدية تقدم صورة عامة دقيقة عن الشرق . وأرى شخصياً توسيع الدروس في الجامعات غير المتخصصة أهم الواجبات أمام الاستشراق الامريكي في المستقبل القريب . واذا صحّ قولي هذا فسيكون لهذه الجامعات تأثير عظيم الشأن في تنوير الرأي العام الأمريكي عن حقائق ثقافة أصبحت ثقافة مجاورة .

⁂

استفدت استفادة خاصة في تحضير هذه المقالة من المؤلفات التالية :

١ - ابوشادي ، احمد زكي «فلسفة النحو» ، (كتاب العام) . واشنطن : صوت امريكا ، ١٩٥٥

٢ - Dodds, Harold W. خطاب الافتتاح السنوي لجامعة برنستون ١٨ أيلول ، ١٩٥٥

٣ - Fessler, Doris. « Asian Studies in the United States » International Press Service (mimeographed) , 1952

٤ - Hitti, Philip K. « Arabic and Islamic Studies in the United States, » Pakistan Quarterly, Vol. IV, No, 3, pp. 11-12

Smith, Wilfred Cantwell. « The Place of Oriental Studies in a Universty » خطاب مقدم الى الجمعية الأمريكية الشرقية في مدينة تورنتو في كندا ، ٢٠ آذار ، ١٩٥٥ .

الدكتور بايلي واينـدر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

-٦-

الحالة العلمية في الموصل :

كانت ديار الموصل (حدياب) من ديار العلم العريقة في العراق من قبل الميلاد ، فقد كان سكانها القدماء من الارميين العرب الممتازين بثقافتهم وعلمهم ، وكانت لغتهم الارمية من أرقى اللغات وأدقها نحواً وصرفاً وبياناً وأدباً ، ولما ظهرت المسيحية اعتنق أهلها هذه الديانة ، وعرفوا منذ ذلك الحين بالسريان تمييزاً لهم عن الارميين الوثنيين (١) ، فقد ازدهرت الحضارة وارتقى العلم في الديار الموصلية بعد ظهور المسيح منذ القرن الثاني للميلاد الى ظهور الاسلام بل وبعده بقرنين ، وقد تغلغلت الآداب اليونانية فيها وامتزجت بالثقافة الارمية فتكونت ثقافة شرقية غربية مختارة ، وقد ترجم العلماء الارميون كثيراً من الكتب اليونانية الى لغتهم وبخاصة كتب الفلسفة وعلوم الأوائل ، وقد امتد نفوذ اللغة الارمية بثقافتها الواسعة الى العراق كله ، والى سورية ، وفلسطين ، ومصر وإيران .

وقد كانت مدن (حران) و (الرها) و (نصيبين) و (اربل) وسائر ديار الموصل الكبرى من المدن التي ازدهرت فيها اللغة الارمية والآداب الارمية ، كما ارتقت فيها الفلسفة والعلوم وكثرت فيها المدارس والمعاهد والمكتبات ،

(١) راجع تاريخ الموصل للقس سليمان الصائغ ٢ / ١٣ .

وأخذ الناس من بلاد فارس والشام ومصر يقصدون هذه المعاهد للتثقف والاطلاع على علوم الأوائل [١] .

ومما هو جدير بالذكر انه قد قام في ديار الموصل وإلى جوانبها عدة أديرة ومدارس نبغ فيها جمهرة كثيرة من الفلاسفة والحكماء والعلماء والمصنفين كمدرسة (بلد) ومدرسة (الرستاق) في مرگا [مرج الموصل] ومدرسة (بيت بغاش) ومدرسة (بيت عبنانا) وغيرها . يقول القس الصائغ مؤرخ الموصل : « ان باباي الجبيلتي الذي عاش في أوائل القرن الثامن للميلاد أسس في حدياب - أي بلاد الموصل - أربعاً وعشرين مدرسة ينوه توما المرجي بذكرها واحدة فواحدة ، وينقل ان باباي أسس فيها ستين مدرسة في المدن والقرى الكبيرة ، وأقام لإدارتها ستين نابغة من المبرزين في العلوم وجعل لها أوقافاً وفية وسن لها القوانين والنظامات العجيبة فسمى المؤرخون الارميون ذلك العصر عصر الأستاذ باباي الجبيلتي ، ومن هذا يتضح أن بلاد الموصل كانت قبل الفتح الاسلامي راقية علماً وعمراناً [٢] » .

ومن مشاهير العلماء والفلاسفة والمؤرخين الذين حفظ الدهر لنا اسماءهم من أهل حدياب :

الشاعر الفيلسوف الكبير نرسي (- ٥٠٢ م) وقد أسس عدة مدارس وقضى عمره في التدريس والتصنيف ونظم الشعر وقد بقي من آثاره نحو ٤٠٠ قصيدة مطولة في تفسير كتب الدين وفي علم الإلهيات والعقائد الدينية .

والكاتب الأديب النحوي ابرهيم النتفري الذي كان في أواسط المئة السادسة للميلاد والذي خلف آثاراً ورسائل في الأدب واللغة .

والفقيه المفسر حنانا الحديابي (- ٦١٠) وقد خلف آثاراً كثيرة في علوم

---

(١) راجع كتاب مدرسة نصيبين لأدي شير . بيروت ١٩٠٥ .

(٢) راجع تاريخ الموصل للقس الصائغ ١ / ٩٠ .

الدين والتشريع وتفسير الكتب السماوية ، والعقائد الإلهية ، وقد ضاعت أكثر آثاره هذه ولم يبق إلا عدد قليل من قصائده وتفسيره .

والفيلسوف النحوي يشوع باب الجدلي البطريرك الذي عاش في أوائل المئة السابعة للميلاد والذي يروي عنه المؤرخون الارميون انه تشرف بمواجهة النبي العربي الكريم (ﷺ) فأنعم عليه بكتاب توصية بنصارى بلاده ، كما أنه حظي برؤية عمر بن الخطاب فأحسن اليه وأكرمه وقد خلف مصنفات معتبرة منها (شرح الزبور) وكتب عديدة في التاريخ والآداب وقد ضاع أكثرها ولم يبق منها إلا نتف محفوظة في المتحفة البريطانية .

والشاعر اسحق النينوي الشهير الذي عاش في أواخر المئة السابعة للميلاد وقد خلف مؤلفات كثيرة في النحو والأدب والتفسير والشعر ، نقل كثير منها الى العربية والحبشية واليونانية واللاتينية والايطالية والانكليزية وقد طبع ديوانه .

والكاتب الأديب يشوع باب الحديابي (— ٦٦٠) وله آثار جليلة في اللغة والأدب ومن أجلها رسائله الأدبية البليغة التي طبعت قبل سنوات .

وقد كان لهؤلاء العلماء والكتاب والشعراء والفلاسفة أثر كبير في تثقيف سكان هاتيك الديار ، وفي رفع المستوى الثقافي في القطر الموصلي وجعله مركزاً من مراكز الاشعاع الثقافي في المشرق قبل الإسلام وبعده .

أما مدينة الموصل نفسها فقد كانت مدينة صغيرة قبل الإسلام تدعى بالارمية (حصنا عبرايا) ، وقد كان فيها بعض الأديار يأوي اليها رهبان من أهل العلم والفضيلة والدين مثل سائر الأديرة التي كانت منتشرة في هاتيك الديار ، ولما فتحها العرب في سنة ١٥ للهجرة سكنها بعض القبائل العربية فانتشرت فيها اللغة العربية وتزوج العرب من سكانها الأصليين الذين أخذوا يعتنقون الدين الإسلامي فقويت الروابط الأخوية بين الارميين وبين العرب الفاتحين ، وكان من أبرز القبائل العربية التي سكنتها بنو تغلب وكثير من بني طي وغيرهم من عرب اليمن ،

وعرب ربيعة ، ونبغ منهم في صدر الإسلام والعصر الأموي جمهرة من الأفاضل والشعراء وفي طليعتهم الأعشى التغلبي ، والنعمان بن معاوية الربعي النصراني ، وغيرهما من شعراء الدولة الأموية . ولما استخلف بنو العباس واتخذوا العراق مقراً لهم ازدهرت الحركة العلمية في العراق عامة وفي الموصل والبصرة وبغداد والكوفة خاصة .

وغدت الموصل في العصر العباسي من مدن العلم الكبرى التي ازدهرت فيها الحركة الدينية والأدبية واللغوية وتخرج من جامعها الأعظم وحلقاتها العلمية التي كانت في قصر الامارة (وفي قصور الوجوه وكبار القادة والأمراء) جمهرة من كبار رجال الدين والعربية والأدب والشعر نذكر منهم :

الإمام الجليل بكار بن شريح (— ١٦٣) وهو الفقيه البارع الذي تولى قضاء الموصل فترة طويلة وكان مشهوداً له بالفضل والنبل ، وله آثار جليلة [١] .

ومنهم المعافى بن عمران الأزدي (— ١٨٥) ابو مسعود الموصلي الإمام الجليل المجتهد الذي كان يلقب بشيخ الجزيرة والديار الموصلية في عصره . وكان أحد الثقات وكبار حفاظ الحديث النبوي ومصنفيه وقد خلف للمكتبة العربية آثاراً جليلة تعتبر من أقدم ما صنف في الخزانة العربية من كتب السنن والزهد والأدب والتاريخ [٢] . وقد خلّف المعافى ولداً نبغ في الموصل وخلف أباه وكان من جلة شيوخ هذه المدينة وهو الشيخ عبد الكبير بن المعافى ومات سنة ٢٢١ هـ [٣] .

ومنهم الامام الزاهد سابق بن عبد الله الموصلي المتوفى في القرن الثاني للهجرة ، وكان من كبار الأئمة زهداً وعلماً وإصلاحاً ، وكانت له على الموصل وأهلها

---

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ٢٥ .
(٢) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢٦ وتاريخ ابن الأثير ٦ / ٦٧ .
(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٥٥ .

أباد في تهذيبهم وتوجيههم الى سبل الحق ودعوته إياهم بالحكمة والموعظة الحسنة [١] .

ومنهم الإمام الفقيه صفوان بن عيسى الموصلي (— ٢٠٠) وكان من كبار الفقهاء وأهل العلم بالحديث والسنن والأخبار وكانت له بجامع الموصل الأعظم حلقة كبرى يدرس فيها الفقه ويعظ الناس ويقرئهم الأدب والعربية والدين وهو من أقدم من عرف في الموصل من المؤدبين [٢] .

ومنهم الإمام المعافى بن داود الموصلي (— ٢٠٠) وكان من رجال الفقه والحديث وسائر علوم الدين ، كما كان من الزهاد الصالحين ، وكانت له حلقة في جامع الموصل وقد تخرج به جمهرة من أهل الموصل وحلب [٣] .

ومنهم المحدث المؤرخ الفقيه أبو يحيى ابرهيم بن موسى الزيات (— ٢٠٥) خرج من بلاده في سبيل العلم فجلس طويلاً الى المحدث المؤرخ التابعي الجليل هشام بن عروة عالم المدينة وكبير محدثيها ، وأفاد منه ثم رجع الى الموصل ينشر فيها العلم والدين [٣] .

ومنهم المحدث الإمام الفضل بن عبد الحميد الموصلي (— ٢٠٩) وكان من كبار حفاظ الحديث ورواته الثقات ، كما كان من أصحاب الأخلاق النبيلة ، وكان يعلّم ولا يأخذ على العلم أجراً وقد أفادت الموصل منه فوائد جليلة [٤] .

ومنهم الخليل بن أبي رافع جعفر بن محمد بن أبي يزيد المزني الموصلي (— ٢١٧) وكان من كبار علماء الموصل وعبّادها وأفاضلها ، وكذلك كان أبوه أبو رافع من العلماء الذين كان يشار اليهم بالبنان ، وبنو المزني هؤلاء من العلماء الأجلاء الذين أثروا آثاراً علمية واضحة في الموصل وأهلها في القرنين الثالث والرابع [٥] .

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ٧٧ .
(٢) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٣١ .
(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٤٩ .
(٤) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٥٩ .
(٥) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٤٢ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومنهم الامام الجليل أبو هاشم محمد بن علي بن أبي خداش الموصلي (— ٢٢٢) وكان من العلماء الفحول الذين تخرجوا بالمعافى بن عمران وكان يقربه ويعتمد على فهمه وقد أفاد الناس فوائد كثيرة من أبي هاشم [١] .

ومنهم الامام المحدث الحافظ عبد الله بن يعقوب بن اسحق العطار التميمي (— ٢٧٥) وكان من أهل الحديث المكثرين ، وكان عند الحكام من المعدلين [٢] .

وغير هؤلاء كثير من أئمة الدين الذين لو رحنا نعددهم لطال بنا التعداد .

أما أئمة البيان والشعر فنذكر في طليعتهم الأديبين الموسيقيين المشهورين ابرهيم بن ماهان المعروف بالنديم الموصلي ، وابنه اسحق بن ابرهيم الموصلي ، وكان ابرهيم من أهل الكوفة إلا أنه سكن الموصل طويلاً وأفاد من رجالاتها علماً وفضلاً ، ونبغ في الأدب والموسيقى حتى صار أوحد زمانه في هذين الفنين وبخاصة في الموسيقى والغناء ، فانه اخترع فيها ألحاناً وأصواتاً ، ولما تسامع أهل بغداد بصيته دعوه الى مدينتهم فقدمها ورحب به أهلها ، وأذن له الخلفاء أن يغني بحضرتهم ، وأول من سمعه منهم المهدي العباسي وكان الرشيد كثير العطف عليه الى أن مات في سنة ١٨٨ هـ فلما مات خلفه ابنه ابو محمد اسحق وكان من عجائب الدنيا أدباً وفضلاً ورواية ، عارفاً باللغة والتاريخ وعلوم الدين والكلام والفقه ، تفرد مثل أبيه في صناعة الغناء وقد أحبه الرشيد وقربه ، ثم سمت مكانته عند الأمين والمأمون والواثق ، وكانت له مؤلفات أجلها كتاب أغانيه وأخبارها ، وكتاب أخبار عزة الميلاد المغنية ، وكتاب أغاني معبد ، وكتاب أخبار حماد عجرد ، وكتاب أخبار ذي الرمة ، وكتاب مواريث الحكماء ، وكتاب جواهر الحكم ، وكتاب الرقص والزفن ، وكتاب الندماء ، وكتاب النغم

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٦١ .
(٢) راجع تاريخ ابن الأثير ٧ / ١٤٥ .

والايقاع ، وكتاب قيان الحجاز ، وكتاب النوادر المتخيرة وغيرها من الكتب التي عدّدها ابن النديم وابن خلكان وياقوت في ترجمته [١] .

ومن أئمة الأدب والفن الموصليين ، الذين كان لهم أثر كبير في هذه المدينة الشاعر الأكبر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الذي استوطنها وقضى شطراً من عمره فيها ، الى جانب الأمير محمد بن حميد الطوسي - وقد طبقت شهرة أبي تمام الآفاق وأفاد العلماء والباحثون في درس أدبه وعلمه وشعره مما لا مجال له هنا . وقد كان لحميد الطوسي الطاهري القائد الأمير الفاضل حلقات أدبية في الموصل وكذلك كان ابنه أبو نهشل الذي اعتنى بأبي تمام حين مات وبنى على قبره قبة عالية خارج باب الميدان على حافة الخندق . وما يزال قبره معروفاً ومزوراً الى أيامنا هذه [٢] .

وأما في علوم الأوائل من طب وفلسفة وهندسة وفلك ورياضيات فقد ظلت الموصل بعد الاسلام محافظة على المستوى الذي كانت عليه قبل الاسلام ، وظل كثير من مدارسها القديمة الملحقة بكنائسها وأديارها يحفل بالعلماء والأطباء والفلاسفة والمناطقة ، وفي طليعة هؤلاء :

الفيلسوف يشوع بن نون (- ٨٢٧ م ، ٢١١ هـ) وكان من رجال دير مار ابليا الحيري المعروف بدير سعيد ، تلقى العلم فيه ونبغ في علوم الدين المسيحي ، وفي الفلسفة وفي الرياضيات وفي الموسيقى ، وأخذ قدره يسمو حتى بلغ رتبة البطركية . وقد خلف عدة آثار في الدين وأحوال الكنائس وتواريخها ، وكتباً في الموسيقى والألحان والشعر [٣] .

---

(١) راجع الفهرست لابن النديم ١ / ١٤١ ، وفهرست كتاب الأغاني ، ووفيات ابن خلكان .

(٢) حدثني الكاتب الموصلي البارع السيد روفائيل بطي ان الحكومة العراقية كانت قد نقلت رفات أبي تمام عقيب الاحتلال البريطاني للموصل الى حديقة البلدية حيث بنت له بناء فخماً تكريماً لشاعر وعبقريته .

(٣) تاريخ الموصل لنفس الصائغ ٢ / ٤٦ .

والطبيب الحكيم سابور بن سهل الخوزي (— ٢٥٥) وكان من كبار الأطباء بلغ في الطب مكانة سامية حتى سمي رئيساً لمستشفى جنديسابور في خوزستان ونسب اليه . وقد خلف للخزانة العربية عدة كتب في الطب والصيدلة أجلها كتاب الاقرباذين الخوزي ، وهو الكتاب المعول عليه في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة والعقارين[١] وكتاب الرد على حنين بن اسحق وكتاب القول في النوم واليقظة ، وكتاب موتى الأطعمة ومضارها وغير ذلك[٢] .

والطبيب العالم يوحنا (يحيى) بن ماسويه الخوزي (— ٢٤٣) وكان طبيباً حاذقاً بارعاً في فنه عالماً باللغات اليونانية والكلدانية والفارسية والعربية . وكان له فضل كبير على أهل الموصل ولما ذاع صيته استدعاه الرشيد الى بغداد وعهد اليه بالقيام على ترجمة ما أراد ترجمته من كتب القدماء في الطب والفلسفة مما استحصله من كتب اليونان والروم في أنقرة وعمورية وقد رتب له الرشيد كتاباً وأمناء حاذقين بالصناعة يقومون بخدمته . ولما مات الرشيد واستخلف المأمون زادت مكانته وجعله الرئيس على دار الحكمة والترجمة وكان مجلسه في بغداد من أعمر مجالسها العلمية والفلسفية ، وكان الخلفاء منذ عهد الرشيد الى أن مات لا يتناولون شيئاً من الأدوية والعلاجات إلا بمشورته وبحضرته وقد خلف للخزانة العربية آثاراً جد قيمة من أجلها (كتاب الحمى) و (كتاب الجراحة) وقد طبعا ، وله بعض المخطوطات العربية والعبرية والارمية في الطب مثل (كتاب نوادر الطب) و (الأدوية المسهلة) و (كتاب الكمال والتمام) وغيرها من النفائس[٣] .

والشاعر الحكيم عمانوئيل برشهارى (— ٣٧٠ هـ ، ٩٨٠ م) وكان من رجال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) مختصر الدول لابن العبري ص ٢٥٥ .

(٢) طبقات الحكماء ١ / ١٦١ .

(٣) راجع بروكلمان G. A. L. الذيل ١ / ١٤٤ ومختصر الدول لابن العبري ٢٤٦ وطبقات الحكماء لابن أبي أصيبعة ، والفهرست لابن النديم .

ديرمار جبرائيل بظاهر الموصل وكان شاعراً مجيداً بالارمية وديوانه (الاكساميرون) أي الأيام الستة من أجل دواوين الشعر الارمي وقد بقيت بعض أجزاء من هذا الديوان في خزائن الفاتيكان ولندن وبرلين وبعض خزائن كتب أديرة الموصل . وقد نشر العلامة القرداحي في كتابه الكنز الثمين بعض آثار عمانوئيل هذا [١] .

والأديب الكاتب يوحنا (يحيى) بن خلدون الصياري (— في أواسط القرن الرابع للهجرة والقرن العاشر للميلاد) وكان من رجالات دير بيت صياري ، بارعاً بالأدب والعلم ونحو اللغة الارمية ، وله نظم جيد وآثار جليلة في الآداب والتاريخ واللغات وله ديوان شعر مملوء بالحكم والأقوال الرائعة وقد نشر العلامة القرداحي بعض آثاره [٢] .

هؤلاء هم بعض العلماء والحكماء والفلاسفة الموصليين الذين نبغوا في الديار الموصلية ونشروا فيها العلم والحكمة والفلسفة قبل العصر الذي نبغ فيه مؤلفنا العبقري أبو الفتح بن جني الرومي الموصلي ، وهم كما ترى أئمة أعلام لم يتركوا ناحية من نواحي العلم والفلسفة والأدب والمنطق والطب والنحو والصرف وغيرها من علوم الأوائل إلا درسوها وبحثوا وصنفوا فيها ، فليس عجباً أن يكون العصر الذي نبغ فيه ابن جني عصراً مزدهراً بحركته العلمية بارزاً بنشاطه الثقافي محلياً في حلبة التأليف والتصنيف ، والبحث والتدريس ؛ فلنقف وقفة طويلة أمام ذلك العصر ، ولنعرض الى دراسته والفحص في جنباته لنرى الأئمة والشيوخ الذي نبغوا في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ممن قد أفاد ابن جني من أدبهم أو درس عليهم مشافهةً أو إجازةً أو وساطةً .

* * *

(١) راجع الكنز الثمين طبع رومة سنة ١٨٧٥ ص ٦٨ - ٧١ .
(٢) راجع تاريخ الموصل لنفس الصائغ ٢ / ٦٨ .

نبغ في الموصل في القرنين الثالث والرابع جمهرة من كبار العلماء والشعراء والمصنفين أشرنا الى بعضهم في مقدمة هذا البحث ، وقد غدت الموصل محجة طلاب العلم في العالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس بعد بغداد والبصرة والكوفة وبخاصة في عصر بني حمدان الذين كانوا يجودون على العلماء بالعطاء الواسع ويحسنون الى كل من قصدهم من الشعراء والكتاب والفلاسفة والمصنفين .
وكان على رأس بني حمدان في هذا المضمار سيف الدولة ، الذي شاد للأدب والعلم دولة رفيعة الأركان في الموصل ثم في حلب ، وأبو الهيجاء الأمير العالم الذي كان لا يقل عن سيف الدولة عناية بالعلم وأهله . يقول الثعالبي : « ورزقوا – أي أدباء هذا العصر وعلماؤه – ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب والمشغوفون بالأدب ، والمعروفون بالمجد والكرم والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل فانبعثت القرائح في الإجادة وقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا ، وأكثرهم اشتهاراً في ذلك سيف الدولة فكان قصره بؤرة الأدباء ، ومنتدى العلماء والشعراء كالمتنبي شاعر عصره الفريد ، والفارابي الفيلسوف الكبير ، والموسيقي البارع وكان ملازماً لخدمته حتى مات وهو مسافر معه الى دمشق ، ثم الاصفهاني الذي قدم له كتابه الشهير في الأدب والموسيقى والتاريخ فأعطاه سيف الدولة جائزة عليه ألف دينار واعتذر اليه ...»(١)

وقد جمعت الموصل في عهد هؤلاء الملوك الأكارم نخبة صالحة من كبار الأئمة أمثال السري الرفاء أبي الحسن بن احمد (– ٣٦٦) الشاعر العالم الموصلي الذي عاش في كنف بني حمدان في الموصل وحلب ، وكان مبدعاً في شعره وحكمه ، متفنناً في نظمه ونثره ، عطف عليه سيف الدولة وقربه حتى

(١) يتيمة الدهر .

جمله من خواص خواصه فأقام عنده ، وكان عذب الألفاظ متقناً للتشبيهات بارعاً في التصوير ، وقد خلف آثاراً أدبية منها (ديوان شعره) ومنها (كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب)[١] وكان الشاعران الأخوان الموصليان خازنا كتب سيف الدولة المعروفان بالخالديين ينابذانه ويخاصمانه وينافسانه فادّعى عليهما سرقة شعره وأوغر عليهما صدر سيف الدولة ثم انهما تمكنا من إقناع سيف الدولة بأنه هو الذي يسرق شعرهما ، فتغير عليه سيف الدولة وقطع رسمه من ديوان مجالسه ، واضطر السريّ أن يترك الموصل وحلب ويقصد بغداد لاجئاً ، إلى أن أدركه أجله .

ويظهر أن الخصومة بين السريّ الرفاء والخالديين قد تطورت فتناقل أخبارها أدباء الموصل ومؤرخوها وتفننوا في توسيع شقة الخلاف بين الطرفين لترويج سوق الأدب واحتدام الملاحم الشعرية . والمؤرخون يزعمون أن السريّ الرفاء كان ينسخ ديوان شعر كشاجم الشاعر المؤلف الموصلي الأديب الكبير ، ويدسّ فيه أشعار الخالديين ليزيد في حجمه فينفق سوقه ، ويشنع بذلك عليهما تأكيداً لما يدعيه عليهما من السرقات الشعرية ، وقد عقد الثعالبي فصلاً في اليتيمة لسرقات الخالديين وغاراتهما على شعره وشعر السريّ . وللسريّ في ذلك أقوال كثيرة منها ما يقوله في قصيدة يمدح بها الأمير أبا البركات بن ناصر الدولة الحمداني ، ويتظلم اليه من الخالديين ومن سرقتهما شعره :

يا أكرم الناس إلا أن بعدُ أباً ... فات الكرام بآباء وآثار
... أشكو إليك حليفيْ غارة شهرا ... سيف الشقاق على ديباج أفكاري
ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم ... لمزّقاه بأنياب وأظفار
صلاً عليه سيوف البغي مصلتة ... في جحفل من صنيع الظلم جرار

(١) راجع ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان .

... وكل مسفرة الألفاظ تحسبها ... صفيحة بين إشراق وإسفار
أرقت ماء شبابي في محاسنها ... حتى ترقرق فيها مؤها الجاري
إن قلداك بدرٍّ فهو من لججي ... أو ختَّماك بياقوت فأحجاري
وما رأى الناس سبياً قبل سبيهما ... يبعث نفيسته ظلماً بدينـار
والله مامدحا حيًّا ولا رثيـا ... ميتاً ولا افتخرا إلاّ بأشعاري
لم يبق لي من قريض كان لي وزراً ... على الشدائد إلا ثقل أوزاري
أراه قد هتكت أشعار حرمته ... وسائر الشعر مستور بأستار
عار من النسب الوضاح منتسب ... في الخالديين بين العرّ والعار [1]

والخالديان هما أبو بكر محمد بن هاشم بن وعلة بن عُرام بن يزيد ، وأخوه أبو عثمان سعيد بن هاشم الموصليان الخالديان من بني عبـد القيس ، وهما من سكان الخالدية وهي قرية من أعمال الموصل [2] .

ولم يذكر المترجمون من تاريخ ولادتها إلا أن أكبرهما وهو أبو بكر مات سنة ٣٨٠ هـ وأصغرهما وهو أبو عثمان مات حوالي سنة ٤٠٠ هـ وكانا عالمين جليلين وشاعرين فحلين ، يشتركان في التحصيل والدراسة ، والتأليف ، فلما نبغا نبغا معاً وكانا لا يتفارقان كالتوأمين ، وكانا يشتركان في نظم الشعر فينسب اليهما معاً ، قال الثعالبي وكان يجمعهما « من أخوة الأدب مثل ما ينظمهما من أخوة النسب نهما في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ، ويشتركان في قرض الشعر وينفردان ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان [3] » .

---

(١) راجع يتيمة الدهر ١ / ٤٥٣ ووفيات ابن خلكان ١ / ٢٠١ وفهرست ابن النديم ص ١٦٩ وخص الخاص لثعالبي ص ١٢٠ .

(٢) راجع معجم البلدان (الخالدية) ومعجم الادباء ٤ / ٢٣٧ والوافي بالوفيات نسخة دار الكتب المصرية / تاريخ رقم ١٢١٩ ج ٤ / ٣١٤ ؛ ويتيمة الدهر ١ / ٤٧٤ وكشف الظنون ٧ / ٥٧٣ وفوات الوفيات ١ / ١٧٢ ؛ ٢ / ٢٧١ .

(٣) يتيمة الدهر ١ / ٥٠٧ .

قصدا بلاط سيف الدولة في الموصل ثم في حلب فقربهما ، وجعلهما من خواصه وولاهما خزانة كتبه . ولا نعلم بالضبط الوقت الذي انضما فيه الى بلاط سيف الدولة ، غير أننا نعلم أنهما حضرا مجالسه أيام اتصال المتنبي به ما بين سنتي ٣٢٧ و ٣٤٦ هـ[(١)] . ويقول أبو العلاء المعري في رسالة الغفران أنهما تركا بلاط سيف الدولة (على حد مغاضبته)[(٢)] الى بغداد لاجئين الى الوزير المهلبي الذي ناصرهما وساعدهما هو وأبو اسحق الصابي على خصمهما السري الرفاء .

وقد خلفا للخزانة العربية ديوان شعر ضخما ومؤلفات في الأدب أجلها (كتاب التحف والهدايا) الذي يعني الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي بنشره و (كتاب حماسة المحدثين أو حماسة الخالديين) ولا نعرف له وجوداً وكتاب (أخبار الموصل) و (أخبار أبي تمام) وكتاب (أخبار أبي تمام ومحاسن شعره) وكتاب (اختيار شعر أبي عبادة البحتري) وكتاب (اختيار شعر ابن الرومي) وكتاب (اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره) وكتاب (الديارات) وكتاب (اختيار شعر ابن المعتز والتنبيه على معانيه) و (ديوان الخباز البلدي) . وغير ذلك مما فقد[(٣)] .

وقد كان هذان الأخوان عجيبين في النظم وحسن التأليف ، مدحهما أبو اسحق الصابي وقال فيهما قصيدة طويلة منها :

أرى الشاعرين الخالديين سيّرا قصائد يفنى الدهر وهي تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه يقصر عنهـا راجز ومقصد[(٤)]

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (المطبوع على هامش شرح العكبري) مصر سنة ١٣٠٨ ج ١ / ١٧٣ .
(٢) رسالة الغفران . طبع أمين هندية ص ١٣٦ ، وطبع الكيلاني ص ٢٩ .
(٣) راجع الفهرست لابن النديم ص ١٦٩ ، والوافي بالوفيات طبع استانبول ١ / ٤٧ وكشف الظنون ١ / ١٩١ وخزانة الأدب ٢ / ٣٩٦ ومعجم الأدباء لياقوت ٢ / ٢٠ ووفيات ابن خلكان ١ / ٤٦ .
(٤) راجع اليتيمة ١ / ٥٠٨ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان أبو عثمان أحفظ من أخيه لعيون الشعر روى عنه ابن خلكان في ترجمته أنه كان يحفظ ألف سفر من الشعر وكل سفر مئة ورقة فمحفوظاته إذن كانت مئة ألف ورقة أو مئتي ألف صفحة ولو فرضنا أن في كل صفحة ثلاثين بيتاً من الشعر كان مجموع محفوظه ثلاثة ملايين بيت من الشعر [1] وقال عنهما ابن خلكان أيضاً (انهما كانا بغصبان الشعر صاحبه حياً كان أم ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر ولكن كذا كان طبعهما) ، وقد ظلا ينظمان الشعر ويؤلفان في الأدب الى أن توفيا . وقد جمع أبو عثمان شعره وشعر أخيه في ديوان ضخم ولكنه فقد ولم نعثر على ذكر له في إحدى خزائن العالم حتى ان العالم المستشرق المحقق متس لم يشر اليه . وقد ضاعت أكثر آثارهما كما أشرنا اليه ما خلا كتاب التحف والهدايا وكتاب الحماسة ويعرف أيضاً بكتاب الأشباه والنظائر وهو مجموعة مختارة من عيون الشعر الجاهلي والإسلامي على نمط حماسة أبي تمام وأبي عبادة ومنها نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة في مدرسة حسين باشا الجليلي في الموصل [2] .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والأديب الشاعر العالم المصنف الطبيب أبو الفتح كشاجم محمود بن الحسين ابن السندي بن شاهك الرملي الموصلي وكان من كبار أئمة الأدب والشعر والفلك والتصنيف وقد شاع شعره في حياته في العالم الإسلامي حتى بلغ الأندلس والغرب وحاكاه شعراء عصره واقتبسوا منه وقد خلف ديواناً ضخماً وآثاراً عديدة منها كتاب (المصايد والمطارد) وهو أول ما صنف في فن الفروسية والصيد وأتى فيه بالمبدع الفائق ، وكل من كتب بعده في هذا الفن أو البيزرة أو في علم الحيوان فهو عيال عليه أو مقتبس منه . وقد ظل هذا الكتاب

(١) راجع تاريخ الموصل لصايغ ٢ / ٦١ .

(٢) راجع فهرس مخطوطات الموصل لداود الچلبي .

النفيس مجهولاً يتناقل المؤلفون والأدباء أخباره الى أن عثرت عليه في بعض خزائن إيران ونشرته في بغداد مؤخراً [١] . وقد كان كشاجم من أعاجيب الدنيا في سعة اطلاعه وكثرة فضله وتعداد نواحي علمه ومعرفته حتى انه لقب نفسه بكشاجم وهو لقب انتزعه من الحروف الخمسة الأولى من كلمات (كاتب ، شاعر ، اديب ، جواد ، مصنف) وربما أضيفت اليها كلمة (طبيب) [٢] . وقد خلف كشاجم في الخزانة العربية عدا كتابي المصايد والمطارد والديوان ، كتاب أدب النديم أو لطائف الظرفاء وهو من أمتع كتب الأدب وهو مطبوع مشهور [٣] .

والشاعر أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي النصيبي المشهور بالببغاء (— ٣٩٨) وكان شاعراً مكثراً مجوداً وكاتباً مترسلاً مليح الألفاظ جيد المعاني حسن القول في المديح والغزل والتشبيه والأوصاف . وقد ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليه وروى عنه بعض شعره عن طريق شيخه القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبي الفرج [٤] ، وكان الببغاء من أئمة الأدب وعيون رجال الشعر والنثر وقد روى التنوخي عنه كثيراً من أخباره وأشعاره في كتابيه (نشوار المحاضرة) و (الفرج بعد الشدة) وكان من المعجبين به وبأدبه وبخلقه . وقد أطنب المرحوم الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع بأدب الببغاء وعده من بين الكتاب الذين غلب عليهم النثر « وكان لهم مع ذلك شعر جيد مثل الجرجاني علي بن عبد العزيز وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي اسحق الصابي ، وبديع الزمان الهمذاني وأبي اسحق الحصري

(١) طبع في مطبعة دار اليقظة ببغداد بعنايتي وتحقيقي في سنة ١٩٥٤ .

(٢) راجع مقدمتنا لكتاب المصايد والمطارد ، ومجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الثاني فقد ذكرناه في مقال مفصل .

(٣) رجع أيضاً شذرات الذهب لابن العماد ٣ / ٨٣ وزهر الآداب للحصري وبروكلمان G. A. L. الذيل ١ / ١٣٧ .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي طبع القاهرة ١١ / ١١ — ١٢ .

صاحب زهر الآداب فقد قال عنهم انهم ممن كانوا يجيدون الشعر إجادة تامة مع إجادتهم في النثر وان شعرهم كان رائعاً مثل نثرهم [١] » .

ومما قال عنه أيضاً « إنه نشأ في نصيبين ، واتصل بسيف الدولة فلما مات صاحبه تنقلت به الأحوال بين بغداد والموصل فنادم الملوك والرؤساء وقضى حياته بين النجاح والإخفاق ينعم تارةً ويشقى أخرى ، وكان الببغاء من أركان الحياة الأدبية في زمانه ولكن المؤلفين لم يتحدثوا عنه إلا قليلاً فكان من نتائج ذلك أن قلت المصادر التي تكفي لتعيين اتجاهاته الأدبية ... ومجموعة ما وصل الينا من شعره ورسائله وقصصه تدلنا على أنه لم يتصل بملوك زمانه على نحو ما كان يتصل الصاحب بن عباد أو أبو الفضل بن العميد وإنما كانت صلاته بهم عند الحدود الضيقة حدود السمر والأنس حول بساط السلاف وانا لنراه يدور حول شهواته وأغراضه النفسية في أكثر ما أثر عنه من المقطوعات والرسائل والأقاصيص ، أما شعره فتغلب عليه النزعة الوصفية وذلك يتصل بمذهبه في النثر أشد اتصال وهو وان لم يستطع مصاولة فحول القرن الرابع كالرضي والمتنبي وأبي فراس يبدع أحياناً ويروع حتى لنعده في طليعة الشعراء [٢] » .

وأما نثره فيمتاز بعدة مزايا أظهرها أنه يمثل عصره من الوجهة الفنية ويمثل الكاتب في ميوله الذوقية والوجدانية فهو من جهة الصورة نثر مسجوع تغلب عليه الفطرة حيناً ويسوده التكلف أحياناً وهو من جهة الموضوع يتصل في أكثر نواحيه بما يحس الكاتب من حيث هو رجل مودات ومجاملات . وقل أن يمثل صاحبه رجل فكرة اجتماعية أو فلسفية على نحو ما نجد عند بعض كتاب القرن الرابع ... هذا ولا ننسى أن نذكر فضل الببغاء في رسائله الاخوانية الكثيرة التي خلفها لنا ، وهي لا تقاس الى براعته في نثره المرسل الذي دبج به قصصه الغرامية وقد حفظ

(١) راجع النثر الفني ١ / ٢٧ ، ١٢٨ .
(٢) راجع النثر الفني ٢ / ٢٢٦ - ٢٣٢ .

لنا الدهر منها شاهداً يعز على من رامه من أندى الكتاب قلماً وأسماهم بياناً [١] .

والإمام الفقيه المحدث العالم أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (-٣١٧) وكان من أئمة المحدثين وكبار حفاظ الحديث وهو صاحب المسند المعروف به والذي ظل يدرس في الموصل فترة طويلة وكان أهل الموصل يتباركون به وبقراءاته كما يحدثنا ابن خلكان [٢] .

وقد ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام وأثنى عليه وبيّن محامده وآثاره وعدد شيوخه ومن أفاد منه من كبار الأئمة وقال عنه : انه حافظ متقن وثقة مشهور ولقبه الذهبي بمحدث الموصل وقد عمر طويلاً حتى ناهز المئة ورحل الناس اليه من أبعد أصقاع الإسلام وله (مسندان) في الحديث أحدهما كبير والثاني صغير [٣] .

والجغرافي البلداني الأشهر أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل الموصلي البغدادي (- ٣٨٠) وكان من العلماء الرحالين البارعين في علم تخطيط البلدان وأصول التجارة طاف العالم القديم ودخل بلاد المغرب والأندلس وصقلية وغيرها من ديار الإسلام في أوربا وآسية وإفريقية منذ سنة ٣٣٠ هـ (٩٤٢ م) ودامت رحلته هذه ثماني وعشرين سنة وقد أحصى ذكر ما رآه في العالم من أخبار وعجائب ، وأطنب في ذكر البلاد التي زارها وصفاتها وأحوالها غير انه لم يضبط الأسماء وذكر الأطوال والأعراض ، ولم تخل رحلته هذه التي دونها في كتابه « المسالك والممالك » من الأغلاط لأنه أول رحالة مسلم عربي دوّن أخبار رحلاته هذه . وقد طبع كتابه في ليدن سنة ١٨٧١ م . وترجم الى اللغات الفارسية والانكليزية والفرنسية ، والايطالية واللاتينية . ويعد ابن حوقل الموصلي من كبار الجغرافيين الذين كتبوا ما كتبوا بعد الفحص والتدقيق . وقد كان الجغرافيون قبله

---

(١) راجع النثر الفني ٢ / ٢٣٣ – ٢٤٢ وبروكلمان G. A. L. ١ / ٩٠ والذيل ١ / ١٤٤

(٢) راجع وفيات الاعيان ٢/ ٣٥٤ .

(٣) راجع تاريخ دول الإسلام للذهبي ١ / ١٤٦ والرسالة المستطرفة ص ٤٣ .

يكتبون معلوماتهم نقلاً عن أفواه التجار أو يجمعون الأقاصيص والخرافات جمعاً دون تمحيص [1] .

والطبيب الفيلسوف الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن أبي الأشعث (— ٣٦٥) وكان أصله من فارس إلا انه سمع بعناية بني حمدان بأهل العلم فقدم على الأمير ناصر الدين الحمداني فأكرمه وقرّبه واتخذه طبيبه فنال عنده مكانة سامية وأغدق عليه عطاياه وأقام بالموصل يعلم الطب والحكمة والفلسفة . وقد ترجم له ابن خلكان في الوفيات وأثنى عليه وذكر طرفاً من أخباره وعدّد آثاره التي ألفها في علوم الطب والإلهيات والحيوان . وكان من أجل أعماله العلمية ترجمانه لكتب كثيرة من آثار جالينوس مع شرحها والتعليق عليها . وقد ترجم له ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ومدح علمه وفضله وآثاره ، ويذكر بروكلمان أن من آثاره العديدة التي كتبها لم يبق إلا كتابه عن الحيوان وكتابه عن تفصيل جالينوس في الاسطقسات وشرحه على رسالة جالينوس في المزاج المختلف ، وكتاب الغاذي والمغتذي [2] .

والأديب الفقيه المقرئ محمد بن الحسن بن زياد النقاش (٢٦٦ — ٣٥١) وكان من كبار الأئمة في علوم القرآن وقراءاته وتفسيره ، أقام بالموصل طويلاً يدرس علوم القرآن والعربية ثم رحل الى بغداد فأفاد الناس منه وقد خلف آثاراً عديدة أشهرها (شفاء الصدور) في التفسير و (الاشارة) في غريب القرآن و (الموضح) في معاني القرآن و (المعجم الكبير) في أسماء القراء وقراءاتهم و (المعجم الأوسط) في القراءات و (كتاب العقل) و (كتاب أخبار القصاص) و (كتاب ذم الحسد) و (كتاب دلائل النبوة) و (كتاب

---

(١) راجع دائرة المعارف لبستاني ، وكتاب آثار الأدهار للخوري وشحادة ١ / ١٩٧ واعلام الزركلي ص ٨٩٢ وقاموس الأعلام لشمس الدين سامي التركي .

(٢) راجع ابن خلكان ، وابن أبي أصيبعة ١ / ٢٤٥ وبروكلمان G. A. L ١ / ٢٣٧ والذيل / ٤٢٢ .

إرم ذات العماد) و (المعجم الصغير في القراءات) . وقد ضاعت هذه الكتب كلها إلا قطعة من (شفاء الصدور) فانها موجودة في دار الكتب المصرية ، والتحفة البريطانية و (كتاب الإشارة) فانه موجود في مدرسة الملا زكريا في الموصل [1] .

والشاعر الأديب الفحل أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي السلامي (٣٣٦ — ٣٩٢) وهو من أهل بغداد إلا أنه نشأ في الموصل وسمت مكانته العلمية فيها فأكرمه بنو حمدان وكانت حلقاته في الموصل حلقات علمية وله مناظرات مع أهل الموصل وأدبائها وأذكيائها وكان حين دخل الموصل صبياً ينظم الشعر فيتردد على حلقات أبي عثمان الخالدي وأبي الفرج الببغاء وأبي الحسن التلعفري وغيرهم وقد أعجبوا جميعاً بذكائه وفطنته [2] .

وبعد فان هؤلاء هم أئمة العلم والدين والفلسفة والطب والحكمة والأدب والشعر في الموصل في الفترة التي نشأ فيها أبو الفتح بن جني . وهؤلاء هم الأئمة الفحول الذين كانت تلك الديار وأهلوها يكرعون من مناهل علمهم وفضلهم وأدبهم ولا ريب في أن أبا الفتح قد أفاد منهم إما مباشرة أو بالوساطة .

(للبحث صلة) الدكتور محمد أسعد طلس

---

(١) راجع ابن خلكان ومعجم الأدباء لياقوت وبروكلمن ١ / ٣٣٤ الذيل
(٢) راجع أخباره في ابن خلكان ١ / ٢٩٨ ويتيمة الدهر ١ / ١٧٣ .

التعريف والنقد

ابن رشد

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد ، وهو من سلسلة نوابغ الفكر العربي
طبع في دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٣ .

يشتمل هذا الكتاب على أربعة فصول هي : (١) عصر ابن رشد (٢) ابن رشد في عصره (٣) جوانب ابن رشد (٤) منتخبات من آثار ابن رشد .

وقد اعتمد المؤلف في كتابة هذه الفصول على نصوص ابن رشد العربية التي بين أيدينا وعلى بعض الدراسات العربية والأجنبية ، فجاءت على اقتضابها كافية لتعريف القارئ بعصر أبي الوليد وحياته وفلسفته . ولا غرو فالأستاذ عباس محمود العقاد يجيد في هذا النوع من التأليف ، فيبسط الأفكار ويجملها على طرف التمام بأسلوب واضح وترتيب حسن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولئن كان من المتعذر هنا تفصيل الكلام على كل فصل من فصول هذا الكتاب فليس من المتعذر أن نقول ان كل فصل منها قد صوّر ناحية من نواحي ابن رشد تصويراً صحيحاً . فاذا أراد المؤلف أن يشرح لنا أسباب نكبة ابن رشد قال :

« فمن مجمل أحواله أنه كان رجلاً يحسن المساجلة ولا يحسن المنادمة ، ولا يبالي تزييف لغة « البلاط » في سبيل تحقيق لغة العلم ورفع الكلفة من مجالس الباحثين فيه ولو كانوا من الملوك والأمراء . ومما يصح أن يشار اليه من لواحق هذا أنه غفل عن مكانة الغزالي عند ملوك الموحدين . وهو أستاذ أستاذهم الأكبر ، فردّ عليه دفاعاً عن الفلاسفة ولم يبال في هذا الدفاع أن ينسب اليه المغالطة ـ

ومن مجمل أحوال الزمن أنه كان زمن المداوات الدينية ، وكانت أخطار الحروب فيه بين المسلمين والافرنج على أشدها ، فكان من أصعب الأمور على الحكام أن يتعرضوا لغضب العامة إذا وقع في وهم هؤلاء أن قاضياً من أعظم القضاة يشتغل بالعلوم التي يرتابون بها ويحسبونها من الكفر والضلالة . وقد اشتهر عن ابن رشد انه كان مصادقاً لأخي الخليفة وتبين من تاريخ تلك الفترة أن المنافسة فيها على الملك كانت حرباً ضروساً لا تنقطع في وقت من الأوقات ، فلا يبعد أن ينكب الخليفة ابن رشد اتهاماً له بمشايعة أخيه واتهاماً لأخيه بمصاحبة الفلاسفة وإضمار الكفر والضلالة » (ص ٦٦) .

واذا أراد المؤلف أن يتكلم على فلسفة ابن رشد قال : فلسفة ابن رشد على الأصح : « فلسفتان لا فلسفة واحدة : فلسفة ابن رشد كما فهمها الأوربيون في القرون الوسطى ، وفلسفة ابن رشد كما كتبها هو واعتقدها ودلت عليها أقواله المحفوظة لدينا » (ص ٣٠) وبين هاتين الفلسفتين « مواضع اختلاف تمس الجوهر أحياناً أو يسمح بتفسير آخر في غير تلك الأحيان » (ص ٣١) .

وقد اعتمد المؤلف الفاضل في تلخيص الفلسفة الأولى على ما كتبه (موريس دوولف) في كتابه : تاريخ فلسفة القرون الوسطى ، كما اعتمد في تلخيص الفلسفة الثانية على نصوص (ابن رشد) العربية التي بين أيدينا غير معول في ذلك على مصدر من المصادر الأجنبية .

ولكن الباحث الذي يتصدى لدراسة فلسفة (ابن رشد) كما كتبها هو واعتقدها لا يستطيع أن يهمل المصادر الأجنبية الحديثة ، لأن في هذه المصادر كثيراً من الدراسات التي توضح نصوص ابن رشد وتصور فلسفته أحسن تصوير . وقد فطن الأستاذ عباس محمود العقاد الى هذه الناحية فذكر في مصادره كتاباً لرينان عنوانه : ابن رشد وفلسفته (Averroès et l'Averroïsme) ولكنه

فمن كثيراً من الدراسات الأخرى كدراسات (موللر) و (مونك) و (غوتيه) و (بالاسنيوس) وغيرها . ولو استعان بهذه الدراسات لصور لنا عقل ابن رشد في شتى مشاركاته تصويراً أتمّ وأوفى .

وجملة القول ان صورة ابن رشد التي أبرزها المؤلف صورة آنية مسرعة ليس فيها ما في فلسفة ابن رشد من نواح مختلفة ، وسبب ذلك يرجع الى أن المؤلف يكتب لجمهور القراء لا للعلماء المتخصصين ، وأظن أنّ الناس ينتفعون بهذا النوع من المختصرات أكثر مما ينتفعون بالمطولات .

جميل صليبا

نوابغ المغرب العربي (١)

الإمام المازري

حسن حسني عبد الوهاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في طلائع هذه الرسالة (التي بلغت نحو مائة صفحة بقطع الربع) شذرات من تراجم أولئك الغُرّ الميامين الذين دخلوا الشمال الإفريقي من الصحابة والتابعين ، ومن اقتفى أثرهم واهتدى بهديهم إلى عصر المازري في القرن السادس الهجري .

استهل المؤلف ـ وهو الأستاذ الكبير حسن حسني عبد الوهاب التونسي الشهير ـ استهل بحثه بذكر بعض مَن وفدوا على البلاد وأقاموا بها بعد الفتوح ، وهم الذين عيّنهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز سنة مائة من الهجرة لتفقيه الأفارقة في الدين ، وإرشادهم الى هديه ، وإشراب قلوبهم حبّه . وقد كان في مقدمة هذه البعثة الدينية اسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي عامل عمر بن عبد العزيز على المغرب ، ورأس البعثة الدينية ، وعبد الله بن يزيد المعافري ، وعبد الرحمن ابن رافع التنوخي ، ومنهم اسماعيل بن عبيد الأنصاري ، وكل من هؤلاء قد روى عن الصحابة ، واتخذ داراً لسكناه ، ومسجداً للصلاة ، ومدرسة لتعليم

الناشئين : وقد تربى على أيديهم جمع كبير كانوا المربين الأولين لأبناء البلاد ، وهم الذين لقنوهم علوم الشريعة . وذكر المؤلف طبقة ثانية يوافق ظهورها قيام الدولة الأغلبية في البلاد ، ومنهم أسد بن الفرات ، وقد تلقى عنه أبناء إفريقية مثل سحنون ، وسليمان بن عمران وغيرهما «ويمكن أن نعد أسد بن الفرات أول مؤسس للدولة الفقهية القيروانية» .

شرح الأستاذ المؤلف كيف دخلت «الحنفية» إفريقية في القرن الثاني ، والمدرسة المالكية في القرن الثالث ، ثم تتابعت الطبقات وترجم لمشاهيرها بإيجاز ، إلى أن بلغ بها القرن السادس ، فترجم للإمام المازري ، وأشهر شيوخه وتلاميذه . والمازري نسبة إلى مازَرة بصقلية ، تقابل شمال البلاد التونسية ، وهي أول بلدة امتلكها الجيش الأغلبي الفاتح على يد قائده القاضي أسد بن الفرات (م سنة ٢١٢) . ومن أشهر أساتذة المازري إماما المغرب في وقتها أبو الحسن اللخمي (م ٤٧٨ هـ) وعبد الحميد الصائغ (م ٤٨٦ هـ) . ومن أكبر تلاميذه علماً وسياسة محمد بن تومرت ، مؤسس الدولة الموحدية (وكانت وفاته ٥٢٥ هـ) والإمام أبو بكر بن العربي الإشبيلي (م ٥٤٣ هـ) .

ثم ذكر الأستاذ ابن عبد الوهاب ثناء العلماء عليه ، وآراءهم فيه ، وآثاره العلمية ، ونبذاً من فتاويه وجهره بالحق . وختم بحثه بهجرة الصقليين إلى افريقية ، وبتمييز المازري عمن يشاركه اسماً ولقباً وبلدا .

وقد وقعت بالطبع هنات لا يخلو منها كتاب (عدا ما في جدول الخطأ والصواب) وهي في ص ٨٢ س ٥ : الآ ، و ٨٩ س ٢ : واحداً بالآخر ، و ٩١/١٠ خمس قرون ، وصوابها : الإله . واحد والآخر . خمسة قرون .

فنشكر للأستاذ المؤلف حسن صنيعه ، ونرجو له مزيد التوفيق في عمله العظيم .

مصادر الحق في الفقه الإسلامي

دراسة مقارنة بالفقه الغربي الحديث

(٢)

توافق الإرادتين في مجلس العقد ، صحة التراضي ، (الغلط – التدليس – الإكراه)
ألقاها الدكتور عبد الرزاق السنهوري على طلبة قسم الدراسات القانونية

عرف الدكتور السنهوري بسعة اطلاعه على المذاهب الفقهية الإسلامية ، وعلى القوانين الموضوعة في الدول العربية ، وما يقابلها من فقه الدول الغربية ، وله مؤلفات في ذلك . وهذا هو الجزء الثاني من كتابه الفقه الإسلامي المقارَن بالفقه الغربي الحديث ، الذي ألقاه على طلبة قسم الدراسات القانونية في معهد الدراسات العربية العالية ، من جامعة الدول العربية ، بالقاهرة .

(ولم نطلع على الجزء الأول منه) . وأوله : المبحث الثاني في تطابق الإرادتين في مجلس العقد (أي إرادتي المتعاقدين) ، وفيه ثلاثة مطالب (١) التعاقد بين الحاضرين (٢) التعاقد بين الغائبين (٣) حالات خاصة في إبرام العقد . ثم يأتي المبحث الأول في الغلط – : وهو حالة تقوم بالنفس تحمل على توهم غير الواقع – وفيه مبحث الغلط في الفقه الغربي ، والغلط في الفقه الإسلامي . وفي المطلب الثاني : الأنواع الأخرى من الغلط ، كالغلط في الشخص ، وفي الوكالة ، وفي إجازة الظئر ، والغلط في القيمة ، والغلط في القانون .

ثم المبحث الثاني في التدليس ، والمطلب الأول منه : التدليس في الفقه الغربي ، والثاني : التدليس أو التغرير في الفقه الإسلامي .

ويليه : المبحث الثالث في الإكراه ، والمطلب الأول : الإكراه في الفقه الغربي ، والثاني : الإكراه في الفقه الاسلامي ، وفي كل من هذه المطالب والمباحث فروع تتصل بها ، وقد بلغ هذا الجزء الثاني (٢٣٥) صفحة بالقطع المتوسط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتجد فيما كتبه الدكتور ما امتاز به الفقه الإسلامي من دقة التعبير ، وجمال التصوير ، وموافقة قواعده وشواهده لكل أمة ، على اختلاف الزمن ، وارتقاء الأمم ، وتنوع المطالب . أثاب المولى الدكتور السنهوري ، وزاده إحساناً وتوفيقاً .

الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

سيرته . بطولته . عظمته

وضع الأستاذ السيد عبد الحميد الخطيب . جزآن في نحو (٧٠٠) صفحة

مما كان يردده الملك الإمام عبد العزيز آل السعود (رحمه الله تعالى) ويؤيده بالشواهد والبراهين أنَّ مدار الأمة على التوحيد ، وأن العرب لم تكن لهم وحدة حقيقية ، ولا جامعة عربية يحافظون عليها ويدافعون عنها إلا بالتوحيد الذي ألف بين قلوبهم ، ووحَّد كلمتهم وعملهم ، فصانوا دماءهم وحفظوا أموالهم ، وقلّصوا ظل القياصرة والأكاسرة عنهم ، بل كسروا شوكة الظالمين في أنحاء المعمور . ذلك بأن عقيدة التوحيد التي تغلغلت في نفوسهم ، وجرت في عروقهم ، قد ناطت رجاءهم في الله وحده ، لا يسألون إلاّ إياه ، ولا يخشون أحداً سواه «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاّ هو ، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله» . وفي حديث ابن عباس : (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) .

لمّا أخذ العرب بهذه العقيدة المثلى تركوا عبادة الحجر والشجر والبشر ، والكواكب والملائكة والجن ، وعلّقوا خوفهم ورجاءهم بفاطر الأرض والسموات ، فطهرت عقولهم من لوثات الشرك والأضاليل ، وزكت نفوسهم من الرذائل والنقائص ، وأصبحوا علماء حكماء ، لا تعرف الخرافات والأوهام الى قلوبهم سبيلا ، وأخذت معارفهم حظها من الشيوع والانتشار ، بحيث لم تبق أمة من أمم الأرض

نقتبس من نورهم ، أو تعطر مسامعها بشذى ذكرهم الفياح . هذا مجمل ما كان ينثره الملك من درره ، وكنا نسمعه في كثير من مجالسه العامة والخاصة ، وكان له أحسن وقع وأبلغ تأثير في نفوس المستمعين . وهو ما تراه الآن موزعاً من خطبه وأحاديثه في هذه السيرة التي رأى مؤلفها العلامة أن يسلك بها غير ما سلكه الكثيرون ممن أرخوا للإمام الراحل في حياته وبعد مماته ، وكتبوا كثيراً في مآثره وصفاته ، إذ لم يتعرضوا لسر عظمته في نفسه الكريمة ، وما انطوت عليه من إيمان وتقوى ، (أو محاسبة ومراقبة) هما السبب الأقوى في كل ماتم على يده من الأعمال ، وما نالته البلاد في عهده الميمون من أمن وطمأنينة ، فأحب أن يكتب في هذه الناحية ليتخذ الناس من سيرته مثلاً عليا ، في هذه الحياة الدنيا . قال : « خصوصاً وإن ما دعاني إلى تأليف هذا الكتاب ما علمته من رغبة عميد الكلية العربية العامة بالباكستان ، في الحصول على معلومات مفيدة عن ملوك الإسلام وآثارهم في البلاد وطريقة حكمهم فيها ، ليدرسها النشء في هذه الدولة الناهضة (باكستان) التي يهمها أن يعلم أبناؤها الكثير عن مزايا الإسلام وفضائل ملوكه وأمرائه المعاصرين منهم والسابقين » .

وقد أهدى المؤلف كتابه بكلمة قيمة إلى سمو ولي العهد وأخيه (جلالة الملك سعود وسمو الأمير فيصل ولي العهد) وقدم له مقدمة شرح فيها المذهب السلفي (المسمى بالوهابي !) شرحاً وافياً من عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود الذي استجاب لدعوته ، إلى عهد الملك الراحل عبد العزيز (رحمهم الله تعالى) . وقد بدأ بمولده ونشأته ، وتأسيسه الملك ، وقضائه على الفتن الداخلية . ثم ذكر قضاءه على حكم آل الرشيد ، وحروبه مع الهاشميين ، وإعلان البيعة له ، وانعقاد مؤتمر العالم الإسلامي بمكة (سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م) . وحادث (المحمل) ، وفتنة الدويش ، وحماية الأدارسة ، وثورة ابن رفادة ثم الأدارسة ، وتوحيد المملكة السعودية ، وبين الملك وإمام اليمن — عفوه

عن المبعدين ـ حل حزب الأحرار • خطب الزعماء بين يدي جلالة الملك والأمراء ـ تفاهم مصر والمملكة السعودية ـ اجتماع رضوى التاريخي ـ ميثاق الجامعة العربية ـ رحلة الملك الى مصر ـ فلسطين والاتحاد العربي ـ الملك وقضية فلسطين ـ الحرب في فلسطين ـ زيارة الملك عبد الله ـ مدة الهدنة ـ لجنة التوفيق ـ النتيجة ـ (وهي أسوأ نتيجة وأخزاها) ـ الى عموم المسلمين ، (قصيدة للمؤلف) الملك وباكستان ـ باكستان كما رأيتها ـ باكستان في أربع سنوات ـ الملك وأندونيسيا ـ خطاب المولف في القصر الجمهوري الأندونيسي • هذا مجمل ما تضمنه الجزء الأول ، في نحو ثلاثمائة وأربعين صحيفة •

وأما الجزء الثاني من سيرته الميمونة فهو خاص بما يتعلق بحياة جلالته الخاصة وأخلاقه وعاداته ، وخطبه وآثاره ، وأبنائه وأصحابه وعماله •

قلت : وإنّ من أبرّ أعماله (رحمه الله) وأفضلها ، أنه رأى أنّ أفضل ما تداوى به القلوب ، وينتزع به منها مثارات الشكوك ، هو جمع المصلين في كل صلاة على إمام واحد ، كما تقتضيه وحدة الإسلام ، فأمر أن يتناوب الإمامة عدة أئمة من فقهاء المذاهب الأربعة ، يأتم بكل واحد منهم في نوبته جميع المصلين ، فتمّ ذلك ولله الحمد على أحسن وجه • وقد قفى الإمام عبد العزيز بهذا التوحيد العملي على كلّ خلاف قديم ، وأدخل عصر التفريق والتمزيق في خبر كان ، وبات القول بأنّ النجديين يكفرون إخوانهم المسلمين وإخوانهم يكفرونهم أضحوكة العجائز والصبيان ، وأسطورة الكذب والبهتان • فنحن نذكر إخواننا المسلمين في سائر الأقطار بأن يحذوا حذو البيت الحرام ، قبلة الإسلام بالاقتصار على إمام واحد لكل صلاة توحيداً للأمة وجمعاً للكلمة ، ونحذرهم من ضرر تعدّد الجماعة في وقت واحد • والكتاب محلّى برسوم صاحب الجلالة وصاحبي السموّ ولي العهد ، ونائب جلالة الملك ، وكثير من الأمراء والأعيان ، وفي ختام هذا الجزء الثاني سجلّ الصور لبعض أمراء وعظماء المملكة العربية السعودية •

والحاصل أن هذا الكتاب من أغزر الكتب مادة في موضوعه ، وأدلّها على ما ألف من أجله ، والمؤلف غنيّ بتآليفه وآثاره عن التعريف به .

وقد مرّت بي أغلاط قليلة كقوله في قصيدة الأستاذ الزركلي (ج ١ ص ٦٢ س ٢٥) ما استطعت ، صوابها « ما أُسطعت » وفي (ص ٦٣ س ٧ منه) وللأيّاة : « وللأُباة » بالباء ، وفي (ج ٢ ص ٨٣ س ١٥) سمحان : « سحبان » (وفي ص ٨٢ س ٢٠) المقدس . المقدى . المقسى . صوابها كلها : « المقدسي » وفي ص ٨٣ س ٧ الكلام الطيب : « الكلم » .

المجموع الأول

أبحاث علمية إسلامية وفتاوى في مسائل حديثة شرعية

بقلم : عبد الله القلقيلي في (٧٧) صحيفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأستاذ القلقيلي صحافي قديم ، وكاتب مشهور ، فهو صاحب « الصراط المستقيم » التي كانت تصدر في يافا من أرض فلسطين ، وقد كانت معروفة بمعارضتها للمجلس الإسلامي الأعلى في سياسته ، ولكنها مثال الذوق والأدب ، وصدق القول والعمل ، والغيرة على الدين والوطن ، فهي تشبه جريدة البرهان التي كانت تصدر في طرابلس الشام للأستاذ المغربي ، كلتاهما كانت تصدر عن عقيدة راسخة ، وأدب جم ، وفضل وعلم ، وهذه مقالات منوعة ، افتتحت بمقدمة للأستاذ مظهر العظمة ، وبدئت بمقال الدعوة إلى الحق والخير ، ولا تعارض في الدعوة ، والفصل بين السنوحات والتنوحات ، ومحمد خاتم النبيين ، ومنها الجواب على ما يأتي : أيكون الإيمان سبباً في زيادة الشقاء ؟ هل يباح الفطر للعمال ؟ عشاء الميت ، القراءة تميت ، وختمها بأجوبة وفتاوى على أسئلة :

«ضريبة الإنتاج والزكاة» وتأييد هذه الفتوى بالرد على من خالفها ، وتحديد النسل ، والسلف على الغلة ، وقبر الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

والأستاذ القلقيلي في ذلك كله ، وسط بين الغلو والتفريط ، يظهر ذلك من كلامه على مقالي السنوحات والفتوحات (أي المكية لابن عربي) فمن الكتاب المكفّر ، ومنهم المؤول ، والأستاذ قائل بالتخطئة ، وفي مقال محمد خاتم النبيين ردّ محكم على دعاة النبوة الكاذبة في هذا الزمان ، ثم بيان أن الإيمان من أسباب سعادة الإنسان لا شقائه ، واعتدال في الكلام على صيام العمّال ، والاقتصار على السنة في أمر الموتى ، وعدّ ما تنفقه الحكومة على مستحقي الزكاة من الزكاة الشرعية ، والكلام على تحديد النسل الشخصي (لا الاجتماعي العام) وإباحة التسليف على الغلة بشرطه . وهذا (المجموع الأول) كما نرى هو رائد خير ، وطليعة صلاح وإصلاح لما يأتي بعده إن شاء الله ، فنحث المطالعين على الاستفادة منه .

ومن الأغلاط المطبعية (ص ١٢ س ١) باختلاف ومتعلقها : الواو زائدة . و (ص ٢٧ س ١٢) أن يتحاكمون : وهي بحذف النون . وباقي الأغلاط طفيف ظاهر ، وأكثره في جدول الخطأ والصواب .

محمد بهجة البيطار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آثار معين في جوف اليمن (الجزء الأول)

لمحمد توفيق

عدد صفحاته (٤٠) صفحة من القطع الكبير و (٤٠) لوح مصور طبع في القاهرة سنة ١٩٥١

قدم المؤلف في هذا الجزء أولى دراساته عن جنوبي جزيرة العرب وهي بعض مشاهداته في رحلته العلمية الى جوف اليمن لدرس هجرة الجراد الرحال والكشف عن مناطق توالده وتكاثره في عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ . اغتنم المؤلف هذه الفرصة التي تهيأت له فقام أيضاً بدراسة جديدة لخرائب آثار هذه المنطقة والتقط لها صوراً فوتوغرافية استكملت أبحاثه القيمة .

غامر قبله منذ منتصف القرن الماضي وفي فترات مختلفة عدد من علماء الغرب ورحالته محاولين زيارة اليمن ، منهم من أصاب بعض النجاح في جولته ومنهم من لم يفلح ولقي بعضهم حتفه بصورة مفجعة .

بدأ المؤلف في هذا الجزء دراسته المستفيضة عن خرائب معين عاصمة الدولة المعينية ، فوصف مشاهداته عن آثارها ونقوشها ورقمها ونشر صورها . وسيبقى بحثه هذا مرجعاً أساسياً لدراسة آثار هذه المنطقة . ومن مميزات هذه الدراسة أنها صححت جملة نصوص كان جمعها غيره من الآثاريين وأضاف نصوصاً وصوراً جديدة تنشر لأول مرة .

ومما يدعو الى الغبطة أن نرى إقبال طائفة من علمائنا العرب على دراسة هذه المواضيع التي كانت الى عهد قريب وقفاً على علماء الغرب . ومن هو أحق من أبناء العرب بالعناية بدراسة تاريخ مدينة جنوب جزيرة العرب التي استمدت منها الحضارة العربية في الجاهلية والإسلام أصولها ؟ فللمؤلف شكرنا وتقديرنا .

J. A. Dagher - Repertoire des bibliothèques du Proche et du Moyan Orient. Paris 1951

تقويم دور الكتب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط

من وضع يوسف داغر

أمين دار الكتب الوطنية اللبنانية ، يقع في (١٨٢) صفحة من القطع المتوسط طبع في باريز ١٩٥١

أحصى المؤلف في هذا التقويم دور الكتب العامة والمكتبات الخاصة العربية والأجنبية الموجودة في بلاد جزيرة العرب ومصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وتركيا وإيران ، ولم نجد بينها ذكراً لمكتبات المملكة الأردنية الهاشمية ، فهل يستنتج من ذلك أنها خالية من المكتبات مع أن نهضتها الثقافية الحديثة على ما نعلم كانت شاملة ويستغرب أن تهمل هذه الناحية الهامة من نهضتها .

يقدم هذا الكتاب خدمة جليلة للمشتغلين بشؤون دور الكتب ويرشد الطلاب والعلماء الى مناهل العلم في هذين الشرقين ، ويعمل على زيادة الروابط الثقافية بين هذه البلاد وغيرها من الأقطار العالمية . ان فائدة هذا الكتاب واضحة وهي جديرة بالإكبار والتقدير .

نقوش خربة معين

(مجموعة محمد توفيق) الجزء الثاني

خليل يحيى نامي في (٣٤) صفحة من القطع الكبير . طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢

اقتصرت دراسات الأستاذ محمد توفيق في الجزء الأول من هذه المجموعة على وصف آثار خربة معين ونقل صور رقمها وعهد الى الدكتور خليل يحيى نامي بنشر النصوص التي جمعها وترجمتها فيكون هذا الجزء تكملة للجزء الأول حقق

فيه عشر تسع عشرة كتابة من خربة معين كانت بحاجة الى شرح مغلقها ودرس محتوياتها والتعليق عليها ، ويقف المطالع في هذا البحث على مدى الجهد العلمي الذي بذله الأستاذ نامي لإخراج كتابه هذا الذي يستدل منه على مكانته العلمية في موضوع جديد له صلة وثيقة في دراسة تاريخنا العربي . فللمؤلف إعجابنا والى المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة الذي خصص سلسلة من منشوراته لنشر هذه الأبحاث القيمة شكرنا .

جعفر الحسني

ابن الحريري ومقاماته

تأليف الدكتور محمد أحمد الصديقي

طبعة إله آباد ، بالهند ، في ٢٣٢ صفحة

لم تقع للمعاصرين من كتاب العرب على مؤلف في الحريري ومقاماته يستوعب البحث في حياة الرجل وآثاره . لذلك رحبنا أجمل الترحيب بهذا الكتاب الجديد يصدره أستاذ في جامعة بالهند كرسالة للدكتوراة ، يسد بها ثغرة من الثغرات الكثيرة في التأليف الأدبي .

خرج المؤلف ببحث شامل حافل ، تطرق فيه إلى العصر العباسي ، فذكر المدارس والمعاهد والمراكز العلمية في البلاد العربية وغيرها ، وأشار إلى أثر الكوفة والبصرة في الأدب والعلم والثقافة ، وانتهى الى الإشادة بالبصرة فقد كانت تدعى قبة الإسلام، وفيها كانت العناية بالغة في النحو، ومنها كان الحريري .

وتناول الدكتور الصديقي في بحثه أساليب الكتابة وأغراضها ، وسعى إلى دراسة المقالات والمقامات من حيث اللفظ والمعنى ، فعرض للصناعات اللفظية وزخرفة الكلام ، والتكلف والتطويل والإطراء ، ليبلغ بنا الى نشأة الحريري

وتربيته ودراسته وثقافته حتى كانت منه المقامات والرسائل والمؤلفات . وقد وقف الباحث عند المقامة وقفة غير قصيرة يحللها ويدرسها ، فهي كل ما يلقى في مجتمع الناس ، وهي المجلس من الكلام ، أو هي الرواية والخطبة والعظة ، بل إنها القصة النثرية وما يتخللها من شعر ينظمه صاحب المقامات . وموضوعها ذلاقة اللسان وفصاحة البيان ، وجمال التعبير ، في كل منها نكتة تدور حولها ، ولكل منها اسم تنسب اليه ، تجمع شوارد اللغة ونوادر التراكيب ، في أسلوب مسجع ، أنيق الوشي ، تعج بالأمثال والحكم .

وقد أورد المؤلف آراء المستشرقين والشرقيين في المقامات ، فرأى أن الأولين أخذوا عليها وحدة مغزاها ، ووقوفها عند ابتزاز الأموال على طريقة رخيصة مبتذلة فيها الوضيع والدنيء ، ونقدوها لما بين جنباتها من حب ينكره الذوق السليم وشذوذ يأباه الخلق الكريم ، وأنها قصيرة لا تتصل بالدرامة أو الفاجعة أو غيرهما مما عرف الغربيون في مسرحياتهم وقصصهم وتمثيلهم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ودافع الدكتور الصديقي عن الحريري ومقاماته ، وذكر الدوافع التي أهابت بصاحبها إلى صنعها ، وبيّن تاريخ ذلك كما انتهى إليه عن سبيل البحث والدرس ، ورسم الأشخاص في المقامة ومصادر ألوانها وحكاياتها ، ثم رأى أن أكثر تلاميذ المقامات يعودون الى الحريري لا إلى البديع في التقليد والاستعارة والاحتذاء ؛ ووجد في أسلوبها طلاوة تسحر الألباب وبلاغة تحيّر العقول ، وأورد هنا كذلك آراء الكتاب والناقدين ، فهي تقتبس من القرآن والحديث وتمتلئ بالجناس الأنيق والسجع الرشيق . وقال إنها مرآة لحياة البصريين الاجتماعية والاقتصادية والدينية والأدبية ، وضرب الأمثلة على ذلك بنصوص أوردها مشروحة مضبوطة بالشكل ، ووازن بينها وبين مقامات البديع ، فأفصح عن المزايا والسجايا ، ونصب نفسه منصب الخطيب الأريب والمحامي الأديب والكاتب المترسل ليدافع عن

الحريري في حماسة الحب وغيرة خاص ، وذلك لسبب بعلمه كتب المقدمة الأستاذ المفكر أبو الحسن علي الحسني الندوي ، معتمد دار العلوم في لكناو ، قال :

« وقد دافع المؤلف عن الحريري مدافعة قوية لأنه من أنصار الحريري المتحمسين له ، وقد يؤخذ هذا عليه كناقد ومؤرخ ، إلا أنه عقيدة وفكرة ، ولا يلام الكاتب على عقيدته وفكرته » ... ثم قال : « وقد كان حقاً على الهند ، وهي التي لم تزل ولا تزال متمسكة بأهداب الحريري في الأسلوب الأدبي وتأثير هذا الكتب في أساليبها وأوساطها الأدبية معلوم واضح أن تقدم كتاباً لائقاً عن الحريري الذي شغفت به هذا الشغف العظيم ، وقد كان هذا ديناً عليها » .

وهكذا قام المؤلف الصديقي بوفاء الدين في كتابه ، فقدمه إلى جامعة أله آباد ، وأوفى فيه على الغاية من حيث دراسته وعرضه لآثار الحريري ومخطوطاته ومطبوعاته على غرار المؤلفات الحديثة في جامعات الغرب ، فلم يفته ذكر المصادر ووصف المخطوطات ومظانها . وقد رأينا أنه جمع بين دفتي كتابه ما قال القدماء والمحدثون في الحريري ومقاماته وعرض لها بالدرس والموازنة . وكان أسلوبه في ذلك البحث يتصل حيناً بأساليب القدماء من سجع واستعارة واقتباس ، ويتصل أحياناً بالمحدثين المترسلين في البساطة والسهولة .

وإذا كنا نحمد للدكتور الصديقي كتابه ، فانما نحمده أولاً ، لأنه صنعه بلغتنا العربية ؛ فجهد في ذلك جهداً كبيراً نعترف به ونشكره عليه ونثني على أياديه فيه ، فقد أراد ان يشركنا في قراءة بحثه وخلاصة درسه ، وكان لنا من ذلك متعة وفائدة ، وأضاف الى مصادرنا المبعثرة المشتتة عن الحريري مصدراً جامعاً كثير الغناء وافر النفع ، يستوي مع الكتب الناجحة في هذا الباب ، ويستحق به صاحبه أجزل الثواب وأجمل الجزاء .

الجاحظ

تأليف الأستاذ حنا الفاخوري

دار المعارف بمصر ١٩٥٣ – في مئة صفحة

في هذه المجموعة من تراجم الأعلام في « نوابغ الفكر العربي » عقد الأستاذ حنا الفاخوري فصلاً كبيراً للجاحظ ، إمام الأدب والفكر في أدبنا العربي . فصوّر العصر العباسي وما اختلف إليه من فتن وثورات وحروب ومعارك . وعرض للحياة الاجتماعية فتوفر على دراسة الترف والفراغ الذي أصاب الأمة الناشئة ، وما كان من رقيق وغلمان وجوار ، وما نهض من فرق دينية وانعقد من حلقات فكرية ، وما قام من حركة علمية وثقافية ؛ ليرسم التيارات التي كانت تتجاوب في دنيا العراق من علوم الأمم القديمة وثقافاتهم ، وما أفاد العرب منها في النقل والترجمة والاقتباس ، وما قصروا خلال ذلك في ميادين الأدب اليوناني ، ليبلغ بنا إلى حياة هذا الرجل العملاق .

فقد كان الجاحظ يمثل الأديب المثقف والكاتب الاجتماعي ، « وعى في صدره جميع معارف عصره في الأدب والدين والعلم والفلسفة » وأخذ بكل ما وقع له من كتب العرب واليونان والفرس والهنود ، فصاغها ببيانه وعرضها بأسلوبه ، وضرب المثل الرائع للرجل النابغة ، حتى قال فيه أبو هفان : « لم أر قط ولا سمعت مَن أحبّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فانه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته ، كائناً ما كان ، حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ، ويبيت فيها للنظر » . وهذه شهادة عظيمة تنطق بفضل الجاحظ ، وتشيد بعقله الراجح وذكائه البالغ ؛ وتجعله صورة للأديب على مدى الأجيال واختلاف الأقطار .

وكتب الجاحظ التي خلفها شاهدة على روعة ثقافته وسعة علمه ؛ وصل بعضها وضاع كثير منهـا . وهي فيما يقول النقاد تنيف على ثلاثمائة وخمسين كتاباً ،

يدل قليلها على فيض أدبه وواسع معرفته ، فهي دائرة معارف كما يقول الغربيون ، فيها من كل فن أعجوبة ، ومن كل موضوع جانبه الخطر ، وهي أحرى بأن تنسب إلى عدد عديد من الكتاب ، لكثرة ما فيها من نفع ومعرفة وأدب ، لم تغفل شاردة أو واردة في ثقافة العصر . كأن عقله آلة مصورة مسجلة ، ترى وتسمع فتحفظ كل ما ترى وتسمع خلال السنين التي عاشها الجاحظ ، حتى أثقلت ظهره ، فناء بها ووهنت قواه ، فأصيب بفالج ، ألزمه البيت وأسلمه إلى الهرم فالفناء . فأسلم الروح وقد ناهز التسعين ، في منتصف القرن الثالث للهجرة ، وخلف دوياً في سمع الدنيا ، وترك آثاراً في خزانتنا العربية نزهى بها على الامم ، ونستصغر أدباء العالم إذا ما جمعوا وأديبنا الكبير في صعيد واحد من رسالة العقل والأدب والحياة .

هذه هي الجوانب التي رسمها الاستاذ الفاخوري في كتابه عن حياة الجاحظ ، وأتبعها بفصل عرض فيه مؤلفات الرجل وتناولها بالنقد ، وأبان فضلها وأدبها وفنها ، وأسهب في البيان والتبيين ، والبخلاء ، والتربيع والتدوير ، والحيوان ، ورسائل الجاحظ . وانتهى إلى عرض منتخبات من آثاره هذه ، قدم لها ، وعلق عليها ، وشرح غامضها ، فاستوفى البحث ، وأدى الامانة . وقد كنا نتمنى على المؤلف أن يتم دراسته بنظرة الغربيين والمستشرقين الى أديبنا ، فيحلل ويوجز ما وقع منهم في بحوثهم عنه ، كما فعل حين عرض نظرة العرب الى آثاره ؛ وهو حين يفعل ذلك يرشد أبناءنا الى آفاق لا يبلغونها بغير مرشد : يعوج على بروكلمن وغيره من المعاصرين ممن أدرجوا قائمة بمخطوطاته التي لم تطبع ، وآثاره التي لم تنشر ، وذكروا دراسات نافعة فيه تثير همتنا الى بحث جذي جديد ، لا يعتمد على نظرة العرب فحسب وإنما يتطلع الى نظرة العالم الغربي ، حين يحلل عباقرته ويستوفي البحث في آثارهم . ولكن هذه الهنة الصغيرة لن تقلل من أهمية الكتاب الذي وضعه المؤلف واستحق عليه الثناء والشكر .

شاعران معاصران

تأليف الدكتور عمر فروخ

بيروت ١٩٥٤ : في ٢٦٠ صفحة

أما الشاعران فهما ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي ، عاش أولهما في فلسطين ، وعاش ثانيهما في تونس ، فهما يمثلان جناحي هذا العالم العربي مشرقه ومغربه ، تجمع بينهما صفات كثيرة جعلت منهما موضوع كتاب واحد . فقد قضيا في ريعان الشباب ، بعد أن حملا مرضاً خطيراً في جسميهما ، ثم لفظا أنفاسهما في مستشفى أجنبي ، غريبَيْن ، فذاعت شهرتهما بعد موتهما وتناولت شعرهما الصحف والاذاعات نشيداً وغناء ودراسة .

ولد ابراهيم طوقان في صدر القرن العشرين سنة ١٩٠٦ بنابلس ، من أسرة عريقة في فلسطين وتلقى دروسه الجامعية في الكلية الأمريكية ببيروت ، فلما تخرج منها عاد إليها مدرساً بعض الزمن ثم أطاق التدريس فيها ، وتقلب على غيرها من المدارس بنابلس ، واشتغل في الاذاعة الفلسطينية ، ثم أستاذاً في بغداد . وقضى في المستشفى الفرنسي بالقدس سنة ١٩٤١ ، متأثراً بقرحة في المعدة حملها خلال حياته القصيرة كعمر الورد ، كما قضى فوزي المعلوف وأبو القاسم الشابي من قبل . فلم يتخلف عنهما ، وانما سلك مسلكهما ليخلف دوياً بعده وأسى لفقده يتساءل الناقد في حرقة أن لو مدَّ الله في أجل الشاعر لكان من الأعلام النوابغ ، ولكنها سنة الله في الآجال والأعمار .

وقد عرض المؤلف الدكتور عمر فروخ حياة ابراهيم طوقان في تفصيل دقيق لأنه رافقه في الدراسة والحياة ، وتبادل وإياه الرسائل والكتب ، فبسط لنا من دقائق عيشه ما لا يعرفه إلا أقرباؤه المخلصون ، ومرد لنا من حوادث حياته

ما يغفله التاريخ لولاه ، فأثبت نصوصاً من هذه الرسائل دعم بها نقده ووصفه . وذكر من الصحف ما وقف عليه وتجمّع لديه ، فالمؤلف مارس الصحافة وأصدر مجلة « الأمالي » ، لذلك أكثر من الشواهد والدلائل ما يصلح أن يكون تاريخاً للأدب المعاصر في فلسطين ولبنان فوق أنه تأريخ مفصّل لحياة صديقه الشاعر ابراهيم طوقان . ولم يفت الناقد أن يورد مختارات من شعر الشاعر قبل أن ينشر على الناس ديوانه ، فتفرد بذلك وسبق إلى إثبات قصائد في روايات تختلف عما نرى في ديوانه المنشور اليوم ، وقدّم لها وعلّق عليها . وقد عرفنا صدق الوطنية عند شاعرنا ووقوفه للمستعمر الانكليزي في فلسطين وغير فلسطين ، وقرأنا له قصائد وطنية أصبحت اليوم أناشيد للمغرب والشام ولبنان تفيض بالجرأة والصراحة والقوة على أسلوب غربيّ من التفكير وبيان عربيّ في الصيغة والتعبير ، وذلك الى شعر في الغزل جميل رقيق ، وفي الوصف دقيق رشيق . فقد رسم مهنة التعليم التي مارسها بما لا يلحقه في الرسم لاحق ، فغلب عليه طابع السخرية والغمز يلفه بذكاء عبقري ، وسيكون له أثر بعيد في الأدب إذا ما تناول الدارسون ديوانه وأخباره بالتأليف والنقد والتحليل . ولا شك في أن أقوى مصادره يجدها الباحث فيما كتب عنه الدكتور فرّوخ في هذه الصفحات فهي ثمينة قيمة غالية لأنها مذكرات شخصية بين أديبين وزميلين ، نرجو أن ينشر أمثالها لتعيننا على دراسة العصر الحاضر وأدبائه .

وأما أبو القاسم الشابيّ فقد كتب فيه الدكتور فروخ صفحاته عما قرأ في الصحف ودرس في كتاب أبي القاسم محمد كرو عنه ، ولكنه جوّد في عرضها وتلخيص حياته الشقية البائسة . فقد ناضل هذا الشاعر كذلك ضد الفرنسيين وتحمل آلام المرض ومات رحمه الله في المستشفى الإيطالي بتونس عن عمر لا يتجاوز ستاً وعشرين سنة . وقد خلف لنا كذلك ديواناً لما يطبع الى اليوم ،

ولكن مختارات منه ظهرت في مجلة (أپولو)، وجريدة «الامام» للسحرتي بمصر وفي غيرهما من الصحف. وهي تدل على إعجاب الشاعر بأدباء المهجر واتباعه خطواتهم وترسمه لمآسي كثير منهم، فأغرق في التشاؤم والصوفية والرمز، فكان صورة لكثير من هذا الشعر الذي نقرؤه في الأدب المهجري. ولكنه تغزل فبكى في أسى وحرقة حبه اليائس البائس على طريقة الرومانتيكيين من الفرنسيين. ووصف الطبيعة فأبدع فيها، ولكنه حلّق في قصائده الوطنية لأنه استجاب الى داعي النضال في قومه، وراجت اليوم في عالمنا العربي لأنها تصف هذا الصراع الذي يحياه العرب ضد المستعمر. وربما كانت أناشيده في تونس نفسها أشد رواجاً وأمنع في التحليق لموقف أمته في كفاحها لهذه الأيام.

ولا شك في أن الشاعرين «طوقان» و «الشابي» يحملان في ديوانيهما صوراً لمستقبل الشعر العربي تحفز نحو الجديد وتحمس بآلام الأمة، وتصف ما يقع تحت بصرها، فتسير نحو الإبداع والاختراع، إلى أن يتاح للجيل المقبل من الشعراء في إكمال خطتها ومتابعة نضالها للوصول بالشعر العربي إلى ذروة الشعر العالمي، ومجاراة الشعر المعاصر في الغرب لكثير من أغراضه.

وقد كشف هذا الكتاب عن كثير من نواحي هذين الشاعرين ورسم دقائق هامة من سيرتها، وأثبت مختارات جميلة من شعرهما، مما ينفع في تأريخ الأدب الحديث، فاستحق مؤلفه ثناء وشكراً ليده وجهده.

الشعر العربي في المهجر

تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن

القاهرة ١٩٥٥ ، في ٢٩٥ صفحة

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نزح كثير من اللبنانيين والسوريين الى البلاد الأمريكية ، انتجاعاً للرزق ، أو هرباً من الظلم ، أو سعياً وراء آفاق جديدة في الحياة ؛ منها الشهرة والحرية ؛ فقد كانت أمريكا تغري بالهجرة ، وترحب باللاجئ وتفتح أمامه دروب الكسب والحياة . فلما هبطها هؤلاء الشرقيون حملوا معهم في صدورهم صور البلاد التي نزحوا منها ولغة الأمة التي نبتوا فيها ، وحب الربوع والأماكن التي عرفت نشأتهم وصباهم . لذلك عاشت أخلاقهم القديمة وما كلهم المعروفة وحياتهم الموروثة في أقطارهم الجديدة سواء في أمريكا الشمالية أو الجنوبية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان من ذلك أن تشكلت جاليات عربية في الدنيا الجديدة الى جانب الجاليات الأوربية ، تتمسك بتقاليدها خلال جيل كامل ، وتنقل عاداتها إلى أبنائها وتورثهم ، جهد الطاقة ، ما ورثت من أغان وسير وآداب . فلما قامت بينهم الصحف والمجلات باللغة العربية راحت تنقل من أحوالهم وتصف ما يقع لهم ، وما يحلو لهم أن يعلموا من أنباء وأخبار ، وما كان شعراؤهم يصوغون من الأشعار .

وكان هذا الشعر عربياً لا يختلف عما كان ينشده إخوانهم وزملاؤهم في المشرق وخاصة في لبنان وسوريا من حيث المعنى والمبنى ، أول الأمر . ثم ما لبث بعضهم أن طرق موضوعات غربية بأسلوب عربي ، كأنه يحاول التجديد . ولكن هذا التجديد نفسه استقى فيما نرى من ينابيع لبنان وسحر الأندلس وصفاء الشام ، واختلف قوة وضعفاً وإشراقاً وعبوساً . وعجز آخر الأمر عن خلق أدب جديد يساير ركب الغرب أو ينافس الآداب الأجنبية للقرن العشرين .

وهكذا أخفقت كثير من هذه المحاولات التي بذلها أبناؤنا في المهجر لاحتلال الذرى وتسلّق جبال الوحي الجديد الغربيّ ، لأن الأجنحة ما تزال لينة ضعيفة لا تعين على النهوض بهذه الأعباء الجسام والتحليق في السماوات الغربية ، ولأن الثقافة الأجنبية لم تتغلغل في صميم هاته القلوب العربية ولم تسر في دماء هؤلاء الشعراء ، فقد كانوا يطيلون الوقوف عند معانينا القديمة ومواضيعنا الجديدة ، وكانوا ينشدون الشعر ليتلى في منابرنا ويذاع في ندواتنا .

وهذا الأدب المهجريّ - إذا صحّ التعبير - جدير بالدراسة والنقد والتأريخ ، فهو يمثل الأدب المخضرم الذي أخذ من القديم كثيراً من مبانيه وأخذ من الجديد كثيراً من معانيه ، فلن يستطيع مؤرخ الأدب أن يجعله في القدماء خالصاً ، ولن يجعله في الغربيين خالصاً كذلك ، وانما هو أدب جديد يجب أن نكشف فيه عن حياة هؤلاء الأعلام وآثارهم وتأثرهم بالأجواء التي عاشوا فيها ، والأهداف التي يرمون اليها ، ويعلنون عنها في مجتمعاتهم ونواديهم وصحفهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم نقع على كتاب يشبع هذا البحث درساً وتحليلاً ، فيوازن بين الشعر الجديد في سوريا ولبنان وبينه في المهجر ، ذلك لأن الدواوين في المشرق لم تطبع طباعة علمية كاملة ، والشعراء فيه ما يزالون في تردد الخجل يطمحون الى ألوان جديدة يضيفونها إلى دواوينهم لعلها تمثلهم تمثيلاً صحيحاً .

أما في المهجر فقد طبعت هذه الدواوين طباعة مشرقة ملونة ، تتيح للناقد أن يختار منها وأن يتناولها بالدرس والبحث ، وهذه كانت مهمة هذا الكتاب الذي سطّره الشاعر الناقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن . فقد جمع « باقات من الشعر » على حد تعبيره ، لكل شاعر عربي من الأمريكتين ، وعرضها عرضاً في هذا الكتاب تمثل كثيراً من الألوان التي طرقها شعراء المهجر ، وقدّم بين يدي كل باقة عطرة بما كان لصاحبها من نشأة وثقافة واطلاع ، في

سطور تتجاوز الصفحتين والثلاث أحياناً لترجمة كل شاعر منهم . فهي أقرب الى التعريف بهؤلاء الشعراء والتنويه باسمهم .

وقدّم بين يدي ذلك كلّه بدراسة نقدية تقارب المئة من الصفحات ، عرض فيها لتأثر هؤلاء الشعراء بالمعاني الغربية والعربية وبسط ما الدين والتصوف والضحك والبكاء من صور في شعرهم وأثر في تفكيرهم . ثم تناول الأوزان والأساليب وتساءل عن الحياة المادية في أمريكا ونفوذها إلى شعرهم ، وانتهى إلى رغبة كثير منهم في التفلت من القيود والتسامح في اللغة ، «وارتكاب الضرورات التي لا يلجأ اليها الشعراء المحافظون إلاّ كارهين» .

وقد يخرج القارئ من هذه المقدمة البارعة الى صورة تشبه صورة الشعر اللبناني والسوري في المشرق في جملتها . فكأن هؤلاء الشعراء لم يفارقوا ذرى لبنان ووديان الشام ، ولم يبرحوا الوطن ولم يستظلوا بناطحات السحاب ، وفي ذلك فضل لا ينتقصه منصف : هو أنهم حافظوا على لغة الأجداد ونظموا في قوافيهم وأوزانهم ، وعكفوا على صورهم وتشبيهاتهم ، لأنهم عاشوا مع الكتب القديمة والدواوين في بيوتهم ، وعكفوا على التجارة وكسب الرزق في ميادين الحياة الأمريكية . فلم يخلصوا من شعر المناسبات في رثاء ومديح ووصف ، ولم يخرجوا عن تقاليد المشرق في تحية الزعماء وتأبين المخلصين والقادة ، فاشتركوا في حياة الأمة العربية على ما بين الوطن والمهجر من فرق في المسافة والمكان والأغراض .

ولذلك كان من فضل الناقد المؤلف أنه أرّخ لهذا الجناح من الشعر العربي المعاصر قبل أن يكتب ناقد في الجناح الشرقي ؛ فأفاض في الاعجاب بلغتهم وأسلوبهم ومعانيهم وقد خالف في ذلك رأي الشاعر عزيز أباظة شريكه في تقديم هذا الكتاب . ومن العجيب أن يشترك شاعران في بحث منشور وأن يختلفا الى أبعد حدود الاختلاف ، فقد رأى الشاعر أباظة ان «شعراء المهجر لم يفتحوا آفاقاً جديدة في الفن عجز عن الصعود اليها اخوانهم في لبنان ، وأن

الأدب المهجري لم يتبلور بعد ، ولم يتخذ له صورة وضحة المعالم ، بحيث ينفرد له أثر بعيد المدى في تطور الأدب العربي المعاصر » .

والشاعر أباظة يجد أن الشعر المهجري كالشعر الأمريكي بالنسبة إلى موطنه الأول ، فان الأدب الأمريكي لم يبلغ بعد مرحلة التألق وان كان في طريقه اليها .

وبعد ، فلا شك في أن هذا الكتاب خطوة جريئة في رسم مختارات لهؤلاء الشعراء تتصدرها سطور في تعريفهم وتتقدمها صفحات في وصف أدبهم ، نرجو أن تتبعها خطوات علمية في تأريخ هؤلاء الأدباء وبسط مراحل عيشهم ، والموازنة بينهم في الشمال والجنوب ، والبحث عن أثر ثقافتهم ونشأتهم في أدبهم ، وتطور هذا الشعر في مراحل حياتهم ، فليس من الخير أن نعيش معاصرين من غير أن نسجل الرأي ونسطر النقد ، فنظلم الجيل وأدباءه . وعلينا أن نتأثر القدماء فنعقد الموازنة والوساطة والمفاضلة لشعراء عصرنا قبل أن يمنى النسيان وتخون الذاكرة وتضيع النصوص . وهذا يستحق الأستاذ المؤلف محمد عبد الغني حسن كل شكر وثناء .

الموشحات الأندلسية

تأليف الدكتور فؤاد رجائي

حلب ١٩٥٥ ؛ في ١٣٦ + ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير

قبل أن ينصرم القرن الأول للهجرة ، أقدم العرب على فتح الأندلس ، وتم لهم بذلك ملك ربوع كثيرة من آسيا وافريقيا وبعض أوربا . فتوسعت رقعة الحكم ، وشاع الغنى وكثر الترف ، وانصرف الأدباء إلى النشيد والغناء ، يرسلون قصائدهم في بحور كثيرة من الشعر . فلما ضاقت بهم هذه البحور اخترعوا

« الموشح » متأثرين بالموسيقا والغناء ، كأنهم عرفوا مفتاح الاختراع في العروض فقلّدوا الخليل وساروا على خطاه وجدّدوا فأضافوا إلى الأوزان المتداولة شعراً لا يحدّه وزن واحد أو عروض واحدة ، فهو واسع كالبحر نفسه يخوض فيه القائلون بحرية واسعة معتمدين على اللّحن والآلات . وهذا الفن الجديد نما في الأندلس وترعرع في غيطانه ورياضه وقرب جداوله ، فكان له رواج كبير سجّل في أدبنا صفحات لامعة جديرة بالدراسة والنقد والتأريخ . وقد انصرف القدماء اليه فألف ابن سناء الملك « دار الطراز » وكتب الصفي الحلي كتاباً في فنونه ، وأنشأ غيرهما في التعريف به وتأريخه ، حتى كان العصر الحاضر فالتفت المستشرقون إلى دراسته وفيهم « هارتمان » وغيره ، وكان من الخير أن يكتب الدارسون عندنا في الإشارة اليه ، والبحث فيه ، والتعرّض لموسيقاه .

ومن خير الكتب المتأخرة التي صدرت في بابه هذا الكتاب ، ألفه طبيب وقف درسه على الجراحة ، وانتقل منها إلى الأنغام ، فعشق الموشح وأخذ به ، وأراد أن يعود مع الماضي الى نشأته وتطوره فكان منه هذا التأليف الطريف . جعل فصوله الأولى للتاريخ العربي في الأندلس ، فبسط الفتح والحكم والدول ، وعرض للأمويين ثم العباسيين ليرمم ملوك الطوائف في تفصيل يكاد يستنفد ما في تواريخنا المطبوعة في الشرق ، وذلك ليبلغ إلى الحديث عن الشعر في هذه الربوع ، فقد نقل عن القزويني قوله : « قلّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعراً ولا يعاني الأدب ، ولو مررت بفلاح خلف فدانه ، وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه وفي أي معنى طلبته منه » . وضرب الأمثلة لهذا الشعر في العهود كلّها حتى سقطت غرناطة في يد الاسبان سنة ٨٩٧ هـ ، في منتصف القرن الخامس عشر للميلاد .

وانتهى إلى أن « زرياب » وفد على الأندلس قادماً من العراق ليحمل إلى إخوانه في الفردوس الجديد مواهبه وعبقريته في الموسيقا ، فأضاف الى ما عندهم

قاعدة جديدة في الغناء ووضع القواعد في تعليمه فكأنه أنشأ أول معهد موسيقي في هذه البلاد ، ثم بيّن فضل الرجل على اختراع الموشح في الأندلس .

وعقد المؤلف فصولاً في الايقاع واللحن والغناء ، وفصّل الأمر فيها حتى استوفى ما يريد من براهينه الموسيقية وأوزانه الغنائية ، لينتهي إلى تقطيعه وأقفاله وأغصانه وما يوافق ذلك من الألحان في أمثلة شعرية جميلة موفقة ، فاستغرق بذلك القسم الأول من كتابه في ١٣٦ صفحة .

وقد جعل القسم الثاني لإثبات نصوص الموشحات مع رسم ألحانها بالعلامات الموسيقية الغربية (النوتة) تقريباً لها من أذهان الغربيين والمستشرقين الذين يريدون أن يطلعوا على موسيقانا العربية وشعرنا القديم الذي كان يغنّى ، وفن الموشح ، ليؤمنوا أن العرب شاركوا في بناء الموسيقا العالمية ، وهدفوا الى رفعتها خلال حضارتهم ونهضتهم . وهذا الرسم الموسيقي دوّنه السيد نديم علي الدرويش ، فخدم بذلك الموشح في ميدانه الموسيقي وعمل مع زميله على نجاح الكتاب .

ولذلك نرجو لهذا المؤلف رواجاً عند أبنائنا ، يتطلّعون فيه الى اختراع الأجداد في الموشح وبراعتهم في فنونه ، ويقرءون هذا الشعر المختار الرقيق ، وينظرون الى الألحان والموسيقا نظرتهم الى تراث قديم يجب أن نعمل على رعايته وحفظه وبعثه والاعتزاز به ، وشكر من يقوم بالكتابة فيه . وفّق الله المؤلف الدكتور رجائي إلى ما فيه رفعة الموسيقا العربية ، وجزاه خيراً على ما بذل من مال وجهد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشيخ نجيب الحداد

تأليف الأستاذ عادل الغضبان

دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٣ – صفحاته ١١٠

راجت في السنين الأخيرة طريقة جديدة في الترجمه لأعلامنا لم تكن من قبل . فقد قام في الشام ولبنان مؤلفون يكتبون في القدماء والمحدثين سير الأدباء والفلاسفة والمؤرخين على نمط من التحقيق العلمي يستثير الإعجاب . فيه وصف للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية التي عاش فيها هؤلاء الأعلام ، وفيه بسط لدقائق هذه الحياة ، واعتماد على نصوص قديمة وحديثة تتكئ على الاستقراء والاستنباط كما يفعل الغربيون سواء بسواء . من ذلك ما ألف الأستاذ خليل مردم بك في الفرزدق وجرير وغيرهما ، وما ألف المرحوم الجندي في ابن المقفع وامرئ القيس ، وما كتب الأستاذ فؤاد البستاني في سلسلة الروائع . وقد أرادت دار المعارف في مصر أن تقوم بنصيبها في ترجمة الأعلام والتأليف في سيرة حياتهم ، فكان منها مجموعة صالحة ، فيها هذا الكتاب .

رسم فيه مؤلفه الأستاذ عادل الغضبان الحركة السياسية للنصف الثاني من القرن التاسع عشر في لبنان وسوريا ، فوصف الحال التي كانت تسيطر على هذه الربوع ، وعرض للنفوذ الأجنبي فيها وما كانت تقاسيه الأمة العربية من احتلال وانحلال وضنك وبؤس وضيق . فقد تعاور عليها ظلم الأتراك والانكليز والفرنسيين ، وفت في عضدها فتن وقلاقل وثورات ومذابح ، اضطرت كثيراً من المفكرين إلى أن ينزحوا إلى مصر ، ففيها معان جديدة من حرية وحقوق ونظم لحكم جاءت عن سبيل اتصالها بالغرب ، فجرت فيها الأقلام وسالت فيها القصائد وراجت فيها الصحف ، وقامت مسارح التمثيل ، وانتشرت الترجمة ، ظفرت المكتبة العربية بنفائس من كتب الغرب ، واتسعت آفاق المعرفة في

القطر المصري ، وتوفرت المطبعة على إخراج كثير من الكتب نفعت المتعلمين وزادت في عدد المثقفين ، فكان نشاط كبير يبشر بخير للغة العربية وأبنائها .

وكان في جملة الوافدين إلى أرض الكنانة أسرة الحداد ، فدخل الصبيّ نجيب الحداد مدرسة الفرير بالاسكندرية ، وعاد مع أهله الى لبنان حين اندلعت الثورة العرابية فأكمل علومه ببيروت ، ثم عين أستاذاً للعربية والفرنسية في بعلبك ، ولكنه بعد عام واحد أجاب دعوة صاحب «الاهرام» بالاسكندرية ، فهجر الى مصر ، يكتب في الجريدة ويترجم زهاء تسع سنوات ، ينشئ بعدها جريدة «لسان العرب» مع أخيه وصديق له . وينصرف إلى الكتابة في الصحف والمجلات والتأليف والترجمة ونظم الشعر ، في جدّ وكفاح ليعيش مما يدره عليه قلمه إلى أن أنهكه العمل ، فدب الى صدره الداء حتى غلب العلم ؛ وطغا عليه فأسلم صاحبه الى الموت (في شهر شباط سنة ١٨٩٩) ، وهو في ربيع العمر لم يتجاوز الثانية والثلاثين من سنه . صرفها في الدرس والتحصيل والتأليف والترجمة ، رفيقاً للمحابر والأوراق ؛ يصحبها نهاره وأكثر ليله ؛ يخلف في الأدب الحديث صفحات تنطق بنبوغه ومواهبه ، وتخلده في ركب النوابغ ، وتحله من أسرته محلّ الوارث الأمين ، فقد كان أبوه شاعراً للأمير بشير الكبير ، وأمه من بيت اليازجي ابنة الشيخ ناصيف . فأخذ عن هذين البيتين فضيلة الكتابة ونعمة الفهم ، وتأثر خطواتهما ، كما فعل النوابغ من شعرائنا القدماء يروون لغيرهم ثم يروي عنهم الشعراء والأدباء .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كذلك كان نجيب الحداد ، إذ خلف ديواناً من الشعر هو «تذكار الصبا» وقصصاً وروايات تمثيلية تبلغ الثلاثين عدداً في عدد السنين التي عاش ، فكأنه بعد العشرين جعل لكل سنة ثلاثة من الكتب عدا ما كان منه من مقالات ومقطعات . ويبدو أن النثر والشعر اجتمعا في نصرة عبقريته فجعلاه في الكتّاب والشعراء المرموقين لعصره وبعد عصره ، فهو مشرق الديباجة في نثره وتآليفه

يترجم كما ينشئ ويكتب كما ينظم في سليقة وإبداع وفطرة وبديهة ، ويتناول مواضيع شتى من سياسة واجتماع وتمثيل ، فيشارك المصريين الوطنيين في عاطفتهم ضد المحتل ، وينهض بعبء الكاتب الاجتماعي الذي يصوّر المفاسد ويقترح السبل الرشيدة لحياة حميدة سعيدة ·

وأظهر ما في آثاره ديوانه ، فقد كان فيه مجدداً ، يجمع بين الفكرة الطريفة والأسلوب المتين ، فينشد شعره في خاجات النفس ونجوى الفؤاد · فيؤدي ما لقلبه عليه من دين وما لشعوره عنده من هزة ، ويروي غليل المثقف الطموح فينشئ في المسرحية شعراً نراه من أوائل الأعلام الذين اشتهروا في أدبنا الحديث ·

وينتهي المطاف بالشاعر عادل الغضبان وهو يتحدث عن الشاعر الكاتب نجيب الحداد بعد أن يستوفي الكلام في أربعين صفحة ، ليختار من آثاره ويعرض من نتاجه ، في ذوق لطيف وعرض جميل ، يجليه بالتعليق ، والتفسير ، والشرح ، والموازنة ، والتقديم ، فيبلغ بستين صفحة ما رسمه لكتابه · ويخرج القارئ من هذه الصفحات وهو على وقوف تام من حياة العصر والرجل وآثاره ؛ لا تفوته غاية ولا ينقص عليه تقصير ، فقد كتبت في أسلوب الأديب المحقق ، ورشاقة الشاعر الأريب ، وبلاغة الناقد المتعمق ، وإحاطة المؤرخ الأمين ، لذلك نشكر له يده في التأليف وبراعته في الترجمة ونستزيده في العمل لهؤلاء الأعلام ، جزاه الله عن العربية كل الخير ·

الدكتور سامي الدهان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخ مصر ١٣٨٢ – ١٤٦٩

القسم الثاني ١٣٩٩ – ١٤١١

ترجمه الى الانكليزية من حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي

الأستاذ وليم بوبر William Popper

مطبعة جامعة كاليفورنيا ١٩٥٤

بين يدينا القسم الثاني من تاريخ مصر الذي ترجمه الى الانكليزية الأستاذ وليم بوبر ويتضمن حوادث ١٣٩٩ الى ١٤١١ في حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي المعروفة باسم «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» . وكنا أتينا في (ص ١٥٠ جزء ١ مجلد ٣٠) على ذكر القسم الأول من الفترة التي يقوم الأستاذ بوبر بنقلها الى الانكليزية وتبدأ في ١٣٨٢ أي بحكم السلطان برقوق أول السلاطين البرجية أو الشراكسة . وقد نشرت جامعة كاليفورنيا هذا القسم الثاني كما نشرت القسم الأول في سلسلة منشوراتها في الفيلولوجيا السامية .

يشتمل كتاب النجوم الزاهرة على تاريخ مصر منذ الفتح الاسلامي حتى عام ١٤٦٩ وهي السنة التي سبقت موت المؤلف . غير أن المترجم الأميركي اقتصر على نقل القسم الأخير من هذا التاريخ الى الانكليزية وهو القسم الذي شهد المؤلف معظم حوادثه بنفسه وقد أراد المترجم أن يقدم الى قراء الانكليزية نموذجاً من كتابة التاريخ عند العرب من قبل مؤلف مطلع على العصر الذي يكتب عنه . ويتناول هذا القسم الثاني الذي بين يدينا حكم الملك الناصر فرج (١٣٩٩ – ١٤١١) وينتهي بمقتله ومن الحوادث التي يرويها بالتفصيل دخول تيمورلنك الى حلب ودمشق والفظائع التي رافقت دخول الفاتح المغولي .

وقد أخذ المترجم المواد التي ترجمها عن المجلد السادس للنجوم الزاهرة ولكنه لم يذكر الطبعة العربية التي أخذ عنها وربما كانت طبعة جامعة كاليفورنيا .

ووضع المترجم أرقام صفحات الأصل المصري في الحواشي وكذلك تاريخ الحوادث بالسنين والشهور الميلادية كما وضع في رأس كل صفحة تاريخ السنة الهجرية التي تحصل فيها الحوادث واسم السلطان الحاكم . وهوامش الترجمة خالية من الايضاحات والتفاسير المتعلقة بالمصطلحات الواردة في النص ، وفيما سوى ذلك فان الترجمة دقيقة مضبوطة والطباعة متقنة . ولعل المترجم ترك الفهارس اللازمة بأسماء الأعلام والمواضيع والأماكن للجزء الأخير لأن الجزئين الأولين ليس فيهما فهارس .

جورج حداد

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني

الناشر : هلموت ريتر

طبع في استنبول بمطبعة الحكومة ١٩٥٤

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

ان كل مشتغل بعلوم البلاغة ليتقبل هذه النشرة الكثيرة الفوائد بقبول حسن لما فيها من التصحيح والتصويب ، وقد أشار في خاتمة مقدمته الانكليزية الى نشرة المنار المصرية الأولى والثانيـة لأسرار البلاغة ، وذكر المخطوطة الطرابلسية التي اعتمد عليها صاحب المنار ، وما قام به الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وصاحب المنار والشنقيطي من تصحيح هذه المخطوطة وتقويم عباراتها ، بعد معارضتها بنسخة أخرى من الأسرار وجدت في احدى دور الكتب الاستنبولية ، ولم يعيّن صاحب المنار هذه النسخة ؛ وأما الناشر الفاضل ريتر فقد اعتمد في نشر أسرار البلاغة على مخطوطات أربع ، أقدمها مخطوطة خسرو باشا التي رمز اليها بحرف H ، وقد كتبت في جبل الصالحيـة بدمشق سنة ٦٦٠ للهجرة ، واتخذها أصلاً لهذه النشرة الحديثة ، وما بها من نقص أكمله من المخطوطات الثلاث المنقولة عن هذه النسخة الوالدة .

والمخطوطات الثلاث الأخرى هي : مخطوطة فيض الله المنسوخة سنة ٩٤٧ هجرية ، وقد رمز لها بحرف F ، والثانية المخطوطة الحميدية ، وقد رمز لها بحرف D ، وهي مجموعة كتب ثلاثة أحدها أسرار البلاغة المكتوبة سنة ٩٤٣ هجرية ، والثالثة مخطوطة مراد ملا المرموز لها بحرف L ، وقد كتبت ما بين القرنين التاسع والعاشر للهجرة ، وقد أشار الناشر الى هذه المخطوطات بحروفها الرمزية والى عباراتها المختلفة بدقة بالغة . وان لم يبين أحياناً لنا العبارة الصحيحة التي هي أشبه بأسلوب الجرجاني ، وأوضح لمعناه ؛ وكثيراً ما يجد الإنسان عبارة المنار التي صححها الأستاذ الإمام موافقة للنسخة الخسروية الأصلية ، أو هي أقوم قيلا .

وأما شواهد الاسرار فقد أرجعها الى دواوينها وقائليها ، وذكر أسباب قولها مع ترجمة وجيزة لكل شاعر وتاريخ وفاته ، وان لم يوجد البيت الشاهد في الديوان نبه على ذلك ، ويدلك على ما لقيه الناشر من جهد ونصب في تحقيق الاسرار ذكره للشاهد في مظانه العلمية والأدبية مع بيان الصفحات ، وقد يبلغ عدد هذه المظان نحو الثلاثين ، مما يدل على أن الناشر كعادة المستشرقين قد احتشد لهذه النشرة بذكر اختلاف النسخ الأربع ، وبترقيم الشواهد الشعرية لإحصائها ، وترقيم سطور النص في كل صفحة بوضع رقم لكل ثلاثة أسطر ليسهل الرجوع الى عبارات النسخ الأربع المعتمدة ، مع العناية بالفهارس الدراسية التي تيسر الدرس والمراجعة ، منها جدول للتصويبات والاستدراكات ، وفهرس للشعراء مع صفحات شواهدهم ، وفهرس للأشخاص الذين مر ذكرهم ، وفهرس لصدور الأبيات وآخر لقوافيها مما يوقع الباحث على ما ينشده ، وفهرس للآيات وآخر للأحاديث والأمثال والحكم وأقوال الناس ، وفهرس لأسماء الكتب المذكورة في الحواشي .

ومما نستدركه على جدول استدراكاته تصحيحه لضبط بيت المرقش الأكبر :

النشر مسكٌ والوجوه دنا نيرٌ وأطراف الأكفّ عنمْ

فهو في الكتاب هكذا صحيح الضبط الشعري ، لا النحوي ، لأن (دنانير) ممنوعة من الصرف ، وقد رأى الناشر أن البيت مخالف لقواعد النحو فحذف التنوين من دنانير ، وهي مصروفة لوزن الشعر ، والرواية على صرفها .

وذكرنا أن المستشرقين يهتمون الاهتمام كله بجمع النسخ المختلفة - كما كان دأب سلفنا العربي الصالح - وبذكر اختلاف عبارات هذه النسخ المعتمدة ، وجلهم لا يهتم بترجيح العبارة القويمة التي تلائم المعنى العلمي الصحيح ، ونظام الناشر إن أطلقنا عليه هذا القول ، إلا انه مما سها عن ترجيحه لتصحيح المتن وتوضيحه ما جاء في الصفحة الثامنة نذكره على سبيل المثال : « فقد تبين لك ان ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن ، ولما وجد فيه معيب مستهجن » هذا هو نص النسخة الخسروية بتقديم (إلا) على (مستحسن) ، وفي النشرة المنارية هكذا : « ... لما وجد فيه مستحسن ، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن » وعليه المعنى الصحيح .

وهذه النشرة أصح بجملتها متناً من النشرة المنارية ، وأذكر لك على سبيل المثال ما جاء في النشرتين نشرة المنار وهذه النشرة من القول بعد بيت الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه .

ففي نشرة المنار : « فانظر أيتصور أن يكون ذلك للفظ من حيث أنك أنكرت شيئاً من حروفه أو صادفت وحشياً غريباً أو سوقياً ضعيفاً ، أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتب المعاني في الفكر ... » وعبارة الخسروية في هذه النشرة : « ... أيتصور أن يكون ذمُّك للفظ ... » وهو أجلى وأعلى ، وقد يكون من غموض التعبير بحثك عن مرجع المشار اليه والضمير .

ومن السهو في شكل المتن قوله في الصفحة ١٨ والسطر الثامن : « انصرفتَ عن ظنك الأول ، وزلتَ عن الذي سبق من التخيل » والصواب (وزُلْتَ) بضم الزاي لأنها بمعنى تحولت ؛ وكنا نتمنى لو أن الناشر عني بنقط الباءات

للتفريق بين (علي) العلم و (على) حرف الجر فيضع نقطتين تحت الياء المسبوقة بكسرة ، والمفتوح ما قبلها يجرّد من النقط ، كما ينقط الياء المسبوقة بسكون ، ولكنه جرّد الياءات كلها من النقط مثاله (٣١/١٣) : « وكأنها الديباج الخسرواني في مرامى الأبصار ، ووشي اليمن منشوراً على أذرع التجار » .

هذا ولا يزال كثير من عبارات المتن التي قوّمها التصحيح بمعارضة النسخ بالخسروية في حاجة الى شرح ينير لطلاب الآداب ما غمض عليهم من معاني الكتاب ، وذلك لا يمنعنا من الثناء الأطيب على هذا المستشرق المولع بنشر آثار أجدادنا ، وقد عرفناه بآثاره الممتعة ، وببيض أياديه على الأدب العربي ، وله بهذا الكتاب الذي بذل جُهداه في نشره الحسن فضل مذكور وسعي مشكور .

التنوخي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محاضرات في اقتصاديات سورية

للدكتور أحمد السمان

نشر معهد الدراسات العربية العالية ، الملحق بجامعة الدول العربية محاضرات في «اقتصاديات سورية» ألقاها الدكتور أحمد السمان مدير معهد الحقوق ، وأستاذ علم الاقتصاد ورئيس الجامعة السورية بالوكالة ، على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية العالية في الجامعة العربية ، بحث فيها عن الحياة الزراعية والصناعية ، والتجارية ، والنقدية في سورية ، والتعاون الاقتصادي العربي .

وقد خص الزراعة السورية ببحث عن الأراضي السورية والأراضي المستثمرة منها ، وتربتها ونسبة أمطارها ، وكمية مياه أنهارها ، وطريقة الاستثمار ، والملكية الشائعة ، وعدد سكانها ، وبين أعمال الحكومة في مساعدة الزراعة من الوجهة المالية ، وتوسيع شبكة الري ، ومقدار الإنتاج الزراعي من الحبوب والبقول

والقطن والتبغ والشمندر والزيتون والخضر والفاكهة ، وذلك من المصادر الحكومية ، وقد أجاد في بحث ذلك .

وبحث عن الصناعة السورية الفتية ، واستعرض بإيجاز في الألفاظ ، وكثير من المعاني ضرر الانتداب الماضي على البلاد ، وفوائد الاستقلال الوطني ، وعن إعفاء الآلات الصناعية المستوردة ، وخواص الأراضي السورية ، وإمكانية وجود البترول ، وضرورة زيادة القوة الكهربائية ، وقلة رؤوس الأموال التي سببت ارتفاع فوائد الديون ، وغلاء أسعار الوقود وبين أنواع الصناعة الرئيسية في البلاد كالمطاحن والقونسروة والزيوت والسكر والتبغ والاسمنت والزجاج ، والغزل والنسيج وصناعات صغيرة أخرى ، وإنتاج كل منها ، وقد شكا من ضيق الأسواق ، وارتفاع أسعار الانتاج ، الأمر الذي حال دون مزاحمته للانتاج الأجنبي ، ودون تصديره كما ينبغي ، وقد كان موفقاً في هذا البحث الدقيق ، ولعل الحكومة تزيد في اهتمامها ، بفتح أسواق جديدة للصناعة السورية .

ولما بحث عن التجارة السورية ، ذكر المصاعب التي أوجدها الانتداب ، وأن الانتداب كان همه بسط السلطان السياسي ، والاحتفاظ بالبلاد للانتاج الفرنسي ، ثم بين المقادير المصدرة والمستوردة ، وان الجمارك كانت للحصول على الأموال ، لإملاء صندوق المفوضية الفرنسية ، على أن الحكومة السورية عندما استقلت صارت تعقد الاتفاقات التجارية ، وخاصة الاتفاقات التي عقدتها مع البلاد العربية ، وأنها أحيت مرفأ اللاذقية ، وأصدرت المرسوم رقم ١٥١ الذي عود التاجر السوري على الاتصال المباشر مع الأسواق الخارجية .

ثم أفرد بحثاً عن العلاقات الاقتصادية بين سورية ولبنان ، واستعرضها منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى انتهائه ، ومنذ ذلك الحين حتى اليوم ، وأوجز الاتفاقات التي جرت بين الطرفين ، وهو يحبذ قيام اتحاد اقتصادي بينهما بلائم

مصالح البلدين ، وهذا ولا ريب خير للطرفين ، إنما تنفيذه يحتاج الى وقت تتقارب فيه القلوب ، ويقتنع كل من الفريقين بفائدة ذلك الاتحاد .

ثم بحث عن النقد السوري من أول الاحتلال الفرنسي ، حتى انتهائه ، وكيف وضعت فرنسا يدها على القطع الأجنبي الذي كان الحلفاء أعطوه الى مكتب القطع ، لأخذ ورق نقدي سوري بدلاً منه لصرفه في البلاد ، وكيف أن فرنسا أوعزت الى مصرف سورية ولبنان سنة ١٩٤٨ فأعلن أن الليرة السورية قد فقدت قوتها الابرائية في لبنان ، وأن الحكومة السورية قامت بما يجب عليها لجعل النقد السوري قوياً ، وصالحاً لإقامة نظام اقتصادي . وهذا هو واقع الحال .

وأنهى الدكتور السمان محاضراته بالبحث عن الوحدة الاقتصادية العربية ، واستعرض المباحثات التي جرت بين الحكومات العربية ، ثم قال بضرورة الوحدة الاقتصادية العربية ، لرفع مستوى العرب الاقتصادي والسياسي ، وإني أعتقد أن البلاد العربية تحتاج الى استقرار وهذا لا يكون إلا بالوحدة الاقتصادية والسياسية معاً .

الحق إن الدكتور السمان كان موفقاً في محاضراته هذه ، وقد كانت مادتها جزيلة وإن الحلول التي قال بها هي الحلول المعقولة ، ورجاؤنا أن تعيرها الحكومات العربية أذناً صاغية ، لأن البلاد العربية في أشد الحاجة الى إصلاحات جمة ، وأولها الإصلاح الاقتصادي ، ضمن الوحدة الاقتصادية العربية ، وحتى السياسية ، إذ يكفينا هذا الفقر ، وهذا التباعد في أمة واحدة ، بينما نجد الشعوب الأجنبية المتعادية بالأمس ، قد أصبحت اليوم تتكتل اقتصادياً وسياسياً .

منير الشريف

آراء وأنباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ١٥ كانون الأول سنة ١٩٥٥ برياسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك ستة أعضاء مراسلين . وقد صدرت ستة مراسيم بإقرار انتخابهم وتعيينهم . وهذه أسماؤهم وأسماء أقطارهم مع تاريخ مراسيمهم وتعيين أرقامها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسم	القطر	تاريخ المرسوم	رقمه
الأستاذ عبد الله كنون	مراكش	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٠
الأستاذ آصف علي أصغر فيضي	الهند	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤١
الأستاذ س . ديدرنغ	السويد	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٢
الدكتور بيارد ضودج	الولايات المتحدة الأميركية	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٣
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	تونس	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٤
الأستاذ علال الفاسي	مراكش	٢٩ شباط سنة ١٩٥٦	١٠٤٥

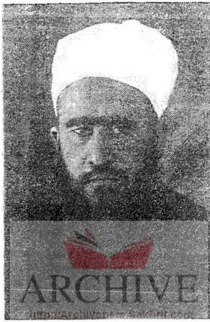

وفاة الشيخ سعيد العرفي

(١٨٩٦ _ ١٩٥٦)

فقد المجمع العلمي العربي عزيزاً من أعضائه المراسلين هو الشيخ سعيد العرفي مفتي الفرات .

ولد الفقيد في مدينة دير الزور سنة ١٨٩٦ وطلب العلم بها وبعد الانتهاء من الدراسة الرشدية سنة ١٩٠٩ دخل المدرسة العلمية وأخذ الإجازة بالعلوم النقلية والعقلية سنة ١٩١٦ من رئيس المدرسين بها الشيخ حسين الأزهري مفتي الفرات السابق .

وحضر على مشايخ من أنحاء شتى وأخذ إجازتهم منهم الشيخ بدر الدين الحسني بدمشق وشيخ الشافعية في مصر والشيخ محمد النجدي من هيئة كبار العلماء في الأزهر . وكان مع ثقافته العربية يعرف اللغة التركية .

عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية في دير الزور سنة ١٩١٨ ومحامياً للخزينة سنة ١٩٢١ والمدرس الأول وفي سنة ١٩٣٣ عين رئيس لجنة أوقاف الفرات والجزيرة . وفي سنة ١٩٣٦ انتخب نائباً عن دير الزور في المجلس النيابي . وفي سنة ١٩٣٩ انتخب مفتياً لمحافظة الفرات . وفي سنة ١٩٤٢ انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي . كما انتخب رئيساً لمجلس الأوقاف الأعلى في إحدى دوراته سنة ١٩٥٠ .

وله عدة مؤلفات منها سيرة خالد بن الوليد ، واللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية . ومما لم يطبع من مؤلفاته تفسير القرآن ، ورسالة في الدفاع عن الفلاسفة وغيرها . وتوفي في ٢١ آذار سنة ١٩٥٦ .

عرف الفقيد بالعلم والإخلاص والجرأة . ومواقفه الوطنية وما لقي في سبيلها من الاضطهاد في أيام الانتداب معروف .

رحمه الله رحمة واسعة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأي في تفسير اللزومية السادسة والخمسين

في العدد السابق من هذه المجلة الشطر الثاني من تعليقات واستدراكات الدكتور عبد الوهاب عزام على شرح لزوم ما لا يلزم الذي ألفه الدكتور طه حسين والأستاذ ابراهيم الأبياري وقد جاء في العدد المذكور ص ١٤٨ ما يلي :

اللزومية السادسة والخمسون

أقروا بالإله وأثبتوه وقالوا لا نبيٌّ ولا كتابُ
ووطء بناتنا حل مباح رويدكم فقد بطل العتابُ

يقول الشارح :

« وظاهر أنه يشير الى ما عليه غلاة الخوارج من إنكار النبوات والكتب السماوية والتشكيك فيها . والوطء النكاح ، ولعله يريد ما عليه الباطنية من غلاة الخوارج الخ » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعلق على ذلك الدكتور عزام بما يلي :

وأنا لا أذهب الى أن الشارح لا يعرف فرق ما بين الخوارج والباطنية ، ولا يدري عقيدة الخوارج وأحسبه أراد بالخوارج الخارجين على الدين ، لا الفرقة المعروفة في تاريخنا ! ولكني آخذ عليه استعمال كلة الخوارج هنا فيما قصد اليه ، ففيها تضليل للقارئ أو جلب تهمة الجهل الى الشارح .

هذا ما علاه الدكتور عبد الوهاب عزام .

* * *

وقد تراءى لي معنى غير ما تقدم أحببت عرضه على القراء :

فالشطر الأول من اللزومية (أقروا بالإله وأثبتوه) . فالذين يثبتون الإله ويقرون به يبعد جداً أن لا يقروا بالأنبياء والكتب المنزلة ، ولذلك أرى أن يقدر الخبر في الشطر الثاني هكذا : (وقالوا لا نبيٌّ) بعد نبينا (ولا كتابٌ)

مع قرآننا أو نحو ذلك . والمعري يريد بذلك التعريض بجماعة من الفقهاء يقرون بالإله ويقولون لا نبيّ بعد نبينا ولا كتاب مع قرآننا ثم يأتون بعد ذلك بما يخالف قولهم وعقيدتهم فيقعون في التناقض ويجحدون بما آمنوا به ، ولذلك يقول في آخر اللزومية (رويدكم فقد بطل العتاب) فلا كلام مع هذه الجماعة .

أما حل وطء البنت فالقرآن الكريم يقول (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم) إلى آخر الآية .

ولكن بعض الفقهاء بحثوا في البنت التي تولد من سفاح هل هي بنت شرعية أم لا ؟ فقد نفوا ذلك وجعلوها غريبة عن أبيها ، وبنوا على ذلك جواز نكاح الأب لها وتزوجه بها ، وقد أثار ذلك نقداً لاذعاً من الفقهاء الآخرين ممن لا يقولون بهذا القول .

والمعري كان من هؤلاء الناقدين في هذه اللزومية . ولكنه سلك مسلك الابهام في نقده خوفاً من قيام الفقهاء عليه .

وقد أشار لهذا النقد الزمخشري في قصيدته التي يقول فيها :

اذا سألوا عن مذهبي لم أبح به ... وأكتمه كتمانه لي أسلم

فإن حنفياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرم

وإن مالكياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح لهم أكل الكلاب، وهم هم

وإن شافعياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح نكاح البنت والبنت تحرم

الى أن يقول :

تعجبت من هذا الزمان وأهله ... فما أحد من ألسن الناس يسلم

وبعد فإني أرى أن المعري المتوفى سنة (٤٤٩) يشير في هذه اللزومية الى هذه المسألة الفقهية التي كانت مثار بحث ونقد حتى زمن الزمخشري الذي كانت ولادته بعد وفاة المعري بثماني عشرة سنة .

محمد أحمد دهمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترجح - وتأرجح

إننا من زمان ، نسير مع العلامة الأستاذ المغربي نتابع الفصول التي يكتبها في تصويب ألفاظ فشا خطأ استعمالها في منشورات بعض المنشئين والكاتبين . وقد رأينا ، وما نزال نرى في تلك الفصول دروساً كبيرة الفائدة لكل من يتصدّى للكلام وللكتابة ، ويتوخى معرفة الأصول اللغوية وحقائق أحوالها . وقد طالعنا كلمته المنشورة في الجزء الثالث من مجلة المجمع العلمي العربي الصادر في ا تموز سنة ١٩٥٥ ، ونرى أن تكون لنا مع الأستاذ وقفة يسيرة حول إحدى التصويبات .

أخذ - حفظه الله - على نشرة مصرية استعمالها « التأخلق » في قولها : « الدعوة الى التأخلق بالأخلاق الإسلامية . » ورأى في تصويبها أن يقال « التخلّق » ثم استطرد فقال : وهذا الخطأ يشبه خطأهم في قولهم : تأرجح الأمر بين كذا وكذا . ورأى في تصويبه أن يقال : ترجح .

هنا نود أن نقف مع الأستاذ ، وأن ندلي برأينا في ناحية من نواحي هذا الفعل .

إن مادة الكلمة « رجح » . ثم أُدخلت عليها الهمزة والتاء ، فالفعل ثلاثي مزيد بحرفين ملحق بالرباعي المزيد بحرف .

والإلحاق باب جائز وقد نص عليه ، بأن يزاد على أصول بناء حرف أو حرفان ليصير البناء على مثال كلمة أخرى في أنواع تصريفها . مثل تجلبب مادتها « ج ل ب » ، ثم زيدت باء ثانية في آخرها وتاء في أولها لتصير على مثال تدحرج في تصاريفها .

على أن بالمعاجم من هذه المادة ، « مرجوحة وأرجوحة » ، فما المانع أن

يصاغ من هذين الاسمين فعلان على وزن تفعلل ، فنقول : تمرجح وتأرجح ؟

ان نصوغ من الأسماء الجامدة وارد ، فقد قالوا : تمسكن ، وتمندل ، وتمدرع ، من المسكين والمنديل والمدرعة .

وقالوا : رَأَسَهُ ، وعضده ، وصدره ، وظهره ، إذا ضرب رأسه وعضده وصدره وظهره . وقالوا : سافَهُ ورَمَحَهُ وعَصاهُ إذا ضربه بسيف ورمح وعصا .

وقالوا : أرض مأسدة ومسبعة ، من الأسد والسبع .

هذا وان مجمع اللغة العربية بمصر قد أجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان الجامدة فقال : « ومع كثرة الاشتقاق من أسماء الأعيان لم يصرح المتقدمون فيه بالقياسية ، وحملهم على ذلك أمران : الأول قلة ما ورد من مشتقات الأعيان بالنسبة الى ما ورد من مشتقات المعاني . والثاني أن المشتق يحمل دائماً الحدث إما مع الذات أو الزمان أو المكان ؛ والذي يفيد الحدث وحده حتى يكون مناطاً للاشتقاق انما هو المصدر ، لكن لما كانت كثرة المشتقات من الأعيان في ذاتها مُطَمْئِنة وحاجة العلم لا الأدب ماسة الى الاشتقاق من أسماء الأعيان رأى المجمع اللغوي اعتباره قياساً . »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد فانّ اشتقاق « تأرجح » من الأرجوحة يختلف قليلاً عن اشتقاق « تأخلق » من الأخلاق . ذلك لأن الهمزة موجودة في الشكل الافرادي للأرجوحة وليست موجودة في الشكل الإفرادي للأخلاق ؛ أي في الخلق . والاشتقاق من المفرد جائز دون الاشتقاق من الجمع . فهناك كثيرون قد اشتقوا أفعالاً من أسماء مفردة واستعملوها في كتاباتهم فقالوا : تَمَدْيَن ، وتأقلم ، وتمذهب ، وتمنطق .. من المدينة والاقليم والمذهب والمنطقة . فهل هناك من اشتق أفعالاً من أسماء مجموعة ؟

ونزيد فنقول : إن الفعل « ترجح » في المفهوم العام يعني أن يغلب جانب

على جانب ويرجح عليه ، أكثر مما يعني التذبذب والتردد بين الجانبين بخلاف الفعل « تأرجح » الذي لا دلالة له إلا على ما يظهر من حركة الأرجوحة ، وهي التردد بين الجانبين والجهتين جيئةً وذهاباً .

وليس من الصواب استعمال اللفظ الدال على الأعمّ في حين إرادة الأخصّ .
وعلى هذا يكون فعل « تأرجح » أوفى بالمراد وأوضح دلالة على المعنى الموضوع له .

وبعد فاننا نرى اشتقاق تأرجح من الأرجوحة وترجح من المرجوحة ولا نرى ما يمنعها .

ولست أقف عند هذا الحد فيما نحن بصدده بل أرى أن أقيس على « تأرجح » فأتناول من هنا وهناك معاني لا أراها تؤدّى بسوى أفعال مشتقة على نحو ما اشتق فعل تأرجح . أرى أن أشتق من الأجنبي والاقطاعي ، فأقول في المواطن الذي يفعل فعل الأجنبي والاقطاعي : « تأجنب » و « تأقطع » كما يقال : تفرنس وتأمرك .

ولست أرى فعليْ « تجنّب وتقطّع » يغنيان شيئاً في الدلالة على المعنى المطلوب لذلك .

وما أذهب فيما كتبت إلى أني أخذت على الأستاذ المغربي في اللغة مأخذاً ، أو اني استدركت عليه أمراً ندّ عنه ، ولكني أرى في هذا وأمثاله موضع نظر ومجال بحث ، فعسى أن يطالعنا الأستاذ من ذلك بما يجلو الغمة وينقع الغلة .

عارف ابو شقرا

منتخبات من معجم الكواكبي

— ١ —

المقدمة

دفعني الى القيام بهذا العمل الشاق ، ما كنت أجده من الصعوبة في مراجعة كثير من المصادر العلمية والفنية واللغوية للوقوف على معنى لاصطلاح كيمياوي أو شرح لكلمة فيزيائية أو صيغة لمادة دوائية مبعثرة هنا وهناك لم أكن لأتعرض لمثلها لو كان في خزانة الكتب العربية الفنية معجم يعنى بتفسير لجميع المصطلحات الكيمياوية وما يحتاج اليه الكيمياوي والفيزيائي والصيدلي والطبيب وطالب هذه الفروع . فشمرت بلزوم التشمير عن ساعد الجد والعمل لملء الفراغ في هذه الخزانة تلافياً لما قصر عنه السلف .

فبدأت متكلاً على الله مستمداً منه المعونة ، بجمع هذه الشوارد المتبعثرة في بطون الكتب والمجلات والمختصرات وبعض المعاجم شارحاً بايجاز فيه الكفاية ، وجعلتها في كتاب أسميته (معجم الكواكبي في الكيمياء وما اليها) يكون مرجعاً بين أيدي المشتغلين بالتأليف والترجمة وطلاب الطب والصيدلة وفروعهما يغنيهم عن الاستعانة بكثير من الكتب والمجلات والمؤلفات والمعاجم العربية والافرنجية للوصول الى ما يبغون من معنى الكلمة ، أو مدلول لمصطلح لا يعثرون عليه إلا بشق النفس وإلا اذا وجدت لديهم مكتبة غنية بالكتب الفنية على اختلاف أنواعها وموضوعاتها ولغاتها مما لا يتيسر إلا للقليل الغني الشغف بالمطالعة والدرس والتأليف .

وها أنا ذاكر على صفحات مجلتنا هذه منتخبات من هذا المعجم مما هو من وضعي مع اشتقاقه العربي (وأحياناً اشتقاقه الغربي) ثم شرحه الفني . وأرحب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بكل نقد وتشريح إظهاراً لحقيقة التي ينشدها الجميع حتى إذا ما وجدت الخلق بجانب الناقد النزيه الكلمة (أو مصطلح) بحثت عن غيرها ناظراً بعين الاعتبار الى ما أبداه من نقد أو ملاحظة شاكراً له اهتمامه في تحري الصواب . والله سبحانه أسأله التوفيق في الحال والمآل .

ملاحظة :

وزن (فَعَل) يدل على عاهة أو حالة غير اعتيادية من علة أو فساد .

وزن (فُعالَة) يدل على بقية شيء أو رديئه أو بيان حالته .

وزن (فَعُول) يدل على القابلية .

وزن (فَعُولِيَّة) للاسم أو الحالة من (فَعُول) .

وزن (فُعال) أكثر ما ورد في ألم أو مرض أو عرض .

وزن (مَفْعَلَة) يدل على (الذي يفعل) عدا عما ورد كاسم آلة وفيه معنى الذي (يعمل ويفعل) مثال : مَحْشَرَة للآلة التي تحشّر - مَخْلَصَة ، التي تخلص - مَحْلَجَة ، التي تحلج الخ .

وزن (فَعَلان) يدل على الاضطراب والحركة .

بعض الإشارات الاختزالية الخاصة بهذا المعجم :

=	للمعاني المترادفة .
||	للمعاني المختلفة .
ث	للثقل النوعي .
صه	للانصهار .
غل	للغليان .
ف	لتحريف النور .
:	للمثال أو الشرح .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

— بدلاً من الكلمة الأصلية .

* إشارة للكلمة التي هي من وضعنا .

غ غرام .

صغ سنتغرام .

ملغ ملغرام .

ملم ملمتر .

* * *

١) Å أ

رمز وحدة الأطوال الصغرى . اختصاراً من اسم (آنغيستْرُم) الفيزيائي السويدي المشهور بتجاربه وأبحاثه على الطيف الشمسي ، تخليداً له . هذه الوحدة تساوي 10^{-10} من المتر أو 10^{-7} من الملم .

٢) Abat نُشَاشَة .

لغةً : من (نَشَّ الوطبُ أخرج ما فيه من الريح) . فناً : الجلد الذي أخذ انتفاخه بالزوال ، من مصطلحات فن الدباغة .

٣) Abats (suif d' —) شَحْم السلابة *

(من اللاتينية a battuere : الضرب ، الضغط ، الذبح) . لغة : (وزان فُعالة ، اشتقاقاً ، من (سَلَبَ وهو من الذبيحة إهابها وأكرعها وبطنها الخ) . فنا : الشحم يتكون بغلي معدة البقر ورؤوسها .

٤) Abeilles (cire d' –) شَمَع ، مُوم .

(من cera اللاتينية : الشمع) . لغةً : الشمع ، محركة وتسكين الميم ، مولَّد ، هذا الذي يستصبح به أو موم العسل) . (شَمَعَ شُمُوعاً شمْعاً مَشْمَعَةً ، لَعِب ومَزَحَ . || والشيء شموعا تفرَّق . || مسك مشموع بالعنبر ، مخلوط به . || أشمع السراجُ سطع نوره . || شَمَّعه تشميعاً ألعبه . والثوبَ غمسه في الشمع المذاب) .

(الموم : بالضم ، الشمع . لا أداة للحائك يضع فيها الغَزْل وينسج به «مكوك») .

فنًا : الشمع أو الموم : مادة لينة ضاربة للصفرة يصنع منها النحل خلاياه . = مادة مماثلة تنفرز من كثير من النباتات . لا مزيج صمغ اللك والتربنتين يستعمل لإرشام الرسائل و (الطرود) البريدية ونحوهما .

الشمع الذي يصنعه النحل الأهلي : يتركب من حمض شمع العسل (سه روتيك) وحمض شمع النخل (ميريسيك) وغول (السِّروتي) و (الميريسي) و أسترانها . ث ٩٦٦و٠ صه ٦٢ ـ ٠٦٣ يضرب الى الصفرة ، ويُقصر بتعريضه للشمس والندى . من أنواعه الشمع البكر (vierge —) صه ٦٢ . والشمع المبيَّض (blanchie —) وهو المضاف اليه ٣ — ٥٪ من الشحم ، صه ٦٧ .

استعماله : للتلميع . ويمزج بأقلام الطبع على الحجر ، وبشمع الإرشام (الأختام) . ولصنع شموع الإضاءة .

الشمع النباتي : ما يفرزه كثير من النباتات (بعض أنواع النخيل الشمعية ciriers) . يستعمل في دور الصناعة لعمل الشموع والصابون .

(يتبع) الكواكبي

تصويب تطبيع وقع في هذا الجزء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠٤	٢١	الصفدي	الكتبي
٢١٠	٣	الملتس	الملتمس
٢٢٥	١٨	جاب قضاء ..	جابي قضاء ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهرس الجزء الثاني من المجلد الحادي والثلاثين

صفحة		
١٧٧	مجموعة ابن النقيب أو بواكير الحدائق والغرف	للأستاذ خليل مردم بك
١٨٧	الاصطلاحات الفلسفية (٢)	للدكتور جميل صليبا
٢٠٢	رسالة الأنوار المقتبسة من أنوار النار	للأستاذ عبد الهادي هاشم
٢٢٢	التكية السليمية في دمشق (١)	للأمير جعفر الحسني
٢٣٨	رثاء الجندي والبرم	للأستاذ خير الدين الزركلي
٢٤١	إيوانية البحتري (٢)	للأستاذ عبد القادر المغربي
٢٥٣	بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية (٢)	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٢٧١	الدراسات العربية في الولايات المتحدة	للدكتور بايلي وايندر
٢٨٣	أبو الفتح بن جني (٦)	للدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

صفحة		
٣٠٢	ابن رشد	للدكتور جميل صليبا
٣٠٤	نوابغ المغرب العربي (١)	
٣٠٦	مصادر الحق في الفقه الإسلامي	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٠٧	الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود	
٣١٠	المجموع الأول	
٣١٢	آثار معين في جوف اليمن (الجزء الأول)	
٣١٣	تقويم دور الكتب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط	للأمير جعفر الحسني
٣١٣	نقوش خربة معين	
٣١٤	ابن الحريري ومقاماته	
٣١٧	الجاحظ	
٣١٩	شاعران معاصران	
٣٢٢	الشعر العربي في المهجر	للدكتور سامي الدهان
٣٢٥	الموشحات الأندلسية	
٣٢٨	الشيخ نجيب الحداد	
٣٣١	تاريخ مصر ١٣٨٢ – ١٤٦٩	للدكتور جورج حداد
٣٣٢	أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني	للأستاذ عز الدين التنوخي
٣٣٥	محاضرات في اقتصاديات سورية	للأستاذ منير الشريف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وأنباء

صفحة		
٣٣٨	انتخاب أعضاء مراسلين	
٣٣٩	وفاة الشيخ سعيد العرفي	
٣٤١	رأي في تفسير الزوجية السادسة والخمسين	للأستاذ محمد أحمد دهمان
٣٤٣	ترجح وتأرجح	للأستاذ عارف أبي شقرا
٣٤٦	منتخبات من معجم الكواكبي (١)	للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٣٤٩	تصويب تطبيع وقع في هذا الجزء	